01–تفسير الفاتحة وه ى مكية

*** يُقَالُ لَهَا: الْفَاتِحَةُ أَيْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ خَطًّا
وَبِهَا تُفْتَحُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ
وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: أُمُّ الْكِتَابِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ
***و يقال لها الحمد: للحديث
*** سنن الترمذي
3124 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«الحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ القُرْآنِ وَأُمُّ الكِتَابِ وَالسَّبْعُ المَثَانِي
و يقال لها الشفاء للحديث:
سنن الترمذي
2064 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ
مَرُّوا بِحَيٍّ مِنَ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ وَلَمْ يُضَيِّفُوهُمْ
فَاشْتَكَى سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: هَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ؟
قُلْنَا: نَعَمْ وَلَكِنْ لَمْ تَقْرُونَا وَلَمْ تُضَيِّفُونَا
فَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا
فَجَعَلُوا عَلَى ذَلِكَ قَطِيعًا مِنَ الغَنَمِ
قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَّا يَقْرَأُ عَلَيْهِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ فَبَرَأَ
فَلَمَّا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ
قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»
***ويقال لها الصلاة: للحديث
سنن الترمذي
2953 - فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ

فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.
يَقُومُ الْعَبْدُ فَيَقُولُ: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]
فَيَقُولُ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. فَيَقُولُ {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1]
فَيَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي.
فَيَقُولُ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فَيَقُولُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي
وَهَذَا لِي وَبَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي
{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]
وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي
وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ
يَقُولُ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]
*** قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كتاب التفسير:
وسميت أم الكتب أنه يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ
وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ
وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ.
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:وَ الْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ جَامِعِ أَمْرٍ أَوْ مُقَدَّمٍ لِأَمْرٍ -إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ :أُمًّا
فَتَقُولُ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ أُمُّ الرَّأْسِ
وَ يُسَمُّونَ لِوَاءَ الْجَيْش وَرَايَتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا أُمًّا
*** وَسُمِّيَتْ مَكَّةُ: أُمَّ الْقُرَى لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ جَمِيعِهَا وَجَمْعِهَا مَا سِوَاهَا وَقِيلَ: لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْهَا.
وَافْتَتَحَ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةَ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ

وَصَحَّ تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي قَالُوا:
لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي الصَّلَاةِ فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَة
وَإِنْ كَانَ لِلْمَثَانِي مَعْنًى آخَرُ غَيْرُ هَذَا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
*** صحيح البخاري

4474 - عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ:
كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ:
" أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}
[الأنفال: 24]..
ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ
قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ:
«أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»
قَالَ: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]
«هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»( )
***سنن الترمذي ت شاكر

3125 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه

(لما يحييكم) لما فيه حياتكم الحقيقية هو شرائع الإسلام لأن فيها حياة القلوب في الدنيا والنجاة في الآخرة. / الأنفال 24 /.
(أعظم السور) من حيث كثرة الثواب لقارئها وفي نسخة (أعظم سورة).
(السبع المثاني) فهي سبع آيات وتثنى - أي تكرر - قراءتها في كل ركعة من التثنية وهي التكرير. وليس لأبي سعيد بن المعلى في البخاري سوى هذا الحديث]

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ
وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»
****وَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ عَلَى تَفَاضُلِ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ كَمَا هُوَ الْمَحْكِيُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ
*** صحيح مسلم
(806) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:
بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:
" هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ
فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ:
هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ
وَ قَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ:
فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ
لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ "
ش (نقيضا) أي صوتا كصوت الباب إذا فتح]
*** صحيح مسلم
(395) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»
ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ.
فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟
فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛
فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "
قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]
قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي
وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1]
قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي
وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}
قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -
فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]
قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ
فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]
قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " ( )

الْكَلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ الِاسْتِعَاذَةِ

[خداج) قال الخليل بن أحمد والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والهروي وآخرون الخداج النقصان قال
يقال خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان تام الخلقة
وأخدجته إذا ولدته ناقصا وإن كان لتمام الولادة
ومنه قيل لذي اليدين مخدوج اليد أي ناقص قالوا فقوله ﷺخداج
أي ذات خداج وقال جماعة من أهل اللغة خدجت وأخدجت إذا ولدت لغير تمام
(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)
قال العلماء المراد بالصلاة هذا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

[الْأَعْرَافِ: 199 200]

وَقَالَ تَعَالَى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 96 -98]

وَقَالَ تَعَالَى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

[فُصِّلَتْ: 34 -36] .

فَهَذِهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ فِي مَعْنَاهَا
وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ الْعَدُوِّ الْإِنْسِيِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ
لِيَرُدَّهُ عَنْهُ طبعُهُ الطَّيب الْأَصْلِ إِلَى الْمُوَادَّةِ وَالْمُصَافَاةِ
وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِيِّ لَا مَحَالَةَ؛
إِذْ لَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا إِحْسَانًا وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ هَلَاكِ ابْنِ آدَمَ
لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ؛
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ}

[الْأَعْرَافِ: 27]

وَقَالَ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فَاطِرٍ: 6]

وَقَالَ {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا} [الْكَهْفِ: 50]
وَقَدْ أَقْسَمَ لِلْوَالِدِ إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ وَكَذَبَ فَكَيْفَ مُعَامَلَتُهُ لَنَا وَقَدْ قَالَ:
{فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: 82 83] وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النَّحْلِ: 98 99]
***وَالْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ فِيهَا إِنَّمَا تَكُونُ قَبْلَ التِّلَاوَةِ
وَمَعْنَى الْآيَةِ عِنْدَهُمْ:
{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النَّحْلِ: 98]
أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ كَقَوْلِهِ:
{إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ} الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ: 6]
أَيْ: إِذَا أَرَدْتُمُ الْقِيَامَ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ؛
قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
11473 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَفْتَحَ صَلَاتَهُ وَكَبَّرَ قَالَ
«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ
ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ:
«أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ»
ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» ثَلَاثًا

ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»
وَقَدْ فسَر الْهَمْزَ بِالْمَوْتَةِ وَهِيَ الْخَنْقُ
والنَّفخ بِالْكِبْرِ وَالنَّفْثَ بِالشِّعْر. كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ :-
775- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ:
«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ»
ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا
ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً» ثَلَاثًا
«أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»
***قال بن كثير:قَالَ عَمْرٌو: وَهَمْزُهُ الْمَوْتَةُ وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ وَنَفْثُهُ الشِّعْرُ .
***قال بن كثير:-ونفخه: الكِبْر
<u>ومن فوائد الاستعاذة:</u>
صحيح البخاري
6115 - عن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ
لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "
فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟
قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ

وَمِنْ لَطَائِفِ الِاسْتِعَاذَةِ:

1-أَنَّهَا طَهَارَةٌ لِلْفَمِ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ

2- وَ تَطْيِيبٌ لَهُ وَتَهَيُّؤٌ لِتِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ

3-وَ هِيَ اسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ وَاعْتِرَافٌ لَهُ بِالْقُدْرَةِ وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى:

مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ

وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا يُدَارَى بِالْإِحْسَانِ

بِخِلَافِ الْعَدُوِّ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ

كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَثَانِي

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا}

[الْإِسْرَاءِ: 65]

وَقَدْ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمُقَاتَلَةِ الْعَدُوِّ الْبَشَرِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ

وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَشَرِيُّ كَانَ شَهِيدًا

وَمِنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنِيُّ كَانَ طَرِيدًا

وَمَنْ غَلَبَهُ الْعَدُوُّ الظَّاهِرُ كَانَ مَأْجُورًا

وَمَنْ قَهَرَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كَانَ مَفْتُونًا أَوْ مَوْزُورًا

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرَى الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ بِالَّذِي يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشيطان.

فصل: والاستعاذة :

هِيَ الِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ

وَالْعِيَاذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ وَاللِّيَاذُ يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ

كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

فَصْلٌ مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ

أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ

وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى

وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ

وَهَذَا الْمَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا أَعْلَمُ لَهُنَّ رَابِعَةً قَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الْأَعْرَافِ: 199]

فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ

ثُمَّ قَالَ: {وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الْأَعْرَافِ: 200]

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ":

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 96 -98] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ " حم السَّجْدَةِ ":

{وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

[فُصِّلَتْ: 34 -36] .

***والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ

فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ

وَقِيلَ: مُشْتَقٌّ مِنْ شَاطَ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ

وَلِهَذَا يُسَمُّونَ كُلَّ مَا تَمَرَّدَ مِنْ جِنِّيٍّ وَإِنْسِيٍّ وَحَيَوَانٍ شَيْطَانًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الْأَنْعَامِ: 112]

***صحيح مسلم

(510) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ

فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»

قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟

قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ:

«الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»( )

***والرّجيم: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ

أَيْ: أَنَّهُ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الْمُلْكِ: 5]

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

(الكلب الأسود شيطان) سمي شيطانا لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعا وأكثرها نعاسا]

مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}
[الصَّافَّاتِ: 6 -10]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}
[الْحِجْرِ: 16 -18]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤)

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ (٧)

(بِسْمِ اللَّهِ)

أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ (اسم) مفرد مضاف،

فيعم جميع الأسماء الحسنى .

(اللَّهِ) هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة،

لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال.

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

***قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ:

(**الرَّحْمَنُ**):

اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى

(وَالرَّحِيمُ) إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} **[الْأَحْزَابِ: 43]**

*****وَلِهَذَا قَالَ:** {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ} **[الْفُرْقَانِ: 59]**

وَقَالَ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} **[طه: 5]**

فَذَكَرَ الِاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ لِيَعُمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ

وَقَالَ: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} **[الْأَحْزَابِ: 43]**

فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ

قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الرَّحْمَةِ

لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ

***** وَلَمَّا تجمهر مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ وَتَسَمَّى بِرَحْمَنِ الْيَمَامَةِ**

كَسَاهُ اللَّهُ جِلْبَابَ الْكَذِبِ وَشُهِرَ بِهِ؛

فَلَا يُقَالُ إِلَّا مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ

فَصَارَ يُضرب بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ

وَأَهْلِ الْوَبَرِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْأَعْرَابِ.

***** وَأَمَّا الرَّحِيمُ فَإِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ حَيْثُ قَالَ:**

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} **[التَّوْبَةِ: 128]**

كَمَا وَصَفَ غَيْرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ فِي قَوْلِهِ:

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}

[الْإِنْسَان: 2] .
وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ
وَ مِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ كَاسْمِ:-
اللَّهِ وَ الرَّحْمَنِ وَ الْخَالِقِ وَ الرَّزَّاقِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ
فَلِهَذَا بَدَأَ بِاسْمِ اللَّهِ وَوَصَفَهُ بِالرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّهُ أَخَصُّ وَأَعْرَفُ مِنَ الرَّحِيمِ؛
لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ أَوَّلًا إِنَّمَا تَكُونُ بِأَشْرَفِ الْأَسْمَاءِ
فَلِهَذَا ابْتَدَأَ بِالْأَخَصِّ فَالْأَخَصِّ.
وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَنَ
حَتَّى رَدَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:
{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}
[الْإِسْرَاءِ: 110]
وَلِهَذَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةَ
لَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لعَلي: "اكْتُبْ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} "
فَقَالُوا: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ وَلَا الرَّحِيمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا
وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان: 60]
وَالظَّاهِرُ أَنَّ إِنْكَارَهُمْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ جُحود وَعِنَادٌ وَتَعَنُّتٌ فِي كُفْرِهِمْ
فَإِنَّهُ قَدْ وُجِدَ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالرَّحْمَنِ
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ أُنْشِدَ لِبَعْضِ الْجَاهِلِيَّةِ الجُهَّال:-
أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ الفتاةُ هَجِينَها ... أَلَا قَضَبَ الرحمنُ رَبي يَمِينَهَا
وَقَالَ سَلَامَةُ بن جندب الطُّهَوِيُّ:
عَجِلتم عَلَيْنَا عَجْلَتينَا عليكُمُ ... وَمَا يَشَأ الرّحْمَن يَعْقِد ويُطْلِقِ

- اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة

التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي،

وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله.

فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم <u>أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها:-</u>

1-الإيمان بأسماء الله وصفاته،

2-وأحكام الصفات.

-فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها،

المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته،

وهكذا في سائر الأسماء.

-يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء،

-قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء.

***افْتَتَحَ بِهَا الصحابةُ كِتَابَ اللَّهِ

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ سورَةَ النَّمْلِ

ثمّ اختلفوا: هل هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ

أَوْ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا

أَوْ أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ

أَوْ أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ دُونَ غَيْرِهَا

أَوْ أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ لَا أَنَّهَا آيَةٌ؟

عَلَى أَقْوَالٍ لِلْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلَفًا وَذَلِكَ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

<u>فأمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بالجهر بها فَمُفَرَّعٌ عَلَى هَذَا؛</u>

فَمَنْ رَأَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ فَلَا يَجْهَرُ بِهَا
وَكَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا
وأَمَّا مَنْ قَالَ بِأَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ السُّوَرِ فَاخْتَلَفُوا؛
فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّهُ يَجْهَرُ بِهَا مَعَ الْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ
وَهُوَ مَذْهَبُ طَوَائِف مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا
***والحُجَّة فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بَعْضُ الْفَاتِحَةِ فَيُجْهَرُ بِهَا كَسَائِرِ أَبْعَاضِهَا
سنن النسائي -[حكم الألباني] ضعيف الإسناد
905 - عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ
فَقَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1]
ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}
[الفاتحة: 7] فَقَالَ: «آمِينَ».
فَقَالَ النَّاسُ: آمِينَ وَيَقُولُ: كُلَّمَا سَجَدَ «اللَّهُ أَكْبَرُ»
وَإِذَا قَامَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الِاثْنَتَيْنِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»
وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
***السنن الكبرى للبيهقي
2392 - سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟
قَالَ " كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1]
يَمُدُّ الرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ الرَّحِيمِ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ
***وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ
وَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ وَطَوَائِفَ مِنْ
سَلَفِ التَّابِعِينَ وَالْخَلَفِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.
وَعِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ: أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ الْبَسْمَلَةَ بِالْكُلِّيَّةِ لَا جَهْرًا وَلَا سِرًّا
وَاحْتَجُّوا بِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ

صحيح مسلم -498

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

«يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ. وَالْقِرَاءَةِ بِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

صحيح البخاري

743 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺوَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلاَةَ بِـــ{الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] "

(يفتتحون الصلاة) أي القراءة فيها.

(بالحمد الله) أي بسورة الفاتحة التي تبدأ بهذه الجملة بعد البسمله]

صحيح مسلم

(399) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: " صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺوَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] "

فَهَذِهِ مَآخِذُ الْأَئِمَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَهِيَ قَرِيبَةٌ؛

لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ صَلَاةِ مَنْ جَهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

فصل في فضلها:

*****سنن أبي داود**

4982 - عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ رَجُلٍ

قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺفَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ

فَقَالَ: " لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ

فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي

وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ

فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ "

قال بن كثير:-

فَهَذَا مِنْ تَأْثِيرِ بَرَكَةِ بِسْمِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا تُسْتَحَبُّ فِي أوّل كل عمل وَقَوْلٍ
-وَتُسْتَحَبُّ فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ لِمَا جَاءَ فِي بن ماجه397 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ:
"لا وضوء لمن لم يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ"

***قال الشيخ مصطفي العدوي:النفي فيه الكمال لا نفي الاصل**

***تستحب عند الاكل:

صحيح مسلم -2022

عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ سَمِعَهُ مِنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ
قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺوَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ
فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»

***تستحب عند الجماع:-

صحيح البخاري-141

عَنِ ابْنِ عَبَّاس يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ
اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا
فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ»

{اللَّهِ} عَلَمٌ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُقَالُ: إِنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ؛
لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ*
هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

[الْحَشْرِ: 22 -24]

فَأَجْرَى الْأَسْمَاءَ الْبَاقِيَةَ كلها صفات لَهُ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }

[الْإِسْرَاءِ: 110]

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

"إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"

/ صحيح البخاري برقم (7392) وصحيح مسلم برقم (2677) .

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)

هو الثناء على الله بصفات الكمال،

و بأفعاله الدائرة بين الفضل و العدل،

فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه.

*** الشُّكْرُ لِلَّهِ خَالِصًا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ

وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ

بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ

وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ

*** ثَنَاءٌ أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ

فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}]

(رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

الرب، هو المربي جميع العالمين – وهم من سوى الله– بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات،

وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء.

فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

و تربيته تعالى لخلقه نـــــوعان: –

1– عـــــامة

2– خـــــاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين،

و رزقـــــــهم،

و هدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

و الخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان،

و يوفقهم له،

و يكمله لهم،

و يدفع عنهم الصوارف، و العوائق الحائلة بينهم و بينه،

و حقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، و العصمة عن كل شر.

– و لعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب.

فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

فدل قوله

(رَبِّ الْعَالَمِينَ)

على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه،

وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

***وَ الرَّبُّ هُوَ: الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ
وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ
وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.
[وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بَلْ بِالْإِضَافَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ رَبُّ كَذَا
وَأَمَّا الرَّبُّ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَالْعَالَمِينَ: جَمْعُ عَالَمٍ [وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]
وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْعَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ؛ كَقَوْلِهِ:
{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

مُوقِنِينَ} الشعراء 23-24
وَالْعَالَمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَامَةِ (قُلْتُ) :
لِأَنَّهُ عِلْمٌ دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:
فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيـــــــةٌ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

قال القرطبي: إنما وصف نفسه "بالرحمن الرحيم "بعد قوله "رب العالمين"
ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب

كما قال تَعَالَى: نَبِّئْ عِبادِى أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ [الْحِجْرِ: 49- 50]

وَقَوْلُهُ تعالى: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنعام: 165]

قال: فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

صحيح مسلم -2755

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ

وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)

*** وَمَالِكُ مَأْخُوذٌ مِنَ المِلْكِ

كَمَا قَالَ: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مَرْيَمَ: 40]

وَقَالَ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ} [النَّاسِ: 1 2]

وَمَلِكٌ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْمُلْكِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غَافِرٍ: 16]

وَقَالَ: {قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ} [الْأَنْعَامِ: 73]

وَقَالَ: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}

[الفرقان: 26] .

وَتَخْصِيصُ الْمُلْكِ بِيَوْمِ الدِّينِ لَا يَنْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ

لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

كَمَا قَالَ: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النَّبَأِ: 38]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا} [طه: 108]

وَقَالَ: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}
[هُودٍ: 105] .

والمَلِك فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ}

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ في صحيح البخاري :
6205 - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ»( )

*** صحيح البخاري
4812 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
" يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ
ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ "
*** أَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَلِكٍ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}

(أخنى) أذل وأوضع. (الأملاك) جمع ملك ومليك]

{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ}

{إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا}

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: (مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ) .بخاري 2788

وَالدِّينُ الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}

وَقَالَ: {أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} **أَيْ مَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ**

المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها

أنه يأمر و ينهى، و يثيب و يعاقب،

و يتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات،

و أضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة

يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها:-

لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور،

كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق.

حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.

كلهم مذعنون لعظمته،

خاضعون لعزته،

منتظرون لمجازاته،

راجون ثوابه،

خائفون من عقابه،

فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ)

*** أَلْطَفُ فِي التَّوَاضُعِ مِنْ إِيَّاكَ أَعْبُدُ لِمَا فِي الثَّانِي من تعظيمه نفسه
مِنْ جَعْلِهِ نَفْسَهُ وَحْدَهُ أَهْلًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى
الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ
وَلَا يُثْنِيَ عَلَيْهِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ
وَالْعِبَادَةُ مَقَامٌ عَظِيمٌ يَشْرُفُ بِهِ الْعَبْدُ
لِانْتِسَابِهِ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:
لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدَهَا ... فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي
وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ رَسُولَهُ بِعَبْدِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ فَقَالَ

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الْكَهْفِ: 1]

{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الْجِنِّ: 19]

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا} [الْإِسْرَاءِ: 1]

فَسَمَّاهُ عَبْدًا عِنْدَ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِ وَقِيَامِهِ فِي الدَّعْوَةِ وَإِسْرَائِهِ بِهِ
وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ فِي أَوْقَاتٍ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ

حَيْثُ يَقُولُ: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الْحِجْرِ: 97-99] .

أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة،

لأن تقديم المعمول يفيد الحصر،

وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه.

فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص،

واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

و (العبادة)

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة.

و(الاستعانة)

1-هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار،

2-مع الثقة به في تحصيل ذلك.

3-والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية،

والنجاة من جميع الشرور،

فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما.

وإنما تكون العبادة عبادة إذا كانت :-

1-مأخوذة عن رسول الله ﷺ

2-مقصودا بها وجه الله.

فبهذين الأمرين تكون عبادة،

وذكر (الاستعانة) بعد (العبادة) مع دخولها فيها:-

لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى.

فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي.

***الْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ مِنَ الذِّلَّةِ

يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبّد وَبَعِيرٌ مُعَبّد أَيْ: مُذَلَّلٌ
وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ.
وَقُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَهُوَ {إِيَّاكَ} وَكُرِّرَ؛ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ
أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَتوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ
وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ. وَالدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ
*** وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:
الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ:
{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الْفَاتِحَةِ: 5]
فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ
وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ والقوة والتفويض إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هُودٍ: 123]
{قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الْمُلْكِ: 29]
{رَبَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} [الْمُزَّمِّلِ: 9]
وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} .
وَتَحَوُّلُ الْكَلَامِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْمُوَاجَهَةِ بِكَافِ الْخِطَابِ وَهُوَ مُنَاسَبَة
لِأَنَّهُ لَمَّا أَثْنَى عَلَى اللَّهِ فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ تَعَالَى؛
فَلِهَذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}
وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ
الْكَرِيمَةِ بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى وَإِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛
وَلِهَذَا لَا تَصِحُّ صَلَاةُ مَنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ
كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

"لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" (2) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ

فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ

إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الْفَاتِحَةِ: 2]

قَالَ: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الْفَاتِحَةِ: 3]

قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الْفَاتِحَةِ: 4]

قَالَ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي

وَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الْفَاتِحَةِ: 5]

قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ

فَإِذَا قَالَ:

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الْفَاتِحَةِ: 6 7]

قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"

. وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ.

وَإِنَّمَا قَدَّمَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} عَلَى {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثم قال تعالى:

(ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ)

أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم،

1–وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته،

وهو معرفة الحق والعمل به، ***(((لا اعوجاج فيه)))

2–***المتـــــابعة لله و للرسول فرُوي انه كتاب الله

3-***الحـــــق

4-***الصـــــراط هو الاسلام

مسند أحمد مخرجا

17634 - عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺقَالَ:

" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

وَ عَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ

وَ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ

وَ عَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ

ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَعَرَّجُوا

وَ دَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ

فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ

قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ

وَ الصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ
وَ السُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ
وَ الْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ
وَ ذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ
وَ الدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ "

*** كُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ

فَإِنَّ مَن اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ وَاقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدِ اتَّبَعَ الْحَقَّ وَمَنِ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَقَدِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ
وَمَنِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

-فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط.

فالهداية إلى الصراط:

1-لزوم دين الإسلام،

2-وترك ما سواه من الأديان،

والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا.

فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد

ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.

*** لما تقدم الثناء على المسؤول تَبَارَكَ وَتَعَالَى
نَاسَبَ أَنْ يُعَقَّبَ بِالسُّؤَالِ؛ كَمَا قَالَ:
"فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"

وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ أَنْ يَمْدَحَ مسؤوله

ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ [وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: {اهْدِنَا}]

لِأَنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ وَأَنْجَعُ لِلْإِجَابَةِ

وَلِهَذَا أَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَكْمَلُ

انواع الهداية:-

*** وَالْهِدَايَةُ هَاهُنَا:

1-الْإِرْشَادُ

2-وَالتَّوْفِيقُ

وَقَدْ تَعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا كَمَا هُنَا

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

فَتَضَمَّنُ مَعْنَى أَلْهِمْنَا أَوْ وَفِّقْنَا أَوِ ارْزُقْنَا أَوِ اعْطِنَا؛

{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [الْبَلَدِ: 10]

أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ

وَقَدْ تَعَدَّى بِإِلَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

[النَّحْلِ: 121]

{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصَّافَّاتِ: 23]

وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشُّورَى: 52]

وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الْأَعْرَافِ: 43]

أَيْ وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا
وهذا الصراط المستقيم هو:

(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ)

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
*** هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ حَيْثُ قَالَ:
{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النِّسَاءِ: 69 70] .

(غَيۡرِ) صراط

(ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ)

الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم. وغير صراط

(وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)

***وأكد الكلام ب(وَلَا)
لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمّ مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ
وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
*** إِنَّمَا جِيءَ بِهَا لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ
لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}
وَلِلْفَرْقِ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ لِتُجْتَنَبَ كُلٌّ مِنْهُمَا؛

فَإِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ
وَالْيَهُودُ فَقَدُوا الْعَمَلَ
وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛
وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْيَهُودِ وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى
لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ اسْتَحَقَّ الْغَضَبَ بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ.
وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ
لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ الْحَقِّ ضَلُّوا
وَكُلٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ
لَكِنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْيَهُودِ الْغَضَبُ

كَمَا قَالَ فِيهِمْ: {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ}] [الْمَائِدَةِ: 60]

وَأَخَصُّ أَوْصَافِ النَّصَارَى الضَّلَالُ كَمَا قَالَ:

{قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}] [الْمَائِدَةِ: 77]

وَبِهَذَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ.

*** سنن الترمذي ت بشار

2954 - عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضُلَّالٌ

-الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم.

فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن،

أولا :-فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة:

1- توحيد الربوبية يؤخذ من قوله:

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

2-وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ:

﴿ اللَّهِ ﴾ ومن قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

3-وتوحيد الأسماء والصفات،

وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه،

وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه،

وقد دل على ذلك لفظ ﴿ الْحَمْدُ ﴾ كما تقدم.

ثانيا:-و تضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

ثالثا:-و إثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

رابعا:-و تضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة،

خلافا للقدرية و الجبرية.

بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

خامسا:-وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة

في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فالحمد لله رب العالمين.

*** اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السورة الكريمة وهي سبع آيات

1-عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا

2- وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ

3-وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ

4-وَإِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مُمَاثِلٌ .

4-وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفضي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

5-وَ اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

6- وَ التَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكَ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}

وَحَذْفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}

وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم} **الآية [المجادلة: 14]**

7-وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بِقدَرِه كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} **[الْكَهْفِ: 17] .**

وَقَالَ: {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}
[الْأَعْرَافِ: 186] .
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ
لَا كَمَا تَقُولُهُ الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ
مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ
وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ
وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ
وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:
صحيح مسلم
(2665) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:
{هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ* فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ* وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ* وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا* وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»

قال بن كثير:
يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آلِ عِمْرَانَ: 7]
فَلَيْسَ -بِحَمْدِ اللَّهِ-لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛
لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مُفَرِّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛
لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

*** فَصْلٌ

يُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ [مِثْلَ: يس]
وَيُقَالُ: أَمِينَ. بِالْقَصْرِ أَيْضًا [مِثْلَ: يَمِينٍ]
وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ
وَالدَّلِيلُ عَلَى استحباب التأمين
مسند أحمد مخرجا
18842 عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺقَرَأَ:
{وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] فَقَالَ: «آمِينَ» يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ
*** صحيح البخاري
780 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
" إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ -
وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: آمِينَ "
*** صحيح مسلم
(410) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:
" إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ.
وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ.
فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "

*** صحيح مسلم -404
عن أبي موسي مرفوعا"
إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ
فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذْ قَالَ
(((يعني الامام))) {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]
فَقُولُوا: آمِينَ يُجِبْكُمُ اللهُ
*** سنن ابن ماجه -856
عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَ التَّأْمِينِ»

تفسير سورة البقرة–و هي مدنية

صحيح مسلم -780

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:
«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»

***** صحيح مسلم**

(804) عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:
«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ،
اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ،
فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ،
أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ،
تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ،
فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»
قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ،( )

(الزَّهْرَاوَيْنِ) سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما
(كأنهما غمامتان أو إنهما غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة
والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرة وغيرهما
قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين
(كأنهما فِرْقَانِ من طير صواف) وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف الفرقان
والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فِرْق وحزق وحزيقة وقوله
من طير صواف جمع صافة
وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء
(تحاجان عن أصحابهما)
أي تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

أصناف الناس فى العبادة 1-20 أولا :-صفات المؤمنين 1-5

تقدم الكلام على البسملة.

وأما الحروف المقطعة في أوائل السور،

فالأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي ،

مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها.

(الٓمٓ)

*** قُلْتُ: مَجْمُوعُ الْحُرُوفِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ مِنْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا، وَهِيَ: ال م ص ر ك ي ع ط س ح ق ن، يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: (((نَصٌّ حَكِيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ))) وَ هِيَ نِصْفُ الْحُرُوفِ عَدَدًا

(ولا يستطيعها) أي لا يقدر على تحصيلها]

*** وَلِهَذَا كُلُّ سُورَةٍ افْتُتِحَتْ بِالْحُرُوفِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا الِانْتِصَارُ لِلْقُرْآنِ وَبَيَانُ إِعْجَازِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ،
وَهُوَ الْوَاقِعُ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً، وَلِهَذَا يَقُولُ تَعَالَى:

{الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الْبَقَرَةِ: 1، 2] .

{الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [آلِ عِمْرَانَ: 1-3] .

{المص * كِتَابٌ أُنزلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الْأَعْرَافِ: 1، 2] .

{الر كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [إِبْرَاهِيمَ: 1]

{الم * تَنزيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [السَّجْدَةِ: 1، 2] .

{حم * تَنزيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [فُصِّلَتْ: 1، 2] .

{حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الشُّورَى: 1-3] ،

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ لمن أمعن النظر، وقوله

(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ)

أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين.

ف (لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ)

ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده،

إذ ضد الريب و الشك" اليقين"

فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب،

وهذه قاعدة مفيدة:–

أن النفي المقصود به المدح لا بد أن يكون متضمنا لضده، وهو الكمال،

لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه.

***كقوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [السجدة: 2]

–فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال:

(هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)

والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه،

وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال

(هُدًى) وحذف المعمول،

فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم،

وأنه هدى لجميع مصالح الدارين،

فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية،

ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف،

ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم.

وقال في موضع آخر: {هُدًى لِلنَّاسِ} [البقرة: 185]

فعمم، وفي هذا الموضع وغيره

(هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)

لأنه في نفسه هدى لجميع الخلق.

فالأشقياء لم يرفعوا به رأسا، ولم يقبلوا هدى الله،

فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم،

وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية،

وهو التقوى التي حقيقتها:

اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه،

بامتثال أوامره،

واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: 29]

-فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية.

ولأن الهداية نوعان:

1-هداية البيان،

2- وهداية التوفيق.

فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق.

وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة .

*** وَخُصَّتِ الْهِدَايَةُ للمتَّقين. كَمَا قَالَ:

{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فُصِّلَتْ: 44] .

{وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا} [الْإِسْرَاءِ: 82]

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى اخْتِصَاصِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفْعِ بِالْقُرْآنِ؛

لِأَنَّهُ هُوَ فِي نَفْسِهِ هُدًى، وَلَكِنْ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الْأَبْرَارُ،

كَمَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يُونُسَ: 57] .

*** وَأَصْلُ التَّقْوَى: التَّوَقِّي مِمَّا يَكْرَهُ لِأَنَّ أَصْلَهَا وَقْوَى مِنَ الْوِقَايَةِ.

قَالَ النَّابِغَةُ:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ ...

***وقال ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى ...

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى ...

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى ...

ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة،

لتضمن التقوى لذلك فقال:

(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ)

حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل،

المتضمن لانقياد الجوارح،

وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس،

فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر.

إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده،

وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله.

فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر،

لأنه تصديق مجرد لله ورسله.

فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله،

سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله،

أو لم يهتد إليه عقله وفهمه.

بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية،

لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم.

وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بـ بجميع ما أخبر الله به من الغيوب

الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها،

وما أخبرت به الرسل من ذلك

فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها.

*** أَمَّا الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ فَيُطْلَقُ عَلَى التَّصْدِيقِ الْمَحْضِ،
وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْقُرْآنِ، وَالْمُرَادُ بِهِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} [التَّوْبَة: 61] ،
وَكَمَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِأَبِيهِمْ: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}
[يُوسُفَ: 17] ،
وَكَذَلِكَ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَقْرُونًا مَعَ الْأَعْمَالِ؛ كَقَوْلِهِ:
{إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الِانْشِقَاقِ: 25، وَالتِّينِ: 6]
، فَأَمَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ مُطْلَقًا فَالْإِيمَانُ الشَّرْعِيُّ الْمَطْلُوبُ
لَا يَكُونُ إِلَّا اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا.
*** هَكَذَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ، بَلْ قَدْ حَكَاهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
وَأَبُو عُبَيد وَغَيْرُ وَاحِدٍ إِجْمَاعًا: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

***{يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}

قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَنَّتِه وَنَارِهِ
وَلِقَائِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ، فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ.
*** أَمَّا الغيب فَمَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ، وَأَمْرِ النَّارِ،
وَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ.
*** بِالْقَدَرِ. فَكُلُّ هَذِهِ مُتَقَارِبَةٌ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ؛
لِأَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ.
ثم قال:

(وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ)

لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة،

لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة.

فإقامة الصلاة

***إقامتها ظاهرا:-**

بإتمام أركانها، و واجباتها، و شروطها.

***و إقامتها باطنا:- بإقامة روحها،**

(((و هو حضور القلب فيها، و تدبر ما يقوله و يفعله منها)))

فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها:

{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45]

وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته،

إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها.

ثم قال:

(وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)

-يدخل فيه النفقات الواجبة ((كالزكاة))،

والنفقة على الزوجات والأقارب،والمماليك ونحو ذلك.

والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير.

-و لم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله،

ولأن النفقة من حيث هي، قربة إلى الله،

وأتى بـ « من » الدالة على التبعيض،

لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم،

غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم.

وفي قوله:

(رَزَقْنَاهُمْ) إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم،

ليست حاصلة بقوتكم وملككم،

وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم،

فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده،

فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، و واسوا إخوانكم المعدمين.

---وكثيرا ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن:-

- لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود،

-والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده،

فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق،

كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان.

*** صحيح البخاري

8 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "( )

ثم قال:

(وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ)

وهو القرآن والسنة، قال تعالى:

{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: 113]

فالمتقون يؤمنون بجميع ما جاء به الرسول،

ولا يفرقون بين بعض ما أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ولا يؤمنون ببعضه،

إما بجحده أو تأويله، على غير مراد الله ورسوله،

كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة

الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم،

بما حاصله عدم التصديق بمعناها،

وإن صدقوا بلفظها، فلم يؤمنوا بها إيمانا حقيقيا.

و قوله:

(بني الإسلام على خمس) أعمال الإسلام خمس هي له كالدعائم بالنسبة للبناء لا وجود له إلا بها]

(وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ) يشمل الإيمان بالكتب السابقة،

ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل

وبما اشتملت عليه، خصوصا التوراة و الإنجيل و الزبور،

وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية و بجميع الرسل

فلا يفرقون بين أحد منهم.

ثم قال:

(وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ)

*** بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ.
وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْآخِرَةُ لِأَنَّهَا بَعْدَ الدُّنْيَا،

و « الآخرة » اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم،

لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛

ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل،

و « اليقين » هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

(أُوْلَٰٓئِكَ) أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة

(عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ)

***أَنَّهُمْ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَبُرْهَانٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ، بِتَسْدِيدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ،
وَتَوْفِيقِهِ لَهُمْ

أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم،

وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة:–

للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة،

وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم، وما سواها مما خالفها فهو ضلالة.

–وأتى بـ « على » في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء،

–وفي الضلالة يأتي بـ « في » كما في قوله:

{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ: 24]

لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتَقر.

ثم قال:

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

*** المُنْجِحون الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللَّهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ، مِنَ:-

1-الْفَوْزِ بِالثَّوَابِ،

2-وَ الْخُلُودِ فِي الْجَنَّاتِ،

3-وَ النَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعِقَابِ

– والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب،

حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم،

وما عدا تلك السبيل،

فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك.

فلهذا لما ذكر صفات المؤمنين حقا،

ذكر صفات الكفار المظهرين لكفرهم، المعاندين للرسول، فقال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ

وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١

أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ

أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣

وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ

قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤

ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ

وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦

صفات الكافرين 6-7

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

يخبر تعالى أن الذين كفروا،

أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفا لهم لازما،

***غطوا الحق و ستروه

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96، 97]

وَقَالَ فِي حَقِّ الْمُعَانِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ:

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: 145]

أَيْ: إِنَّ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ فَلَا مُسْعِد لَهُ، وَمَنْ أضلَّه فَلَا هَادِيَ لَهُ،

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، وَبَلِّغْهُمُ الرِّسَالَةَ،

فَمَنِ اسْتَجَابَ لَكَ فَلَهُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَمَنْ تَوَلَّى فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

وَلَا يُهْمِدَنَّك ذَلِكَ؛ {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرَّعْدِ: 40] ،

وَ {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هُودٍ: 12] .

سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ

لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ،

إنهم مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون،

وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه،

فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة،

وكأن في هذا قطعا لطمع الرسول ﷺفي إيمانهم، وأنك لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات.

ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال:

(خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ)

أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان،

ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.

*** قَالَ الْقُرْطُبِيُّ:

وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْخَتْمِ وَالطَّبْعِ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ مُجَازَاةً لِكُفْرِهِمْ كَمَا قَالَ:

{بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وَذِكْرُ حَدِيثِ تَقْلِيبِ الْقُلُوبِ:-

صحيح مسلم

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:

«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا،

فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،

وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ

حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا

فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،

وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا،

وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»،

قَالَبن جرير وَالْحَقُّ عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا صَحّ بِنَظِيرِهِ الخبرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَهُوَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ﷺ:
(إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَة سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ ونزعَ وَاسْتَعْتَبَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الْمُطَفِّفِينَ: 14]
ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنَّ:-
الذُّنُوبَ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَى الْقُلُوبِ أَغْلَقَتْهَا،
وَإِذَا أَغْلَقَتْهَا أَتَاهَا حِينَئِذٍ الْخَتْمُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالطَّبْعُ،
فَلَا يَكُونُ لِلْإِيمَانِ إِلَيْهَا مَسْلَكٌ،
وَلَا لِلْكُفْرِ عَنْهَا مُخَلِّصٌ،
فَذَلِكَ هُوَ الْخَتْمُ وَالطَّبْعُ الَّذِي ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}
نَظِيرُ الطَّبْعِ وَالْخَتْمِ عَلَى مَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ مِنَ الْأَوْعِيَةِ وَالظُّرُوفِ الَّتِي لَا يُوصَلُ إِلَى مَا فِيهَا إِلَّا بِفَضِّ ذَلِكَ عَنْهَا ثُمَّ حَلِّهَا،
فَكَذَلِكَ لَا يَصِلُ الْإِيمَانُ إِلَى قُلُوبِ مَنْ وَصَفَ اللَّهُ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ فَضِّ خَاتَمِهِ وحَلّه رِبَاطَهُ عَنْهَا .
وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَقْفَ التَّامَّ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:
{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}
، وَقَوْلُهُ {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}
جُمْلَةٌ تَامَّةٌ، فَإِنَّ الطَّبْعَ يَكُونُ عَلَى الْقَلْبِ وَعَلَى السَّمْعِ، وَالْغِشَاوَةَ – وَهِيَ الْغِطَاءُ-تَكُونُ عَلَى الْبَصَرِ
(وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ)

أي: غشاء وغطاء وأكنة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم،

وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم،

فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى عندهم،

وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق، كما قال تعالى:

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام: 110]

* الميسر :فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة

و هذا عقاب عاجل.

ثم ذكر العقاب الآجل، فقال:

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم.

ثم قال تعالى في وصف المنافقين الذين ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر فقال:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

**** لَمَّا تَقَدَّمَ وَصْفُ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَدْرِ السُّورَةِ بِأَرْبَعِ آيَاتٍ،

صفات المنافقين 8-20

ثُمَّ عَرَّفَ حَالَ الْكَافِرِينَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ،
شَرَعَ تَعَالَى فِي بَيَانِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ
الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ
وَلَمَّا كَانَ أَمْرُهُمْ يَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِمْ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كُلٌّ مِنْهَا نِفَاقٌ،
كَمَا أَنْزَلَ سُورَةَ بَرَاءَةٌ فِيهِمْ، وَسُورَةَ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمْ،
وَذَكَرَهُمْ فِي سُورَةِ النُّورِ وَغَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ،
تَعْرِيفًا لِأَحْوَالِهِمْ لِتُجْتَنَبَ،
وَيُجْتَنَبُ مَنْ تَلَبَّسَ بِهَا أَيْضًا
***وَإِنَّمَا نَزَلَتْ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ؛
لِأَنَّ مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نِفَاقٌ، بَلْ كَانَ خِلَافُهُ،
مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ يُظْهِرُ الْكُفْرَ مُسْتَكْرَها، وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُؤْمِنٌ،
فلمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ بِهَا الْأَنْصَارُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ،
وَكَانُوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، عَلَى طَرِيقَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ،
وَبِهَا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى طَرِيقَةِ أَسْلَافِهِمْ،
وَكَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلَ: بَنُو قَيْنُقَاعٍ حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو النَّضِيرِ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ حُلَفَاءُ الْأَوْسِ، فلمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة،
وأسلم من أسلم مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ قَبِيلَتَيِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ،
وَقَلَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلام، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ نِفَاقٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدُ شَوْكَةٌ تُخَافُ،
بَلْ قَدْ كَانَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَادَعَ الْيَهُودَ وَقَبَائِلَ كَثِيرَةً مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوَالَيِ الْمَدِينَةِ،
فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى وَأَظْهَرَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَأَعْلَى الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ،

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيِّ بْنِ سَلُولَ، وَكَانَ رَأْسًا فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مِنَ الْخَزْرَجِ،
وَكَانَ سَيِّدَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،
وَكَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ،
فَجَاءَهُمُ الْخَيْرُ وَأَسْلَمُوا، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ، فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ،
فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ
قَالَ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّه فَأَظْهَرَ الدُّخولَ فِي الْإِسْلَامِ،
وَدَخَلَ مَعَهُ طَوَائِفُ مِمَّنْ هُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَنِحْلَتِهِ،
وَآخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَمِنْ ثَمّ وُجِد النِّفَاقُ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ،
فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُهَاجِرُ مكرَهًا،
بَلْ يُهَاجِرُ وَيَتْرُكُ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَأَرْضَهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.
***وَلِهَذَا نبَّه اللَّهُ، سُبْحَانَهُ، عَلَى صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِظَاهِرِ أَمْرِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَيَقَعُ بِذَلِكَ فَسَادٌ عَرِيضٌ مِنْ عَدَمِ الِاحْتِرَازِ مِنْهُمْ،
وَمِنَ اعْتِقَادِ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ كُفَّارٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،
وَهَذَا مِنَ الْمَحْذُورَاتِ الْكِبَارِ، أَنْ يُظَنَّ بِأَهْلِ الْفُجُورِ خَيْر،
فَقَالَ تَعَالَى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}
أَيْ: يَقُولُونَ ذَلِكَ قَوْلًا لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ آخَرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}
[الْمُنَافِقُونَ: 1]
إنما يقولون ذلك إذا جاؤوك فَقَطْ، لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛
وَلِهَذَا يُؤَكِّدُونَ فِي الشَّهَادَةِ بِإِنْ وَلَامِ التَّأْكِيدِ فِي خَبَرِهَا؛
كَمَا أكَّدوا قَوْلَهُمْ: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ}

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَمَا أكْذبهم اللَّهُ فِي شَهَادَتِهِمْ،
وَفِي خَبَرِهِمْ هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى اعْتِقَادِهِمْ، بِقَوْلِهِ:
{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} **[الْمُنَافِقُونَ: 1] ،**

وَبِقَوْلِهِ {وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}

----واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير و إبطان الشر،

و يدخل في هذا التعريف :-

1-النفاق الاعتقادي

2-و النفاق العملي

كالذي ذكر النبي ﷺفي قوله-:

« آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان »

و في رواية: « وإذا خاصم فجر »

و أما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام،
*****يخلد صاحبه في النار*****

فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة و غيرها،

و لم يكن النفاق موجودا قبل هجرة الرسول ﷺمن مكة إلى المدينة،

و بعد أن هاجر، فلما كانت وقعة « بدر » و أظهر الله المؤمنين وأعزهم،

ذل من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة،

و لتحقن دماؤهم، و تسلم أموالهم،

فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم،

وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلا أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها،

لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم قال تعالي :

{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} [التوبة: 64]

فوصفهم الله بأصل النفاق فقال:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ)

فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله:

(وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)

لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان،

يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

* **الميسر:يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بإظهارهم الإيمان وإضمارهم الكفر**

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [الْمُجَادَلَةِ: 18]

***{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 142]

و إنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين.

و المخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا،

و يبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع،

فهؤلاء المنافقون، سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك،

فعاد خداعهم على أنفسهم،

فإن هذا من العجائب؛ لأن المخادع،:-

1- إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد

2- أو يسلم، لا له ولا عليه،

وهؤلاء عاد خداعهم عليهم،

وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛

لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم شيئا وعباده المؤمنون،

لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان،

فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم،

وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا،

والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة.

ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع،

بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم،

والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ

وقوله: (فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا)

والمراد بالمرض هنا: مرض الشك و الشبهات و النفاق،

لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله:

1–مرض الشبهات الباطلة،

2– و مرض الشهوات المردية،

–فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات،

– والزنا، ومحبة الفواحش و المعاصي وفعلها، من مرض الشهوات ،

كما قال تعالى:

{فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب: 32]

وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين،

فحصل له اليقين و الإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية.

وفي قوله عن المنافقين:

(فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)

بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين،

وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها

كما قال تعالى:

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام: 110]

وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف: 5]

وقال تعالى:

{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 125]

فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها،

قال تعالى:

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا } [مريم: 76].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

أي: إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض،

وهو العمل بالكفر والمعاصي،

ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين

(قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ)

فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض،

وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح،

قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا،

وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية،

مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه.

ولما كان في قولهم:

(إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)

حصر للإصلاح في جانبهم – وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح – قلب الله عليهم دعواهم بقوله:

(أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ)

فإنه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله،

وصد عن سبيل الله،

وخادع الله وأولياءه،

و والى المحاربين لله ورسوله،

وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذا الفساد فساد؟ !!

و لكن لا يعلمون علما ينفعهم،

و إن كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله،

و إنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفسادا،

لأنه يتضمن فساد ما على وجه الأرض من الحبوب والثمار والأشجار،والنبات،

بما يحصل فيها من الآفات بسبب المعاصي،

ولأن الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به،

لهذا خلق الله الخلق،

وأسكنهم في الأرض،

وأدر لهم الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته وعبادته،

فإذا عمل فيها بضده، كان سعيا فيها بالفساد فيها،

وإخرابا لها عما خلقت له.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ)

أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي:

كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان،

قالوا بزعمهم الباطل:

أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ؟

يعنون – قبحهم الله – الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم أن سفههم

أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار،

والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك،

فنسبوهم إلى السفه؛ وفي ضمنه أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى.

(أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ)

فرد الله ذلك عليهم، و أخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة،

لأن حقيقة السفه :-

1–جهل الإنسان بمصالح نفسه،

2– و سعيه فيما يضرها، و هذه الصفة منطبقة عليهم و صادقة عليهم،

كما أن العقل و الحجا:–

معرفة الإنسان بمصالح نفسه،

و السعي فيما ينفعه،

و في دفع ما يضره،

و هذه الصفة منطبقة على الصحابة و المؤمنين وصادقة عليهم،

فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة، والأقوال الفارغة.

ثم قال تعالى:

(وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا)

هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم،

و ذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين،

أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم،

(وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ)–

أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر –

*** سَادَتِهِمْ وَ كُبَرَاءِهِمْ وَرُؤَسَاءِهِمْ من أحبار اليهود و رؤوس الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ.

(قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ)

* الميسر:-وإنما كانوا يَسْتَخِفُّون بالمؤمنين، و يسخرون منهم.

قالوا: إنا معكم في الحقيقة، و إنما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم،
أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة،
و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

قال تعالى: (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)

و هذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده،

فمن استهزائه بهم :-

1-أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء و الحالة الخبيثة،
حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم،

2-و من استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا
فإذا مشى المؤمنون بنورهم،طفئ نور المنافقين
و بقوا في الظلمة بعد النور متحيرين،
فما أعظم اليأس بعد الطمع،

{ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}
[الحديد: 14]

***كقوله {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آلِ عِمْرَانَ: 178]

قوله: (وَيَمُدُّهُمْ)

أي: يزيدهم

(فِى طُغۡيَٰنِهِمۡ)

أي: فجورهم وكفرهم،

***المجاوزة في الشئ كَمَا قَالَ:

{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الْحَاقَّةِ: 11]

(يَعۡمَهُونَ)

أي: حائرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم.

*** {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ(55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: 55، 56]

*** {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } [الأعراف: 182، 183]

***كلما أحدثوا ذنبا احدث لهم نعمة و هي في الحقيقة نقمة

*** {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ* فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: -45-44]

*** قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ يَزِيدُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِمْلَاءِ وَ التَّرْكِ لَهُمْ فِي عُتُوّهم و تَمَرّدهم، كَمَا قَالَ:

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الْأَنْعَامِ: 110] .

ثم قال تعالى كاشفا عن حقيقة أحوالهم:

(أُوْلَٰٓئِكَ)

أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات

(ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ)

وَ حَاصِلُ قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ فِيمَا تَقَدَّمَ:

أَنَّ الْمُنَافِقِينَ عَدَلوا عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ،

وَ اعْتَاضُوا عَنِ الْهُدَى بِالضَّلَالَةِ، وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى}

أَيْ بَذَلُوا الْهُدَى ثَمَنًا لِلضَّلَالَةِ،

-*- وَ سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِيمَانُ

ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ إِلَى الْكُفْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ:

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الْمُنَافِقُونَ: 3] ،

-*-أَوْ أَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى،

كَمَا يَكُونُ حَالُ فَرِيقٍ آخَرَ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَنْوَاعٌ وَأَقْسَامٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}

أَيْ: مَا رَبِحَتْ صَفْقَتُهُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ،

{وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}

أَيْ: رَاشِدِينَ فِي صَنِيعِهِمْ ذَلِكَ.

أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة،

فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة،

و جعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن،

فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها،

فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم .

و إذا كان من بذل دينارا في مقابلة درهم خاسرا،

فكيف من بذل جوهرة و أخذ عنها درهما؟

« فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة،

و اختار الشقاء على السعادة، و رغب في سافل الأمور عن عاليها ؟ »

فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة.

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [الزمر: 15]

وقوله: (وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ)

تحقيق لضلالهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء،

فهذه أوصافهم القبيحة.

ثم ذكر مثلهم الكاشف لها غاية الكشف، فقال:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ

ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ

ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ

وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ

فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ

أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا)

أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا،

أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره،

ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه،

(فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ)

و نظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها،

و انتفع بتلك النار، و قرت بها عينه، و ظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك،

(ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ)

إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور،
وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة،
فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق،
فبقي في ظلمات متعددة: –
ظلمة الليل،
و ظلمة السحاب،
و ظلمة المطر،
و الظلمة الحاصلة بعد النور،
***الظلمات: الشك و الكفر و النفاق
فكيف يكون حال هذا الموصوف؟
فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين،
ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم،
و سلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا،
فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت،
فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم و غم و عذاب،
و حصل لهم ظلمة القبر، و ظلمة الكفر، و ظلمة النفاق،
و ظلم المعاصي على اختلاف أنواعها،
و بعد ذلك ظلمة النار و بئس القرار .

*** وَفِي هَذَا الْمَثَلِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فلهذا قال تعالى عنهم :

(صُمٌّ)

أي: عن سماع الخير،

(بُكۡمٌ)

أي : عن النطق به،

(عُمۡيٌ)

عن رؤية الحق،

***كقوله {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الْحَجِّ: 46]

(فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ)

لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه،

بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال،

فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم.

ثم قال تعالى:

(أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)

يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء،

و هو المطر الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة،

(فِيهِ ظُلُمَٰتٌ)

ظلمة الليل، و ظلمة السحاب، و ظلمات المطر،

***الظلمات: الشك و الكفر و النفاق

(وَرَعْدٌ)

و هو الصوت الذي يسمع من السحاب،

***وَهُوَ مَا يُزْعِجُ الْقُلُوبَ مِنَ الْخَوْفِ،

فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ وَالْفَزَعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ } [الْمُنَافِقُونَ: 4]

***وَقَالَ: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ* لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}

[التَّوْبَةِ: 56، 57] .

(وَبَرْقٌ)

و هو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب.

*** هُوَ مَا يَلْمَعُ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الضَّرْبِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ؛

(يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ)

***وَ الصَّوَاعِقُ:

جَمْعُ صَاعِقَةٍ، وَهِيَ نَارٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَقْتَ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ،

وَ لَا يُجْدِي عَنْهُمْ حَذَرُهُمْ شَيْئًا؛

لِأَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِهِمْ بِقُدْرَتِهِ، وَ هُمْ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَ إِرَادَتِهِ، كَمَا قَالَ:

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ *

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [الْبُرُوجِ: 17-20] .

(يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ)

*** لِشِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ، وَعَدَمِ ثَبَاتِهَا لِلْإِيمَانِ

(كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم) البرق في تلك الظلمات

*** كُلَّمَا أَصَابَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ،

وَإِنْ أَصَابَ الْإِسْلَامَ نَكْبَةٌ قَامُوا لِيَرْجِعُوا إِلَى الْكُفْرِ، كَقَوْلِهِ:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ

}الْآيَةَ [الْحَجِّ: 11] .

(مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ)

أي: وقفوا.([1])

فهكذا حال المنافقين،

إذا سمعوا القرآن و أوامره و نواهيه و وعده و وعيده،

جعلوا أصابعهم في آذانهم،

–و أعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيده،

–فيروعهم وعيده

–و تزعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم،

---

[1] و ثبتوا ليس معناها أنهم كانوا قعودا فوقفوا

و يكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد،

-و يجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة.

-و أما المنافقون فأنى لهم السلامة، و هو تعالى محيط بهم، قدرة و علما

فلا يفوتونه و لا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم،

و يجازيهم عليها أتم الجزاء.

و لما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي،

و مسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى:

(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ)

أي: الحسية، ففيه تحذير لهم و تخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا،

فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم،

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)

فلا يعجزه شيء،و من قدرته أنه إذا شاء شيئا فعله من غير ممانع و لا معارض.

و في هذه الآية وما أشبهها، رد على:-

القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى،

لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله:

(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

*** أَيْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ مَا أَرَادَ بِعِبَادِهِ مِنْ نِقْمَةٍ، أَوْ عَفْوٍ، قَدِيرٌ.

*** فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا صَارَ النَّاسُ أَقْسَامًا:

1- مُؤْمِنُونَ خُلّص، وَهُمُ الْمَوْصُوفُونَ بِالْآيَاتِ الْأَرْبَعِ فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ،
2- وَ كُفَّارٌ خُلَّصٌ، وَ هُمُ الْمَوْصُوفُونَ بِالْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا،
3- وَ مُنَافِقُونَ، وَ هُمْ قِسْمَانِ:-
1-خُلَّصٌ، وَهُمُ الْمَضْرُوبُ لَهُمُ الْمَثَلُ النَّارِيُّ،
2-وَمُنَافِقُونَ يَتَرَدَّدُونَ، تَارَةً يَظْهَرُ لَهُمْ لُمَعٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَتَارَةً يَخْبُو
وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَثَلِ الْمَائِيِّ، وَهُمْ أَخَفُّ حَالًا مِنَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ.
*** 1***وَ هَذَا الْمَقَامُ يُشْبِهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ النُّورِ،
مِنْ ضَرْبِ مَثَلِ الْمُؤْمِنِ
وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ، بِالْمِصْبَاحِ فِي الزُّجَاجَةِ
الَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرّي،
وَهِيَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْمَفْطُورِ عَلَى الْإِيمَانِ وَاسْتِمْدَادُهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْخَالِصَةِ
الصَّافِيَةِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ وَلَا تَخْلِيطٍ،
كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
2ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلَ العُبّاد مِنَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ،
وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، فِي قَوْلِهِ:
{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا} الْآيَةَ [النُّورِ: 39] .
ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلَ الْكُفَّارِ الجُهَّال الجَهْلَ الْبَسِيطَ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ:
{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِنْ نُورٍ} [النُّورِ: 40]
فَقَسَّمَ الْكُفَّارَ هَاهُنَا إِلَى قِسْمَيْنِ:-

1- دَاعِيَةٌ وَمُقَلِّدٌ، كَمَا ذَكَرَهُمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَجِّ:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}

[الحج: 3]

وَقَالَ بَعْدَهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} **[الْحَجِّ: 8]**

وَقَدْ قَسَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ الْوَاقِعَةِ وَآخِرِهَا

وَفِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ، إِلَى قِسْمَيْنِ:-

1- سَابِقُونَ وَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، 2-وَ أَصْحَابُ يَمِينٍ وَ هُمُ الْأَبْرَارُ.

فَتُلُخِّصَ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ:

<u>أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ صِنْفَانِ:-</u>

1-مُقَرَّبُونَ

2-وَ أَبْرَارٌ،

<u>وَأَنَّ الْكَافِرِينَ صِنْفَانِ:</u>

1-دُعَاةٌ

2-وَ مُقَلِّدُونَ،

<u>وَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ -أَيْضًا-صِنْفَانِ:</u> -

1-مُنَافِقٌ خَالِصٌ،

2-وَ مُنَافِقٌ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ،

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، بخاري 34

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا،

وَ مَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ

كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا:

1-إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ،

2-وَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،

3-وَ إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ

4-وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "

اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ تَكُونُ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ إِيمَانٍ، وَشُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ.

إِمَّا عَمَلِي لِهَذَا الْحَدِيثِ،

أَوِ اعْتِقَادِيٌّ،

كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ،

كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَمَا سَيَأْتِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الاعجاز في الاية

http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=1243

وجد العلماء أن الغلاف الجوي يحوي غيوماً ركامية عالية يبلغ ارتفاعها أكثر من 10 كيلو متر، وهذه الغيوم يكون مركزها مظلماً ولو كنا في وضح النهار!!

وفي مركزها هناك ومضات برق تحدث داخل هذه الغيوم

(في مناطق اختلاف الشحنات الكهربائية)،

وهذا البرق الذي لا نراه على الأرض يولد الرعد أيضاً،

ولذلك وصف القرآن بدقة مذهلة ما يحدث داخل الغيمة: ظلمات وبرق ورعد،

والعلماء لم يكتشفوا ذلك إلا في أواخر القرن العشرين، فسبحان الله!



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

العبودية و أهميتها21-29

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ)

هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة،

لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره،

فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]

ثم استدل على وجوب عبادته وحده،

(ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ)

بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم،

فخلقكم بعد العدم،

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ

وخلق الذين من قبلكم،

وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة،

لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ

***الجزائري: تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله،**

و ذلك بالإيمان و العمل الصالح بعد ترك الشرك و المعاصي.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا

فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها، و تنتفعون بالأبنية، و الزراعة،

والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها،

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ

لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم،

كالشمس، والقمر، والنجوم.

*** وَهُوَ السَّقْفُ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 32]

* **تبين لهم أن هذا الفضاء ليس فضاءً بكل معنى الكلمة، اكتشفوا وجود مادة مظلمة تملأ الكون،**

حتى إن بعض الحسابات تخبرنا بأن نسبة المادة المظلمة

والطاقة المظلمة وهي مادة غير مرئية لا نراها ولا نعرف عنها شيئاً تشغل من الكون أكثر من96 %
والمادة المرئية والطاقة المرئية أيضاً الطاقة العادية يعني لا تشغل إلا أقل من4 % من حجم هذا الكون.
لقد بدأ العلماء يكتشفون بنية معقدة لهذا الكون،
فاكتشفوا بأن المجرات تتوضع على خيوط دقيقة وطويلة تشبه نسيج العنكبوت،
واكتشفوا أيضاً أن المادة المظلمة تنتشر في كل مكان وتسيطر على توزع المجرات في الكون.
وبعد ذلك أدركوا أنه لا يوجد أي فراغ في هذا الكون
فأطلقوا كلمة Building أي "بناء" على هذا الكونص18م9ص590

(وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)

والسماء: هو كل ما علا فوقك فهو سماء،

ولهذا قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء،

(فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ) كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، وزروع وغيرها (رِزۡقًا لَّكُمۡۖ) به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكهون.

***كقوله {اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [غَافِرٍ: 64]

(فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا)

أي: نظراء و أشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله،

وتحبونهم كما تحبون الله،

وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون،

لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون،

*** صحيح البخاري

4761 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

سَأَلْتُ - أَوْ سُئِلَ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ،

قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»

*** الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاة سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ:

وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي،

وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ،

وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ،

وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وشئتَ،

وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلُ فِيهَا "فُلَانَ".

هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ.

(وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير،

ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟

هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين :-

1–الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه،

2–و بيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، و بطلان عبادة من سواه،

و هو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير،

فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك،

فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة،

و هذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، و بطلان الشرك.

و قوله تعالى:

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

يحتمل أن المعنى:–

1– أنكم إذا عبدتم الله وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه،

لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك،

2–و يحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله، صرتم من المتقين

الموصوفين بالتقوى، وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان

فمن أتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين،

حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه.

ذكر حديث في معني هذه الاية

مسند أحمد مخرجا

17170 عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺقَالَ:

" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ،

أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ،
فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ،
وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ.
فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي ".
قَالَ: " فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ،
فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ،
ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أَوَّلُهُنَّ:

1- أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِه بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ،
فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ،
وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

2- وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ
مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا.

3- وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ
فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ،
وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

4- وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ،
فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِه، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ،
فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟
فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

5-وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيراً،
وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ،
فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ،

وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "
قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ:
1- بِالْجَمَاعَةِ،
2-وَالسَّمْعِ،
3-وَالطَّاعَةِ،
4-وَالْهِجْرَةِ،
5-وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ "
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟
قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ،
فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»
ثم قال تعالى:

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)

وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله ﷺوصحة ما جاء به، فقال:

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)

معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه،

مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره ؟

فهاهنا أمر نصف، فيه الفيصلة بينكم وبينه،

وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم

وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ،

فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه،

فإن كان الأمر كما تقولون،

فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ

فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من

(شُهَدَآءَكُم)أعوانكم وشهدائكم،

مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة،

والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم،

***كقوله {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الْقَصَصِ: 49]

وَقَالَ فِي سُورَةِ سُبْحَانَ: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الْإِسْرَاءِ: 88]

وَ قَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هُودٍ: 13]

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يُونُسَ: 37، 38]

وَ كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ مَكِّيَّةٌ.

(**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ**)

وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز،

ولن تأتوا بسورة من مثله،

ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى،

ودليل واضح جلي على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه،

*** ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ -أَيْضًا-فِي الْمَدِينَةِ، فَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} أَيْ: فِي شَكٍّ {مِمَّا نزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} يَعْنِي: مِنْ مِثْلِ هَذَ الْقُرْآنِ؛ قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:

{فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} [هُودٍ: 13]

وَقَوْلُهُ: {لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [الْإِسْرَاءِ: 88]

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ مِثْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَعْنِي: مِنْ رَجُلٍ أُمِّيٍّ مِثْلِهِ.

وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّ التَّحَدِّيَ عَامٌّ لَهُمْ كُلِّهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ أَفْصَحُ الْأُمَمِ،
وَقَدْ تَحدَّاهُمْ بِهَذَا فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ، مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ
وَبُغْضِهِمْ لِدِينِهِ، وَمَعَ هَذَا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ؛
وَلِهَذَا قَالَ تَعالَى:
{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا}
"وَلَنْ": لِنَفِي التَّأْبِيدِ أَيْ: وَلَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا.
وَهَذِهِ -أَيْضًا-مُعْجِزَةٌ أُخْرَى، وَهُوَ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يُعَارَضُ بِمِثْلِهِ
أَبَدًا وَكَذَلِكَ وَقَعَ الْأَمْرُ، لَمْ يُعَارَضْ مِنْ لَدُنْهُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُمْكِنُ،
وَأَنَّى يَتَأَتَّى ذَلِكَ لِأَحَدٍ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ؟
وَكَيْفَ يُشْبِهُ كَلَامُ الْخَالِقِ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ؟!
وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَجَدَ فِيهِ مِنْ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فُنُونًا ظَاهِرَةً وَخَفِيَّةً مِنْ حَيْثُ
اللَّفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هُودٍ: 1] ،
فَأُحْكِمَتْ أَلْفَاظُهُ وَفُصِّلَتْ مَعَانِيهِ أَوْ بِالْعَكْسِ عَلَى الْخِلَافِ،
فَكُلٌّ مِنْ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ فَصِيحٌ لَا يُجَارَى وَلَا يُدَانَى،
فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ مَغيبَاتٍ مَاضِيَةٍ وَآتِيَةٍ كَانَتْ وَوَقَعَتْ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ سَوَاءً
بِسَوَاءٍ، وَأَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَنَهَى عَنْ كُلِّ شَرٍّ كَمَا قَالَ:
{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} [الْأَنْعَامِ: 115]
أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ، فَكُلُّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ وَعَدْلٌ وَهُدًى
لَيْسَ فِيهِ مُجَازَفَةٌ وَلَا كَذِبٌ وَلَا افتراء،
كَمَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْمُجَازَفَاتِ الَّتِي لَا
يَحْسُنُ شِعْرُهُمْ إِلَّا بِهَا، كَمَا قِيلَ فِي الشِّعْرِ:
إِنَّ أَعْذَبَهُ أَكْذَبُهُ، وَتَجِدُ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ الْمَدِيدَةَ

قَدِ اسْتُعْمِلَ غَالِبُهَا فِي وَصْفِ النِّسَاءِ أَوِ الْخَيْلِ أَوِ الْخَمْرِ،
أَوْ فِي مَدْحِ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَوْ فَرَسٍ أَوْ نَاقَةٍ أَوْ حَرْبٍ أَوْ كَائِنَةٍ أَوْ مَخَافَةٍ أَوْ سَبُعٍ، أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْمُشَاهَدَاتِ الْمُتَعَيِّنَةِ الَّتِي لَا تُفِيدُ شَيْئًا إِلَّا قُدْرَةَ الْمُتَكَلِّمِ الْمُعَبِّرِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَلَى الشَّيْءِ الْخَفِيِّ أَوِ الدَّقِيقِ أَوْ إِبْرَازُهُ إِلَى الشَّيْءِ الْوَاضِحِ،
ثُمَّ تَجِدُ لَهُ فِيهَا بَيْتًا أَوْ بَيْتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ هِيَ بُيُوتُ الْقَصِيدِ وَسَائِرُهَا هَذَرٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ.
***وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَجَمِيعُهُ فَصِيحٌ فِي غَايَةِ نِهَايَاتِ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَفْصِيلًا وَإِجْمَالًا مِمَّنْ فَهِمَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَتَصَارِيفَ التَّعْبِيرِ،
فَإِنَّهُ إِنْ تَأَمَّلْتَ أَخْبَارَهُ وَجَدْتَهَا فِي غَايَةِ الْحَلَاوَةِ،
سَوَاءٌ كَانَتْ مَبْسُوطَةً أَوْ وَجِيزَةً،
وَسَوَاءٌ تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا
وَكُلَّمَا تَكَرَّرَ حَلَا وَعَلَا
لَا يَخلق عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ،
وَلَا يَمَلُّ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ،
وَإِنْ أَخَذَ فِي الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ جَاءَ مِنْهُ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجِبَالُ الصُّمُّ الرَّاسِيَاتُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْقُلُوبِ الْفَاهِمَاتِ،
وَإِنْ وَعَدَ أَتَى بِمَا يَفْتَحُ الْقُلُوبَ وَالْآذَانَ،
وَيُشَوِّقُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَمُجَاوَرَةِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ،
كَمَا قَالَ فِي التَّرْغِيبِ:
{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}
[السَّجْدَةِ: 17] وَقَالَ:

{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزُّخْرُفِ: 71] ،

وَ قَالَ فِي التَّرْهِيبِ: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ} [الْإِسْرَاءِ: 68]

{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [الْمُلْكِ: 16، 17] وَ قَالَ فِي الزَّجْرِ: {فَكُلًا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} [الْعَنْكَبُوتِ: 40] ،

وَ قَالَ فِي الْوَعْظِ: {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} [الشُّعَرَاءِ: 205 -207]

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ،

وَ إِنْ جَاءَتِ الْآيَاتُ فِي الْأَحْكَامِ وَ الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِي،

اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَمْرِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ حَسَنٍ نَافِعٍ طَيِّبٍ مَحْبُوبٍ،

وَ النَّهْيِ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ رَذِيلٍ دَنِيءٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ:

إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

فَأَوْعِهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَا يُأْمَرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يُنْهَى عَنْهُ.

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}

الْآيَةَ [الْأَعْرَافِ: 157]

وَإِنْ جَاءَتِ الْآيَاتُ فِي وَصْفِ الْمَعَادِ

وَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ

وَ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِمَا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ مِنَ :-

النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ وَالْمَلَاذِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ،

بَشَّرَتْ بِهِ وَحَذَّرَتْ وَأَنْذَرَتْ؛
وَ دَعَتْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُنْكَرَاتِ،
وَ زَهَّدَتْ فِي الدُّنْيَا وَرَغَّبَتْ فِي الْأُخْرَى،
وَ ثَبَّتَتْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى،
وَ هَدَتْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ وَشَرْعِهِ الْقَوِيمِ،
وَ نَفَتْ عَنِ الْقُلُوبِ رِجْسَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
وَ لِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ
صحيح البخاري
4981 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ،
وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ،
فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»( )
-وَ قَوْلُهُ: "وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا" أَيِ:
الَّذِي اخْتَصَصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ هَذَا الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ لِلْبَشَرِ أَنْ يُعَارِضُوهُ،
بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ،
فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مُعْجِزَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
. وَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَصِدْقِهِ
فِيمَا جَاءَ بِهِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(أعطي ما مثله آمن عليه البشر) أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه.
(أوتيته) المعجزة التي أعطيتها.
(وحيا) قرآنا موحى
به من الله تعالى يبقى إعجازه على مر الأزمان ولذلك يكثر المؤمنون به ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي]

(فَاتَّقُوا النَّارَ)

واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة

***أَمَّا الوَقُود، بِفَتْحِ الْوَاوِ، فَهُوَ مَا يُلْقَى فِي النَّارِ لِإِضْرَامِهَا كَالْحَطَبِ وَنَحْوِهِ،

كَمَا قَالَ: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الْجِنِّ: 15]

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}

[الْأَنْبِيَاءِ: 98] .

وَالْمُرَادُ بِالْحِجَارَةِ هَاهُنَا:

هِيَ حِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ الْعَظِيمَةُ السَّوْدَاءُ الصَّلْبَةُ الْمُنْتِنَةُ،

وَهِيَ أَشَدُّ الْأَحْجَارِ حَرًّا إِذَا حَمِيَتْ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا: حِجَارَةُ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا

قَالَ: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} الْآيَةَ [الْأَنْبِيَاءِ: 98]

الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب،

(أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله.

فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله.

وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات التحدي،

وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى

{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88]

-وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟

- أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟

هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان،

وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام،

إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم.

وفي قوله:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ)

إلى آخره،

1- دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: -

هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال،

فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق.

2-و أما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه،

لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه.

3-و كذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق،

بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق.

وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم،

دليل على أن أعظم أوصافه ﷺ، قيامه بالعبودية،

التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين.

كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال:

{سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: 1]

وفي مقام الإنزال،

فقال: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}

[الفرقان: 1]

وفي قوله (أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ)

ونحوها من الآيات،

1- دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة،

2-وفيها أيضا، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار،

لأنه قال: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها،

لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة.

3-وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه،

وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها.

الادلة علي ان النار مخلوقة و موجودة الان:

*** وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ النَّارَ مَوْجُودَةٌ الْآنَ لِقَوْلِهِ: {أُعِدَّتْ} أَيْ: أَرْصِدَتْ وَهُيِّئَتْ وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ مِنْهَا:

صحيح البخاري

4850 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَ النَّارُ،

فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ المُتَجَبِّرِينَ،

وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ،

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،

وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا،

فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ

فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ،

وَ لاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا،

وَ أَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "( )

*** صحيح البخاري

(تحاجت) تخاصمت والله تعالى أعلم بذلك التخاصم.

(أوثرت) اختصصت.

(المتجبرين) جمع متجبر وهو المتعاظم بما ليس فيه والذي لا يكترث بأمره. (سقطهم) الساقطون من أعين الناس والمحتقرون لديهم لفقرهم وضعفهم وقلة منزلتهم.

(من أشاء) ممن استحق العقوبة واكتسب أسبابها]

3260 -عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا
فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ
: نَفَس فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ،
فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ،
وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ "
(الزمهرير) شدة البرد وهو الذي أعده الله تعالى عذابا للكفار في جهنم]
***** صحيح مسلم**
(2844) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً( )
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا،
فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»،
***** وَ حَدِيثُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَقَدْ خَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِجَهْلِهِمْ فِي هَذَا**

(وجبة) أي سقطة

<u>الاعجاز في (((الارض فراشا و السماء بناء))</u>

تضاريس سطح الأرض

يتألف سطح الأرض من سلاسل جبلية عالية وهضاب واسعة الامتداد وسهول مترامية الأطراف، وتلال متناثرة منفردة هنا وهناك، وسبخات وبحيرات وأغوار وخلجان وبحار ومحيطات.

كما تتقطع صخور قشرة الأرض بالأنهار والوديان ويتفجر منها الينابيع والعيون المائية،

وكل من هذه الظواهر المختلفة موزعاً توزيعاً محكماً وبقدر معلوم على سطح الأرض.

بعض الظواهر التضـــــاريسية الرئيسية لسطح الأرض والتي تجعلها فراشا:

<u>أولا/ السهول:</u>

يطلق تعبير

(سهول Plains) على تلك الاراضي المستوية السطح، القليلة التضرس، الضعيفة الانحدار، بغض النظر عن عوامل التعرية المختلفة التي ساهمت في تكوينها ونشاتها.

ويمكن تصنيف السهول إلى ثلاث مجموعات رئيسة هي:

أ ـ <u>السهول الساحلية:</u>

وتتمثل بجوار خط الساحل والمناطق القريبة منه،

ولا يزيد منسوبها غالباً على 500 قدم فوق مستوى سطح البحر.

<u>ب ـ السهول الفيضية النهرية:</u>

وتتمثل بأراضي الأودية النهرية وفوق قاعها وتتألف رواسبها من الحبيبات الصخرية التي حملها النهر وروافده من مناطق المنابع ونقلها إلى المناطق

الوسطى والدنيا من حوض النهر، ويختلف منسوب السهول الفيضية النهرية من موقع إلى آخر على طول أرضية الوادي النهري.

ج ـ السهول التحاتية الجبلية:

تتكون السهول بفعل عوامل تعرية مختلفة، وتتمثل بقاياها فوق أعالي الجبال ومناطق ما بين الأودية النهرية وخطوط تقسيم المياه بين الأودية النهرية المختلفة، ومن ثم يختلف منسوب كل من مجموعاتها من موقع إلى آخر.

وعلى الرغم من تنوع مجموعات هذه السهول واختلاف ظروف نشأتها إلا أن أهم الخصائص المشتركة بين هذه المجموعات السهلية هو عظم امتدادها، واستواء أسطحها وقلة تضرسها،

ولا يزيد متوسط درجة الانحدار العام لسطحها على خمس درجات.

ويعيش الإنسان على سطح الأرض الذي يمثل أعالي قشرتها الخارجية.

وهذه القشرة عبارة عن غلاف صخري رقيق السمك يحيط بالكرة الأرضية، ولكن من حيث الامتداد الأفقي لليابس على سطح الكرة الأرضية

فإنه يمثل 29,20% من جملة مساحة سطحها في حين تمثل المسطحات المائية نحو 70,80% من جملة مساحة سطح الكرة الأرضية البالغ نحو 510 مليون كم2.

ومساحة السهول أكبر بكثير من مساحة المناطق الجبلية المرتفعة على سطح الأرض،

فالاراضي التي يزيد منسوبها على 1000 متر لا تتعدى نسبتها 15% من جملة مساحة اليابسة.

وتمثل السهول الخصبة والسهول الفيضية وسهول الدلتاوات أهم مناطق الاستغلال الاقتصادي والتركيز العمراني والسكاني للإنسان على سطح الأرض.

(ثانياً) : الهضاب:

ويشتمل سطح الأرض على أراضٍ مرتفعة المنسوب ومستوية السطح وواسعة الامتداد،

ولها جوانب عالية شديدة الانحدار تعرف باسم الهضاب **Plateaux**
فسطح الهضاب ـ أيضاً ـ سطح مستوٍ كالسهول
إلا أنها أكثر ارتفاعاً بالنسبة لمستوى الأراضي المجاورة لها.
هذا الارتفاع يتيح للإنسان التمتع بالمناخ المعتدل وزراعة المحاصيل المختلفة كما يؤدي إلى نمو الغابات والنباتات الطبيعية المختلفة وفقاً لدرجات الحرارة المتنوعة وكميات المطر الساقط على كل هذه الهضاب.
والهضاب على سطح الأرض أشكال وانواع يختلف كل منها عن الأخرى،

وقد ميز العلم مجموعات مختلفة من الهضاب تتمثل في الهضاب البركانية والصدعية.
لكي تكون الأرض فراشا ومهادا لابد أن يستقر سطحها فكيف يحدث ذلك؟:
يستقر سطح الأرض بعدة عوامل منها(22) :

1 ـ التوازن الاستاتيكي للقشرة الأرضية:

حيث تتوازن أجزاء سطح الأرض فوق المواد السفلية شبه اللزجة من قشرة الأرض وتشبه طوفان جبال الثلج العائمة فوق مياه البحار القطبية.

وتتميز قاعدة قشرة الأرض عن بقية مواد باطن الأرض عن طـريق الضغـط المتسـاوي فوق السيمـا وعند حالة التوازن التام يطلق على القشرة الأرضية بأنها متوازنة فوق ما تحتها من مواد.
وتشكل الجبال بجذورها الممتدة في باطن الأرض ـ والتي يمكن أن تصل إلى عشرة أضعاف ارتفاعها فوق سطح الأرض ـ العامل الرئيسي في هذا التوازن.
وبهذا يتحقق كونها مهادا وفراشا وقرارا.

2 ـ حركة الأرض ودورها في القرار:

للارض حركتان: الأولى حركة الأرض حيث تدور حول محورها الوهمي :

من الغرب إلى الشرق دورة كاملة في مدة تستغرق يوماً كاملاً بسرعة قصوى عند الدائرة الاستوائية تصل إلى 465 متر/الثانية.
والحركة الثانية هي الحركة الانتقالية حيث تدور الأرض حول الشمس :
من الغرب إلى الشرق في مدار إهليلجي خاص بها لا تحيد عنه،
وتتم دورة كاملة في هذا المدار في مدة سنة كاملة.
وينتج عن الحركة المحورية قوتان ساعدتا في كون الأرض قرارا وفراشا::
قوة الطرد المركزية
والتي تتناسب مع قوة الجذب الشمسي على طول مربع المسافة بين مركزي الشمس والأرض،
ومن ثم أصبح لكوكب الأرض مدار خاص لا يحيد عنه،
وقد ظل منذ نشأته على مسافة ثابتة مقدرة من نجم الشمس
ويسبح في مداره الإهليلجي حولها دون توقف ودون تغير في سرعة دورانه.
والقوة الثانية هي: جاذبية الأرض
حيث تجمعت المعادن الثقيلة في باطن الأرض نتيجة للحركة المحورية الدائمة لكوكب الأرض
بينما تألفت قشرتها الخارجية من معادن خفيفة،
وتتركب الطبقة المركزية في باطن الأرض من معادن ثقيلة جداً مثل الحديد والنيكل، وتصل كثافتها خمسة أضعاف كثافة القشرة
، ومن ثم اكتسبت الأرض ثقلها وقوة جاذبيتها،
ولولا تجمع المعادن الثقيلة والمواد المشعة في باطن الأرض لما استطاعت الأرض أن تحتفظ بما يوجد على سطحها ولانفلت الغلاف الغازي في الفضاء السماوي بعيداً عن سطح الأرض.
وعلى ذلك يمكن القول بأن مياه البحار والمحيطات والغلاف الغازي الذي يحيط بالأرض والإنسان الذي يعيش على سطحها وما أقامه عليها من

منشآت عمرانية، وكل ما هو موجود على السطح الكروي للأرض مثبت عليها بفعل قوة الجاذبية الأرضية.

وجعل الله الأرض في حركة مستمرة للإبقاء على توازنها وموقعها في الفضاء السماوي ولاستمرار احتفاظها بقوة جاذبيتها وثقلها.

ثانياً: الغلاف الـجوي لكوكب الأرض نشأة الغلاف الـجوي:



حاول العلماء معرفة كيفية نشوء الغلاف الجوي بمقارنة الخصائص العامة لكوكب الأرض وبقية كواكب المجموعة الشمسية

وقد اتضح بأن معظم كواكب المجموعة الشمسية ليس لها غلاف جوي،

وقد رأى العلماء أن الغلاف الجوي لكوكب الأرض والذي يتألف أساساً من النيتروجين N_2 والأكسجين O_2 تكون عند بداية ميلاد الكرة الأرضية نفسها

وأثناء مراحل تكوين القشرة الصخرية لسطح الأرض،

فعند انبثاق الغازات الأولية نتيجة لتفاعل المواد المشعة في باطن الأرض تصاعدت الغازات إلى أعلى، ورتبت رأسياً بحسب كثافتها ومدى ثقلها
ومن ثم تركز النيتروجين والأوكسجين بالقسم الأسفل من الغلاف الجوي في حين صعد الهيليوم والأيدروجين عند الأطراف العليا لهذا الغلاف،
وربما أتاحت هذه الظروف القديمة أيضاً الفرصة لتراكم بعض الغازات الفضائية Cosmic gases وتجمعها حول سطح الكرة الأرضية.

تركيب الغلاف الـجوي:

يتألف الغلاف الجوي أساساً من أربعة غازات هي النيتروجين والأكسجين والأرجون وثاني أكسيد الكربون،
حيث تكون هذه الغازات أكثر من 99,9% من جملة حجم الهواء
ويكاد يؤلف النيتروجين نحو 78% في حين يكون الأكسجين نحو 21% من حجم الهواء،
أما بقية النسبة الضئيلة من الغازات فتتمثل في النيون والهيليوم والميثان والكربتون والهيدروجين والزنون والأوزون والرادون .
يقول الدكتور حسن ابو العينين أستاذ الجغرافيا الفلكية(23) :
الغلاف الجوي أو الغازي عبارة عن غطاء سميك من الغازات يحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات
ويتراوح سمكه من 100 إلى أكثر من 200 ميل،
والغلاف الجوي شفاف بالنسبة للأنواع المختلفة من الإشعاع الشمسي التي تخترقه.
وعلى الرغم من أن الهواء أقل كثافة من المياه ومن صخور الأرض،
إلا أن له وزناً ويتولد عنه ضغط تبعاً لمدى ثقله .
وحيث إن الطبقات السفلى من الغلاف الجوي تنضغط بدرجة أكبر من تلك التي في طبقاته العليا،
فإن كثافة الهواء تقل بسرعة مع الارتفاع عن سطح الأرض.

ويقدر العلماء وزن الكتلة الإجمالية للغلاف الجوي بنحو 56 × 10 14 طن.

فوائد الغلاف الـجوي:

يحمي الغلاف الجوي سطح الكرة الأرضية من تساقط بقايا الشهب والنيازك من الفضاء الخارجي،

حيث ينتج عن احتكاك هذه البقايا الكونية بالغلاف الجوي احتراقها قبيل وصولها إلى سطح الأرض،

وفي الغلاف الجوي أيصا تهب الرياح والعواصف،

وتتكون السحب وتسقط الأمطار،

وتتكون تبعا لذلك الموارد المائية على سطح الأرض،

كما أن بعض غازات الهواء(الأكسجين) يعتمد عليه كل من الإنسان والحيوان في عمليات التنفس .

وينظم الغلاف الجوي القوة الكاملة للإشعاع الشمسي الساقط على الأرض،

كما يمنع الفقدان الكلي للإشعاع الأرضي المرتد من سطح الأرض إلى أعالي الغلاف الجوي .

ومن ثم ينظم الغلاف الجوي درجات الحرارة، بحيث تصبح مناسبة تماماً لحياة الإنسان،

وإذا ما تخيلنا عدم وجود الغلاف الجوي حول الأرض لارتفعت درجة حرارة سطح الأرض إلى نحو 220 ف، أثناء النهار،

وانخفضت هذه الحرارة إلى أقل من 300 تحت الصفر أثناء الليل،

ويصبح المدى الحراري اليومي كبيراً جداً كمثل ذلك الذي يتمثل فوق بعض كواكب المجموعة الشمسية،

وتحت هذه الظروف الأخيرة تنعدم الحياة البشرية على سطح الأرض .

ويدخل في تركيب الغلاف الجوي كميات كبيرة كذلك من المواد الصلبة ممثلة في حبيبات الأتربة الدقيقة الحجم والغبار البركاني والرمال الدقيقة الحجم وذرات الدخان،

وتبدو كل هذه الأتربة معلقة في الهواء وتختلف كمياتها اختلافاً كبيراً من منطقة إلى أخرى .

ولا ترى هذه الأتربة الدقيقة الحجم بالعين المجردة

وذلك لأن القسم الكبير منها شبه ميكروسكوبي الحجم،

وهذه الأجسام الدقيقة -والتي تشارك في البناء -لها وظيفة هامة حيث تعمل على امتصاص جزء من الإشعاع الشمسي وكعامل مساعد لعمليات الانعكاس وانتشار الأشعة وحفظ الإشعاع الأرضي داخل طبقة التروبوسفير .

السقف المرئي أوالقبة الزرقاء:

هذا ويعزى اللون الأزرق للسماء واللون الأحمر لغروب الشمس إلى أثر اختلاط الأتربة مع بعض الغازات وقدرتها على انتشار الأشعة الزرقاء والأشعة البنفسجية،

ومعنى ذلك أنه لولا انتشار الأتربة الدقيقة الحجم وبخار الماء

مراحل تكون قشرة الأرض والغلاف الجوي وظهور النباتات علي سطح الأرض بعد نزول الأمطار من السحب

الجوي لظهرت السماء على شكل فضاء لا نهائي أسود اللون،

يلمع فيه قرص الشمس تماماً كما يرى المشاهد النجوم المضيئة في السماء أثناء الليالي شديدة الظلام.

طبقات الغلاف الـجوي:-

ينقسم الغلاف الجوي إلى الطبقات التالية:

1 ـ طبقة التروبوسفير: Troposphere

وهي الطبقة السفلى من الغلاف الجوي التي تلامس سطح الأرض مباشرة ويختلف سمكها من خمسة أميال عند القطبين إلى أحد عشر ميلاً عند المناطق المدارية.

وتعد طبقة التروبوسفير منطقة نشوء كل من السحب والعواصف والتيارات الصاعدة وتساقط المطر والثلج والبرد،

وتنخفض درجة حرارة الهواء في طبقة التروبوسفيرانخفاضا تدريجياً وشبه منتظم مع الارتفاع عن سطح الأرض بمعدل 1 م لكل ارتفاع قدره 1000 متر.

2 ـ <u>طبقة التروبوبوز:</u>

وهي الطبقة الهامشية الفاصلة بين طبقة التروبوسفير السفلية وطبقة الاستراتوسفير التي تعلوها، وفي هذه الطبقة تصل درجة حرارة الهواء إلى 80 ف، وتتعرض هذه الطبقة لتيارات هوائية شديدة السرعة تعرف باسم (التيارات النفاثة) **Jet Streams**

وتعمل الطائرات التي تحلق عند مثل هذه الارتفاعات العالية على تجنب الطيران في عكس اتجاه هذه التيارات النفاثة حتى لا تؤثر على سرعتها في الفضاء.

3 ـ <u>طبقة الاستراتوسفير: **Stratosphere**</u>

تقع هذه الطبقة فوق طبقة التروبوسفير التي سبقت الإشارة إليها من قبل، ولا يتعرض هواء طبقة الاستراتوسفير إلا لتغيرات بسيطة في درجة حرارته.

ويطلق العلماء على النهايات العليا لطبقة الاستراتوسفير اسم (طبقة الاستراتوبوز) . **Stratopauase**

ويقدر سمك طبقة الاستراتوسفير ـ فيما بين الأطراف العليا لطبقتي التروبوبوز والاستراتوبوز بنحو 15 ميلا.

4 ـ 5 طبقة الميزوسفير Mesosphere وطبقة الميزوبور:

تقع هذه الطبقة الهوائية فيما وراء الأطراف العليا لطبقة الاسترابوز.

وتبعد هذه الطبقة الأخيرة عن سطح الأرض بارتفاع يتراوح من 45 ـ 50 ميلا.

ويرجع الفضل إلى هذه الطبقة الهوائية في حدوث عمليات احتراق بقايا الشهب والنيازك الساقطة من الفضاء الخارجي

والمتجهة إلى سطح الكرة الأرضية.

6 ـ طبقة الثرموسفير: Thermosphere

يتميز هواء طبقة الثرموسفير بارتفاع درجة حرارته، بل قد تصل درجة حرارة الهواء هنا إلى نحو 2000 ف

ويرجح العلماء أن من بين أسباب ارتفاع درجة حرارة هواء الثرموسفير هو تصادم جزيئات بقايا الشهب والنيازك والأجسام الكونية الساقطة من الفضاء الخارجي واحتراقها وانصهارها في هذه الطبقة الهوائية.

وعلى الرغم من أن سمك طبقة الثرموسفير قد يزيد عن 300 ميل إلا أنها تتركب من غازات خفيفة الوزن جدا،

وخاصة غاز النيون والهيليوم. وعلى ذلك تتميز طبقة الثرموسفير بعظم تخلخل الضغط الهوائي فيها إلى حد يكاد يقترب من الفراغ،

وأن هواء هذه الطبقة يكاد يكون معظمه في حالة تأين،

أي أن ذرات الهواء تتحلل إلى مركباتها الكهربائية

(البروتونات والنيترونات والإلكترونات) وتنعكس الموجات اللاسلكية الكهرومغناطيسية وترتد نحو سطح الأرض،

إذا ما اصطدمت هذه الموجات في الطبقات الهوائية من الثرموسفير والتي يزداد فيها درجة تركيز الالكترونات.

ويطلق على القسم الأسفل من طبقة الثرموسفير اسم طبقة الإينوسفير Ionosphere أو طبقة الأثير،
ويقدر العلماء سمك هذه الطبقة الأخيرة بنحو 200 ميل.
ويعلو هذه الطبقات الست من الغلاف الجوي الفضاء الخارجي، أو السماء واسعة الامتداد endless space or sky
وينتج عن تفاعل الغلاف الجوي مع الأغلفة الطبيعية الأخرى لكوكب الأرض
(الغلاف المائي والغلاف الصخري والغلاف النباتي) حدوث تنوع كبير في درجات حرارة الهواء الملامس للأجزاء المختلفة من سطح الأرض،
ومن ثم اختلاف كبير كذلك في مقدار الضغط الجوي واتجاه الرياح وسرعتها وكمية الأمطار الساقطة من جزء إلى آخر على سطح الأرض.
وتبعاً لتنوع هذه العناصر الجوية
تتنوع حالة المناخ من مكان إلى آخر على سطح الأرض.

ثالثاً: الأمطار ونشأت السحب

يقول الدكتور حسن أبو العينين(24) :
يقصد بالأمطار المياه التي تسقط من السحب على سطح الأرض..
تتعرض المسطحات المائية للإشعاع الشمسي الذي يعمل بدوره على تسخين المياه السطحية وتعرضها لفعل التبخر،
وعند صعود البخار إلى أعلى تتكون السحب في طبقة التروبوسفير
وقد يسقط منها المطر لتتم الدورة الهيدرولوجية عملها،
فالمياه التي يفقدها سطح الكرة الأرضية
(من المسطحات المائية) عن طريق التبخر يكتسبها مرة أخرى عن طريق التساقط كما تضاف مياه جديدة من باطن الأرض للسحب،.

ومع خروج الغازات الساخنة عند ثوران البراكين تضاف كميات هائلة جديدة من الغازات إلى الغلاف الغازي نفسه، وعند برودتها تتعرض للتكثف وتؤدي إلى تكوين السحب وسقوط الأمطار،

وتعرف الأمطار هنا بالمياه الأولية **Juvenil** أي المياه الأصلية الآتية من باطن الأرض التي تضاف إلى ما هو موجود من مياه سابقة على سطح الأرض.

أنواع الأمطار:

تختلف أنواع الأمطار تبعاً للطرق المتنوعة التي تؤدي إلى صعود الهواء الدافئ الرطب إلى أعلى **Air ascent** ثم تعرض هذا الهواء للبرودة والتكاثف في طبقات الجو العليا، وسقوطه على شكل مطر،

ويمكن أن تمييز ثلاث عمليات رئيسة مختلفة تؤدي إلى صعود الهواء،

ومن ثم ميز الباحثون ثلاثة أنواع مختلفة كذلك من الأمطار:

1- الأمطار الانقلابية أو أمطار تيارات الحمل الصاعدة،

2-والأمطار التضاريسية.وهي الأمطار التي تسقط عند قمم الجبال،

3-والأمطار الإعصارية أو أمطار الجبهات.

رابعاً: الإشارات العلمية في الآية الكريمة

تشير الآية الكريمة إلى ثلاث حقائق تتعلق بالنشأة الأولى للأرض

سخرها الله سبحانه لتهيئة الحياة فوقها لبني البشر

متمثلة في جعل الأرض لهم فراشا ومهادا وقرارا

وجعل سماءها المحيطة بها بناء متماسكا مشدودا إليها لا ينفك عنها،

وإنزال الماء من السحاب وجعله سببا في الزرع والنماء والحياة.

ويمكن أن تجمل هذه الإرشادات في النقاط التالية:

1) **وردت جميع الأفعال بالماضي في الآية وهم**

(جعل، أنزل، أخرج) مما قد يعني تعلق النص الكريم ببيان نشأة الأرض وتكون قشرتها الخارجية وتكون الغلاف الجوي الغازي حولها وإنزال الماء من السحب المتكونة من الغازات والأبخرة التي خرجت من باطن الأرض وتسببت بعد ذلك في بث الحياة النباتية على سطحها.

2) قد يشير فعل(جعل) الذي يعني حول وصير إلى تحول غلاف الأرض الناري وصيرورته إلى الغلاف الصخري البارد

الذي صار للناس فراشاً ومهاداً وقراراً

وتحول الغازات المنبعثة من باطن الأرض عند نشأتها إلى طبقات الغلاف الجوي المتعاقبة والمتماسكة كالبناء المعهود والمحيطة بجوانب الكرة الأرضية كلها بعد استقرارها

كما قد يفيد توحيد الفعل (جعل) لهذين الحدثين أنهما متزامنان أيضا،

كما أثبته العلم الحديث وهو ما يتوافق مع قول بن عباس،

لأن جرم الأرض الأولية كان بلا قشرة سطحية ولا غلاف جوي.

3) أما فعل(أنزل) فقد يفيد نزول ماء النشأة

الذي خرج من باطن الأرض على هيئة أبخرة وتجمع في صورة سحب كثيفة ثم انهمر لآماد زمنية طويلة على سطح الأرض حتى برد

وأمكن الاستقرار عليه، وأخرج الله بهذا الماء النبات والثمار قبل خلق الإنسان، كما يفيد أيضاً نزول الماء بعد عمارة الإنسان للأرض.

4) وتوجيه الخطاب بضمير المخاطبين(لكم)

يعني اختصاص البشر بهذه الأفعال والأحداث تهيئة وتسخيراً لهم مما يرجح كون السماء الأولى في الآية هي المتعلقة تعلقاً مباشراً بأسباب الحياة والنماء لبني البشر وهي الغلاف الجوي للأرض؛ تماماً كتمهيد قشرة الأرض وجعلها فراشا،وانزال الماء من السحب من جو هذه السماء (16)

5) يشير النص الكريم إلى تحول الأرض إلى فراش

مما يعني أنها لم تكن كذلك، كما جاء في نصوص أخرى كقوله تعالى:(وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ)الذاريات (48) .

(الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُل)طه (5)

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا*لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا)نوح (19 ـ 20)

إن المهاد كما يقول المفسرون هو الفراش الموطأ المعد لراحة الإنسان،

وجعل الأرض مهداً؛

أي جعل الأرض في سهولة العيش عليها ويسر التقلب فيها كمهد الصبي.

وقد أثبت العلم أن الارض لم تكن في بداية تكونها فراشاً أو مهاداً و قراراً يمكن أن تنشأ عليها حياة،

ثم صارت بعد ذلك كذلك وتحقق كونها فراشاً ومهاداً بتكون السطح الصخري الخارجي لها من سهول وهضاب وجبال،

وجعل الله سبحانه وتعالى هذا السطح بهيئة منبسطة مسطحة ممهدة، وجعل لها سهولاً واسعة الامتداد تصلح للحياة التي قدرها فيها ممهدة للسير والحرث والزرع والنماء والحياة..

وهكذا صارت الأرض كما قضى الله ـ عز وجل ـ لها أن تكون للإنسان قراراً وفراشاً ومهداً وبساطا.

6 ـ <u>حمى الله بهذه القشرة الأرضية المستقرة أو هذا الفراش القرار</u>

من أخطار اضطراب هذه القشرة واهتزازها

وقد ذكرت نصوص أخرى أن الله سبحانه:ألقى فوق سطح هذه الأرض جبالاً راسية راسخة تثبت هذه القشرة لكيلا تميد وتضطرب بمن فوقها، قال تعالى: الله الذي جعل لكم الأرض قرارا وقال تعالى:

(وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

وقال تعالى:(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا*وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)النبأ (6ـ7)

وقد أثبت العلم أن قشرة الأرض تسبح فوق طبقة لزجة شبه سائلة

وأن للجبال جذورا ممتدة في باطن هذه الطبقة(المانتل)
لتثبيت طبقة قشرة الأرض الرقيقة فوقها،
وقد جعل الله سبحانه قشرة الأرض في حالة توازن دائم فإذا تآكلت بعض الجبال بعوامل التعرية فإن التفاعلات الباطنية في جوف الأرض تدفع القشرة إلى أعلى وتكون سلاسل جبلية جديدة ذات جذور راسخة مغروسة في القشرة السفلية للأرض.
ولم يكتشف العلم أهمية السلاسل الجبلية في حدوث ما أسماه بالتوازن الاستاتيكي للأرض Isostasy إلا في نهاية القرن التاسع عشركما لم يكتشف العلم أن للجبال جذورا ممتدة في باطن الأرض إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.
كما أن الحركة المحورية للأرض حول نفسها والدائرية حول الشمس والجاذبية المغناطيسية لأثقال الأرض في باطنها لهي عوامل ثبات لهذه القشرة وجعلها قرارا، كما انها عامل ثبات أيضاً للغلاف الجوي المحيط بالأرض أيضا.
7) <u>وصف السماء بالبناء</u> يتوافق مع ما أثبته العلم من أن السماء المحيطة بالكرة الأرضية مكونة من طبقات متعاقبة ومترابطة معاً بالأرض(16)
حيث تقوم الأرض بجذب هذا الغلاف السماوي إليها
ومنعه من التبدد والزوال بخلاف ماكان عليه الحال عند بداية تكون الأرض وقبل استقرار سطحها،
كما بين العلم الحديث أن طبقات هذا الغلاف الجوي المحيط بالأرض تحمي الحياة والأحياء فوقها من أخطار كونية
كالنيازك والأشعة الكونية وكهارب الرياح الشمسية التي تتعرض لها الأرض على مدار اليوم والليلة

كما أثبت العلم أيضاً أن هذا البناء المحكم حول الأرض يوفر أسباب الحياة عليها وفق سنن محكمة فهو مخزن هائل للغازات الضرورية للحياة كالأكسجين والنتروجين،
وهو منظم لدرجات الحرارة الملائمة للحياة فوق الأرض وناقل للسحب وموزع للرياح والماء.
8 ـ تنبه الآية القرآنية بأن الماء أنزل بمشيئة الله تبارك وتعالى من السماء التي يمثل السحاب أطرافها الدنيا الملامسة لسطح كوكب الأرض،
وينزل منه الغيث.
ومن الآية نستدل على مؤشرات توضح مراحل تكوين المطر ونزوله على سطح الأرض وهو ما يسميه العلم اليوم بالدورة الهيدروجولية،
فتسقط الأشعة الشمسية على المسطحات المائية والبحار والمحيطات،
وتتعرض مياهها للتبخر وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء الساخن الصاعد إلى أعلى، وفي طبقة التروبوسفير ـ الطبقة السفلى من الغلاف الجوي_
تتراكم الأبخرة المائية وتتكون السحب الركامية والطبقية وسحب السمحاق والمزن،
كما أنه قد يشير إلى إنزال كتل الثلج الهائلة من خارج نطاق الغلاف الجوي ووصول بعضها إلى السحب واختلاطها بها.
ولم يدرك العلم الحديث ابعاد هذه الظواهر المتيورولوجية وماهيتها إلا بعد تقدم علم الأرصاد الجوية،
ورصد عناصر الغلاف الجوي على الارتفاعات العالية باستخدام التقنيات الحديثة.
9- وترتبط حياة الإنسان على سطح الأرض واستمرار نمو النباتات الطبيعية والغابات والمحاصيل الزراعية واشجار الفاكهة وحياة الحيوانات والطيور والاسماك بمدى توافر الماء،

فهو أساس الحياة وقد جعل الله منه كل شيء حي.
وهكذا تتوافق الحقائق العلمية الحديثة مع مدلولات هذه الآية الكريمة التي أشارت إلى هذه الحقائق منذ أربعة عشر قرناً من الزمان تحقيقاً لقول الله تعالى:
(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)النمل93

المراجع والمصادر

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز55,54/2، المفردات في غريب القرآن للراغب 12وعمدة الحفاظ93/1 2.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . 259,258/1. ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت . 1405هـ وإرشاد العقل السليم 61/1. والبحر المحيط لأبي حيان 1/ 237.
(3) سورة الأنعام الآية 1.
(4) المائدة الآية 103وانظر الجامع 228/1، 335/6.
(5) إرشاد العقل السليم 61/1.
(6) سورة النبأ الآية 7.
(7) الإرشاد 61/1. (8) لجامع 229/1.
(9) الإرشاد 61/1.
(10) الجامع 229/1، واللسان 543/13.
(11) الإرشاد 61/1.
(12) إرشاد العقل السليم 61/1. (13) الكشاف 46/1.
(14) الكشاف 46/1.
(15) تفسير القرآن العظيم 88/1.
(16) وهذا الذي اختاره أكثر أعضاء اللجنة العلمية بالهيئة وهم الشيخ عبد الكافي الأبرش والدكتور أسامة خياط رئيس اللجنة، وكل من الدكتورين عبد الجواد الصاوي ومحمد دودح الباحثين العلميين بالهيئة والأستاذ أنيس نور تمسكا بهذا العرف . ب
ينما اختار باقي أعضاء اللجنة أن السماء الأولى في هذه الآية الكريمة هي السماء المحفوظة وأن السماء الثانية هي المطر، وهم كل من الشيخ أحمد أبو الأشبال والدكتور عبد الحفيظ الحداد وإسماعيل القريشي ، وذلك لأن الحقيقة الشرعية مقدمة على العرفية،
وقد وذكر كل فريق مسوغات رأيه ودونت في محضر المناقشات .
(17) روح المعاني 187/1.
(18) لكشاف 1/ 46.
(19) د. حسن أبو العينين من االإ عجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية

والطبيعية الجزء الثاني مع آيات الله في الأرض ص 10-13.

(20) المرجع السابق بتصرف ص 101-102.

(21) المرجع السابق بتصرف ص53-58.

(22) المرجع السابق بتصرف ص 183-195.

(23) المرجع السابق بتصرف ص 238.

(24) المرجع السابق بتصرف ص 15-16.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ

كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ

وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ

كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ

يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا

ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥

لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل الأعمال الصالحات،

على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب،

ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال:

(وَبَشِّرِ)

أي: يا أيها الرسول ومن قام مقامه

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

بقلوبهم

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة.

و وصفت أعمال الخير بالصالحات:-

1-لأن بها تصلح أحوال العبد،وأمور دينه ودنياه،و حياته الدنيوية و الأخروية،

2-و يزول بها عنه فساد الأحوال،

فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

فبشرهم

(أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ)

أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، والأغصان والأفنان

وبذلك صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

(تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)

أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر،

يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا،

وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

(كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ)

أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة،

ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة،

فهم دائما متلذذون بأكلها.

وقوله:

(وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا)

1–قيل: متشابها في الاسم، مختلف الطعوم

2–وقيل: متشابها في اللون، مختلفا في الاسم،

3-وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاهة،

ولعل هذا الصحيح .

***** وَيَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْوِلَدَانُ بِالْفَوَاكِهِ فَيَأْكُلُونَهَا ثُمَّ يُؤْتَوْنَ بِمِثْلِهَا،**
فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَذَا الَّذِي أَتَيْتُمُونَا آنِفًا بِهِ،
فَيَقُولُ لَهُمُ الْوِلَدَانُ: كُلُوا، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَاحِدٌ، وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ

ثم لما ذكر مسكنهم، وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم،

ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال:

(وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ)

فلم يقل « مطهرة من العيب الفلاني » ليشمل جميع أنواع التطهير،

-فهن مطهرات الأخلاق،

-مطهرات الخلق،

-مطهرات اللسان،

-مطهرات الأبصار،

-فأخلاقهن، أنهن عرب متحببات إلى أزواجهن :-

بالخلق الحسن، وحسن التبعل، والأدب القولي والفعلي،

-و مطهر خلْقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط

و البصاق، و الرائحة الكريهة،

-ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال،

فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق،

بل هن خيرات حسان،

مطهرات اللسان والطرف،

قاصرات طرفهن على أزواجهن،

وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح.

ففي هذه الآية الكريمة،

1- ذكر المبشِّر والمبشَّر، و المبشَّر به، و السبب الموصل لهذه البشارة،

فالمبشِّر: هو الرسول ﷺ ومن قام مقامه من أمته،

والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات،

والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات،

والسبب الموصل لذلك، هو :-

الإيمان و العمل الصالح،

فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما،

وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب.

2-وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها ، فإنها بذلك تخف وتسهل،

وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح،

فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرى عند الموت،

(وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم .

***في مقام امين من الموت و الانقطاع فلا آخر له و لا انقضاء

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا)

*** الجزائري:لا يمنعه الحياء من ضرب الأمثال**

أي: أيَّ مثل كان

(بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ)

*** الجزائري:وإن صغرت كالبعوضة، أو أصغر منها؛ كجناحها.**

*** وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ:
هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ للدنيا؛ إذ الْبَعُوضَةُ تَحْيَا مَا جَاعَتْ، فَإِذَا سَمِنَتْ مَاتَتْ.
وَكَذَلِكَ مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ضُرِبَ لَهُمْ هَذَا الْمَثَلُ فِي الْقُرْآنِ،
إِذَا امْتَلَؤُوا مِنَ الدُّنْيَا رِيًّا أَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَلَا

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الْأَنْعَامِ: 44] .

–لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق،

-–وكأن في هذا، جوابا لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة،

واعترض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض.

بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم. فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر.

http://www.kaheel7.com/modules.php?name=news&file=article&sid=1118



طالما نظرنا إلى البعوضة على أنها شيء تافه لا قيمة له،

وعلى الرغم من ذلك نجد أن القرآن ذكر هذه المخلوقات الضعيفة. يقول تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

[البقرة26].

ويكفي يا أحبتي أن نتأمل هذه الصورة الرائعة التي عرضها الموقع العالمي ناشيونال جيوغرافيك، لنرى التصميم الخارق لرأس

البعوضة حيث نرى العيون تغطي معظم الوجه (لها عيون متعددة)، ولولا ذلك لم تتمكن البعوضة من المناورة والرؤيا الصحيحة.

***يعتقد بعض القراء أن البعوضة يعيش فوقها حشرات أخرى وتحديداً على رأسها ويقولون إن هذا يفسر قوله تعالى:**

(بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)،

ونقول إن هذا الاعتقاد غير صحيح،

بل إن كل الحشرات يعيش على رأسها وجسدها بكتريا ومخلوقات أخرى لا تُرى!

فالذبابة تحوي ملايين البكتريا التي تعلق على سطحها وأرجلها، وكذلك البعوضة وغيرها من الحشرات.

ولكن المقصود من قوله تعالى (فَمَا فَوْقَهَا)

*** فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: فَمَا دُونَهَا فِي الصِّغَرِ، وَالْحَقَارَةِ، كَمَا إِذَا وُصِفَ رَجُلٌ بِاللُّؤْمِ وَالشُّحِّ، فَيَقُولُ السَّامِعُ : نَعَمْ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ، يَعْنِي فِيمَا وَصَفْتَ.

قَالَ الرَّازِيُّ: وَأَكْثَرُ الْمُحَقِّقِينَ، وَفِي الْحَدِيثِ:

"لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ".

وَالثَّانِي: فَمَا فَوْقَهَا: فَمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحْقَرُ وَلَا أَصْغَرُ مِنَ الْبَعُوضَةِ.

[وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

صحيح مسلم -2572

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَسْتَصْغِرُ شَيْئًا يَضْرب بِهِ مَثَلًا وَلَوْ كَانَ فِي الْحَقَارَةِ وَالصِّغَرِ كَالْبَعُوضَة،
كَمَا لَمْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ خَلْقِهَا كَذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِفُ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالذُّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ فِي قَوْلِه:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} **[الْحَجِّ: 73]**

وَقَالَ: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} **[الْعَنْكَبُوتِ: 41] وَقَالَ تَعَالَى:**

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}
[إِبْرَاهِيمَ: 24-27] ،

وَقَالَ تَعَالَى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا} **الْآيَةَ [النَّحْلِ: 75] ،**

ثُمَّ قَالَ: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } **الْآيَةَ [النَّحْلِ: 76] ،**

كَمَا قَالَ: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ} الْآيَةَ [الرُّومِ: 28] .

وَقَالَ: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ} الْآيَةَ [الزُّمَرِ: 29] ،

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 43] وَ فِي الْقُرْآنِ أَمْثَالٌ كَثِيرَةٌ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا سَمِعْتُ الْمَثَلَ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ أَفْهَمْهُ بِكَيْتُ عَلَى نَفْسِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

{وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}

***ولذلك فهي نموذج يضربه الله لكل ملحد مستكبر، ليقول له:**

إياك أن تستهزئ بمخلوقات الله،

فالله تعالى يذكر ما يشاء من مخلوقاته مثل البعوضة وما فوقها من مخلوقات أخرى أكبر أو أصغر منها،

فجميع هذه المخلوقات صغيرة أم كبيرة قد أتقن الله صنعها،

فهو القائل:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل88].

http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/67-Issue-No/555-Mosquito-and-above-objects

وقد كشف العلم عما يماثلها أو يزيد عنها خطورة ويفوقها ضآلة من الكائنات الدقيقة مثل الطفيليات والفطريات والبكتريات والفيروسات،

***وهذه الكائنات الدقيقة لم يكن بمقدور الإنسان التعرف عليها قبل اختراع المجهر البدائي عام 1674م على يد العالم فان ليفينهوك.**

***لقد استهان الناس عبر الأجيال بالبعوضة لضآلتها وصغر حجمها فاستنكر عليهم القرآن استهانتهم بها في تعبير معجز بليغ يشي بخطورتها واتخذها مثلا يتحدى به قبل أن يعرف دورها في نقل الأمراض، بل وقبل اكتشاف الكائنات الأخرى التي تشاركها الخطورة بما تسبب من أمراض تحداهم القرآن بما يفوقها ضآلة مثالا على عناية الله وقدرته وعلمه بأسرار كل المخلوقات .**

***وطبقا لتصريحات منظمة الصحة العالمية ما زالت الملاريا تصيب حوالي 400 مليون ضحية سنويا على مستوى الكوكب**

وتقتل حوالي 2 مليون شخص معظمهم من الأطفال

ولا يوجد لقاح فعال ضدها حتى الآن .

ولهذا قال:

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ)

فيتفهمونها، ويتفكرون فيها.

فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم،

وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق،

وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثا،

بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة.

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ)

فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرا إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، ولهذا قال:

(يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ)

فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى:

{ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 124، 125]

فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية،

-ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم،

-و لقوم منحة ورحمة و زيادة خير إلى خيرهم،

فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.

ثم ذكر حكمته في إضلال من يضلهم وأن ذلك عدل منه تعالى فقال:

(وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ)

أي: الخارجين عن طاعة الله؛ المعاندين لرسل الله؛

الذين صار الفسق وصفهم؛ فلا يبغون به بدلا

فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى،

كما اقتضت حكمته وفضله هداية من اتصف بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة.

و الفســــــق نوعان:

1-نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان؛ كالمذكور في هذه الآية ونحوها،

2-ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: 6]

*** وَالْفَاسِقُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ أَيْضًا.
وَتَقُولُ الْعَرَبُ: فَسَقَتِ الرَّطْبَةُ: إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قِشْرَتِهَا ؛
وَلِهَذَا يُقَالُ لِلْفَأْرَةِ: فُوَيْسِقَةٌ، لِخُرُوجِهَا عَنْ جُحْرها لِلْفَسَادِ.

صحيح البخاري

3314 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
" خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ:
الفَأْرَةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالحُدَيَّا، وَالغُرَابُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ "
فَالْفَاسِقُ يَشْمَلُ الْكَافِرَ وَالْعَاصِيَ،
وَلَكِنَّ فسْق الْكَافِرِ أَشَدُّ وَأَفْحَشُ،
وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْفَاسِقُ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ:

{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُ الْكُفَّارِ الْمُبَايِنَةُ لِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّعْدِ:

{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} **الْآيَاتِ،**

إِلَى أَنْ قَالَ: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} **[الرَّعْدِ: 19-25] .**

ثم وصف الفاسقين فقال:

(ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ)

*** الجزائري:ما عهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله ﷺ.**

–وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه

–والذي بينهم وبين عباده الذي أكده عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزامات،

فلا يبالون بتلك المواثيق؛

بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه؛ وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق.

*****وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي مَعْنَى الْعَهْدِ الَّذِي وُصِفَ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ بِنَقْضِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:**

هُوَ وَصِيَّةُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ،

وَنَهْيِهِ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي كُتُبِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ تَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ،

وَعَهْدُ اللَّهِ الَّذِي نَقَضُوهُ هُوَ :-

1-مَا أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا

2-وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ،

3-وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ جُحُودُهُمْ بِهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ وَإِنْكَارِهِمْ ذَلِكَ،

4-وَكِتْمَانِهِمْ عِلْمَ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْمِيثَاقَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ،

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.

5-وَقَالَ آخَرُونَ: الْعَهْدُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَهْدُ الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صُلْبِ آدَمَ الَّذِي وَصَفَ فِي قَوْلِهِ:

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا }الْآيَتَيْنِ [الْأَعْرَافِ: 172، 173]

وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ.

(وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ)

وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة:-

1- فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته،

2-وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه،

3–وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب؛ وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها.

فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق،

وقاموا بها أتم القيام

(وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)

وأما الفاسقون، فقطعوها، ونبذوها وراء ظهورهم؛ معتاضين عنها بالفسق والقطيعة؛ والعمل بالمعاصي؛ وهو: الإفساد في الأرض.

فــــــ(أُوْلَٰٓئِكَ)

أي: من هذه صفته

(هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)

*** جَمْعُ خَاسِرٍ، وَهُمُ النَّاقِصُونَ أَنْفُسَهُمْ وَحُظُوظَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللَّهَ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَمَا يَخْسَرُ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ
بِأَنْ يُوضَعَ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ فِي بَيْعِهِ،
وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ خَسِرَ بِحِرْمَانِ اللَّهِ إِيَّاهُ رَحْمَتَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لِعِبَادِهِ فِي الْقِيَامَةِ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَى رَحْمَتِهِ،

في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم؛

لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم؛ ليس لهم نوع من الربح؛

لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان؛ فمن لا إيمان له لا عمل له؛

1–وهذا الخسار هو خسار الكفر،

2–وأما الخسار الذي قد يكون كفرا --- و قد يكون معصية ---وقد يكون تفريطا في ترك مستحب،

المذكور في قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } [العصر: 2]

فهذا عام لكل مخلوق

إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح؛ والتواصي بالحق؛ والتواصي بالصبر؛ وحقيقة فوات الخير؛ الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه.

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [مُحَمَّدٍ: 22]

{ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [الرعد: 25]

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ)

هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار،

أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله؛ الذي خلقكم من العدم؛

وأنعم عليكم بأصناف النعم؛

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)

عند استكمال آجالكم؛ ويجازيكم في القبور

(ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)بعد البعث والنشور؛

(ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه؛ وتدبيره؛ وبره؛ وتحت أوامره الدينية؛

ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي؛

أفيليق بكم أن تكفروا به؛ وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة ؟

بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه وتخافوا عذابه؛ وترجوا ثوابه.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ} [الطُّورِ: 35، 36] ،

وَقَالَ {هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الْإِنْسَانِ: 1] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

*** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غَافِرٍ: 11] قَالَ: هِيَ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ:

{وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}

قَالَ: كُنْتُمْ تُرَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ ، فَهَذِهِ مَيْتَةٌ،

ثُمَّ أَحْيَاكُمْ فَخَلَقَكُمْ فَهَذِهِ حَيَاةٌ،

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ فَتَرْجِعُونَ إِلَى الْقُبُورِ فَهَذِهِ مَيْتَةٌ أُخْرَى،

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهَذِهِ حَيَاةٌ أُخْرَى.

فَهَذِهِ مَيْتَتَانِ وَحَيَاتَانِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ:

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾

(هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا)

أي: خلق لكم، برا بكم ورحمة، جميع ما على الأرض

1–للانتفاع

2–و الاستمتاع

3– و الاعتبار.

وفي هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة،

لأنها سيقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث،

–فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها،

وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك،

ومن تمام نعمته، منعنا من الخبائث، تنزيها لنا.

وقوله: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ) .

(ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) ترد في القرآن على ثلاثة معاني:

1– فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} [القصص: 14]

2– وتارة تكون بمعنى « علا » و « ارتفع » وذلك إذا عديت بـ « على » كما في قوله تعالى:

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: 54]

{ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ [الزخرف: 13]

3–وتارة تكون بمعنى « قصد » كما إذا عديت بـ « إلى » كما في هذه الآية،

أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات

(فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ)

فخلقها و أحكمها، و أتقنها،

(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فـــــ

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ: 2]

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [النحل: 19]

{فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: 7]

وكثيرا ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات علمه كما في هذه الآية،

وكما في قوله تعالى:

{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14]

لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته.

*** وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ حم السَّجْدَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ

اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فُصِّلَتْ: 9-12] .

فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى ابْتَدَأَ بِخَلْقِ الْأَرْضِ أَوَّلًا

ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا،

وَهَذَا شَأْنُ الْبِنَاءِ أَنْ يَبْدَأَ بِعِمَارَةِ أَسَافِلِهِ

ثُمَّ أَعَالِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ،

وَقَدْ صَرَّحَ الْمُفَسِّرُونَ بِذَلِكَ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} [النَّازِعَاتِ: 27-32]

فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ {ثُمَّ} هَاهُنَا إِنَّمَا هِيَ لِعَطْفِ الْخَبَرِ عَلَى الْخَبَرِ، لَا لِعَطْفِ الْفِعْلِ عَلَى الْفِعْلِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ... ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ (4)

وَقِيلَ: إِنَّ الدَّحْيَ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ،

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ((البخاري مع الفتح8/555)) : أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ هَذَا بِعَيْنِهِ،

فَأَجَابَ بِأَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ

وَأَنَّ الْأَرْضَ إِنَّمَا دُحِيَتْ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ،

وَكَذَلِكَ أَجَابَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا،

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ

قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ

غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ

فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤

وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ

ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ

وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧

قصة بداية
العبودية30-39

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً

*** يُخْبِرُ تَعَالَى بِامْتِنَانِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ، بِتَنْوِيهِهِ بِذِكْرِهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَبْلَ إِيجَادِهِمْ

هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض.

*** قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ} [الْأَنْعَامِ: 165]

وَقَالَ {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ} [النَّمْلِ: 62] .

وَقَالَ {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ} [الزُّخْرُفِ: 60] .

وَقَالَ {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} [مَرْيَمَ: 59]

وَلَيْسَ الْمُرَادُ هَاهُنَا بِالْخَلِيفَةِ آدَمَ، عليه السلام، فَقَطْ، كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ،

***وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ آدَمَ عَيْنًا إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}

فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

*** قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ هَذَا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ،

وَلَا عَلَى وَجْهِ الْحَسَدِ لِبَنِي آدَمَ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ

[وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ)

أَيْ: لَا يَسْأَلُونَهُ شَيْئًا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ

وَهَاهُنَا لَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا.

قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِيهَا فَقَالُوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا} الْآيَةَ

وَإِنَّمَا هُوَ سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ،

يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، مَا الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ هَؤُلَاءِ مَعَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،

فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عِبَادَتُكَ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ،

أَيْ: نُصَلِّي لَكَ كَمَا سَيَأْتِي،

أَيْ: وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهَلَّا وَقَعَ الِاقْتِصَارُ عَلَيْنَا؟

(قَالُوٓاْ)فقالت الملائكة عليهم السلام:

(أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا) بالمعاصي

(وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ)

*** أيسر التفاسير: قياساً على خلق من الجن**

و هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان شدة مفسدة القتل،

وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك،

فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه،

وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا:

(وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ)

أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك،

(وَنُقَدِّسُ لَكَۖ)

1- يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص،

2-ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة،

كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة.

***** التَّقْدِيسُ: هُوَ التَّعْظِيمُ وَالتَّطْهِيرُ،**
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سُبُّوح قُدُّوس،
يَعْنِي بِقَوْلِهِمْ: سُبوح، تَنْزِيهٌ لَهُ،
وَبِقَوْلِهِمْ: قُدُّوسٌ، طَهَارَةٌ وَتَعْظِيمٌ لَهُ
وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ: أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُطَهَّرَةَ.
فَمَعْنَى قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ إِذًا:

{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} نُنَزِّهُكَ وَنُبَرِّئُكَ مِمَّا يُضِيفُهُ إِلَيْكَ أهلُ الشِّرْكِ بِكَ

{وَنُقَدِّسُ لَكَ} نَنْسِبُكَ إِلَى مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِكَ، مِنَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَمَا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الْكُفْرِ بِكَ.

***** صحيح مسلم**

(2731) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺسُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:
" مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ "

(قَالَ) الله تعالى للملائكة:

(إِنِّيٓ أَعۡلَمُ) من هذا الخليفة

(مَا لَا تَعۡلَمُونَ)

لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر،

1–وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر

***** صحيح البخاري**

555 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

" يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،

وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ،

ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:

كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ "( )

2–فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين،

3–ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره،

4–وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه،

(يتعاقبون فيكم) تأتي طائفة بعد الأخرى.

(يعرج) يصعد إلى السماء.

(فيسألهم وهو أعلم بهم) أي فيسأل الله تعالى الملائكة عن حال المصلين وهو أعلم بحالهم والحكمة من سؤالهم إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير]

5–وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك.

–ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض،

أراد الله تعالى، أن يبين لهم من فضل آدم ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه فـ

(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا)

أي: أسماء الأشياء، وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى،

أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة.

(ثُمَّ عَرَضَهُمۡ) أي: عرض المسميات

(عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ) امتحانا لهم، هل يعرفونها أم لا ؟

(فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة.

*** أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ الْقَائِلُونَ:

أَتَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ مَنْ يفسد فيها ويسفك الدِّمَاءَ، مِنْ غَيْرِنَا أَمْ مِنَّا،

فَنَحْنُ نَسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ:

إِنِّي إِنْ جعلتُ خَلِيفَتِي فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ،

وَإِنْ جَعَلَتُكُمْ فِيهَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي بِالتَّعْظِيمِ لِي وَالتَّقْدِيسِ، فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَهُمْ، فَأَنْتُمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تُوجَدْ أَحْرَى أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِينَ.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ) أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك.

(لَا عِلْمَ لَنَا) بوجه من الوجوه

(إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) إياه، فضلا منك وجودا،

(إِنَّكَ أَنتَ)

(الْعَلِيمُ)

الذي أحاط علما بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

(الْحَكِيمُ)

من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة،

والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به،

فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم؛ وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

فحينئذ قال الله:

(قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ)

أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة؛ فعجزوا عنها،

(فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ)

تبين للملائكة فضل آدم عليهم؛ وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة،

(قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالما بالغيب فالشهادة من باب أولى،

*** كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْهُدْهُدِ أنه قال لِسُلَيْمَانَ:

{أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}

(وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ) أي: تظهرون

***قولهم {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} فَهَذَا الَّذِي أَبْدَوْا

(وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ)

***وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا إِبْلِيسُ مِنَ الْخِلَافِ عَلَى الله في أوامره ، والتكبر عن طاعته.

(وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ)

ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم

1-((((إكراما له وتعظيما)))

2-(((و عبودية لله تعالى)))

فامتثلوا أمر الله؛ و بادروا كلهم بالسجود،

***كما في الحديث

سنن أبي داود

4702 - عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" إِنَّ مُوسَى قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،

فَأَرَاهُ اللَّهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟

فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ،

وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟

*** وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: كَانَ هَذَا سُجُودُ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ وَإِكْرَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يُوسُفَ: 100]

وَقَدْ كَانَ هَذَا مَشْرُوعًا فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَلَكِنَّهُ نُسِخَ فِي مِلَّتِنَا،

سنن ابن ماجه

1853 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،

قَالَ: «مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟»

قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ،

فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ،

لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا،
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،
لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا،
وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ»( )

(إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ) امتنع عن السجود

(وَٱسۡتَكۡبَرَ)

***صحيح مسلم91

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»
*** حَسَدَ عَدُوُّ اللَّهِ إبليسُ آدمَ، عليه السلام، عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَةِ،
وَ قَالَ: أَنَا ناريٌّ وَ هَذَا طينيٌّ،
وَكَانَ بَدْءُ الذُّنُوبِ الْكِبْرَ، اسْتَكْبَرَ عدوُّ اللَّهِ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ عليه السلام.

(وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

***أي العاصين
***صار من الكافرين بسبب امتناعه
*** لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ دَخَلَ إِبْلِيسُ فِي خِطَابِهِمْ

(فوافقتهم) أي صادقتهم ووجدتهم.
(لأساقفتهم وبطارقتهم) أي رؤسائهم وأمرائهم.
(ولو سألها نفسها) أي الجماع.
(على قتب) هو للجمل كالإكاف لغيره. ومعناه الحث على مطاوعة أزواجهن وإنهن لا ينبغي لهن الامتناع في هذه الحالة. فكيف في غيرها] .

لِأَنَّهُ -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُنْصرهم -
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَدْ تشَبَّه بِهِمْ وَتَوَسَّمَ بِأَفْعَالِهِمْ؛
فَلِهَذَا دَخَلَ فِي الْخِطَابِ لَهُمْ، وَذُمَّ فِي مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ.
وَسَنَبْسُطُ الْمَسْأَلَةَ إِنَّ -شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى-عِنْدَ قَوْلِهِ:

{إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الْكَهْفِ: 50] .

*** وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ:
ابْتَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ إِبْلِيسَ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَعَمِلَ بِعَمَلِ الْمَلَائِكَةِ،
فَصَيَّرَهُ إِلَى مَا أَبْدَى عَلَيْهِ خَلْقَهُ مِنَ الْكُفْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}

–واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال:

{ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} [الإسراء: 61]

وهذا الإباء منه والاستكبار؛ نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه؛

فتبينت حينئذ عداوته لله و لآدم و كفره و استكباره.

*وفي هذه الآيات من العبر والآيات؛

1– إثبات الكلام لله تعالى؛ وأنه لم يزل متكلما؛ يقول ما شاء؛ ويتكلم بما شاء؛

2–وأنه عليم حكيم،

3– وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالوجب عليه؛ التسليم؛ واتهام عقله؛ والإقرار لله بالحكمة،

4-وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة؛ وإحسانه بهم؛ بتعليمهم ما جهلوا؛ وتنبيههم على ما لم يعلموه.

5-وفيه فضيلة العلم من وجوه: -

منها:أن الله تعرف لملائكته؛ بعلمه وحكمته ،

و منها:أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم؛ وأنه أفضل صفة تكون في العبد،

و منها:أن الله أمرهم بالسجود لآدم؛ إكراما له؛ لما بان فضل علمه،

و منها:أن الامتحان للغير؛ إذا عجزوا عما امتحنوا به؛

ثم عرفه صاحب الفضيلة؛ فهو أكمل مما عرفه ابتداء،

ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن؛ وبيان فضل آدم؛

وأفضال الله عليه؛ وعداوة إبليس له؛ إلى غير ذلك من العبر.

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

(وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ)

ما خلق الله آدم وفضله؛ أتم نعمته عليه؛ بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها؛ ويستأنس بها؛ وأمرهما بسكنى الجنة؛

(وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا)

و الأكل منها رغدا؛ أي: واسعا هنيئا،

(حَيْثُ شِئْتُمَا)

أي: من أصناف الثمار والفواكه؛ وقال الله له:

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}

[طه: 118، 119]

(وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ)

نوع من أنواع شجر الجنة؛ الله أعلم بها،

***وذلك علم اذا عُلم لم ينفع العالم به علمُه

وإنما نهاهما عنها امتحانا وابتلاء أو لحكمة غير معلومة لنا

(فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

دل على أن النهي للتحريم؛ لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه؛

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ

*الميسر:فأوقعهما الشيطان في الخطيئة

–حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه.

{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: 21]

فاغترا به وأطاعاه؛ فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد؛

(وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ)

وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

(بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ)

أي: آدم وذريته؛ أعداء لإبليس وذريته،

ومن المعلوم أن العدو؛ يجد ويجتهد في ضرر عدوه

وإيصال الشر إليه بكل طريق؛

وحرمانه الخير بكل طريق،

ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان كما قال تعالى

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6]

{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: 50]

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال:

(وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ)

أي: مسكن وقرار،

(وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ)

انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم،

أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكنا حقيقيا،

وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

(فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ)

أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله

(مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ)

و هي قوله:

{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

[الأعراف: 23]

فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته

(فَتَابَ)

الله

(عَلَيۡهِۚ)

و رحمه

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ)

لمن تاب إليه وأناب.

و توبته نوعان:

1–توفيقه أولا ثم

2- قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيا.

(ٱلرَّحِيمُ)

بعباده، ومن رحمته بهم، أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح.

***{ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [التوبة: 104]

قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ٣٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ
بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ
أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١
وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣
۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ
٤٤ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥
ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧
وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨

قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ

فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

(قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ)

كرر الإهباط، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله:

(فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي)

أي: أيَّ وقت و زمان جاءكم مني – يا معشر الثقلين–

(هُدٗى)

أي:رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني؛

ويدنيكم من رضائي،

(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ)

منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم،

وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر والاجتناب للنهي،

(فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) .

وفي الآية الأخرى:

{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123].

فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء:

1+2:-نفي الخوف والحزن

والفرق بينهما:

أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن،

وإن كان منتظرا، أحدث الخوف،

فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام،

3+4:- وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه

وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة،

فمن اتبع هداه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى،

-*-*-وانتفى عنه كل مكروه، من((الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء))

فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب،

*** {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} أَيْ: فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ

{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ طه:

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ.

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}

[طه: 124]

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ

وهذا عكس من لم يتبع هداه، فكفر به، وكذب بآياته.

فـــــ(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ)

أي: الملازمون لها، ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه،

(هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى:-

1-أهل السعادة 2- و أهل الشقاوة،

و فيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك،

وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب،

كما أنهم مثلهم، في الأمر و النهي.

*** صحيح مسلم

(185) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ،

وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ -

فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ،

فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ،

ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ،

فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "

فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ،( )

–ثم شرع تعالى يذكِّر بني إسرائيل نعمه عليهم وإحسانه فقال:

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

(يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

الاستجابة في حقيقة العبودية (مثال سلبى)نقض بنى اسرائيل العهد 40-103

المراد بإسرائيل: يعقوب عليه السلام، والخطاب مع فرق بني إسرائيل، الذين بالمدينة وما حولها، ويدخل فيهم من أتى من بعدهم،

*** يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ومُهَيجًا لَهُمْ بِذِكْرِ أَبِيهِمْ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يَعْقُوبُ عليه السلام وَتَقْدِيرُهُ:
يَا بَنِي الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ كُونُوا مِثْلَ أَبِيكُمْ فِي مُتَابَعَةِ الْحَقِّ، كَمَا تَقُولُ: يَا ابْنَ الْكَرِيمِ، افْعَلْ كَذَا.

(ضبائر ضبائر) منصوب على الحال وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها أشهرها الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة

قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة (فبثوا) معناه فرقوا]

يَا ابْنَ الشُّجَاعِ، بَارِزِ الْأَبْطَالَ،
يَا ابْنَ الْعَالِمِ، اطْلُبِ الْعِلْمَ وَنَحْوَ ذَلِكَ.
فأمرهم بأمر عام، فقال:

(ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ)

وهو يشمل سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها،

والمراد بذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء،

وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

***فَجَّر لَهُمُ الْحَجَرَ،
***وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى،
وَأَنْجَاهُمْ من عبودية آل فرعون.
***نِعْمَتُهُ أَنْ جَعَلَ مِنْهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ،
*** وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ.
قُلْتُ: وَهَذَا كَقَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ:

{يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [الْمَائِدَةِ: 20] يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ.

(وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ) وهو ما عهده إليهم من الإيمان به، وبرسله وإقامة شرعه.

(أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ) وهو المجازاة على ذلك.

والمراد بذلك: ما ذكره الله في قوله:

{ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [المائدة: 12]

(وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ)

-ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهده،

(((وهو الرهبة منه تعالى، و خشيته وحده)))

-فإن مَنْ خشِيَه أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه.

ثم أمرهم بالأمر الخاص، الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به فقال:

وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

(وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ)

وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فأمرهم بالإيمان به، واتباعه،

ويستلزم ذلك، الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال:

(مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ)

أي: موافقا له لا مخالفا ولا مناقضا،

فإذا كان موافقا لما معكم من الكتب، غير مخالف لها؛

فلا مانع لكم من الإيمان به،

لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم.

وأيضا فإن في قوله:

(مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ)

-إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم،

لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء،

فتكذيبكم له تكذيب لما معكم. وأيضا،

-فإن في الكتب التي بأيدكم، صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتم ببعض ما أنزل إليكم،

ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه،

- كما أن من كفر برسول، فقد كذب الرسل جميعهم.

فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال:

(وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ)

أي: بالرسول والقرآن.

و في قوله: (أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) أبلغ من قوله:

(ولا تكفروا به)

لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به،

عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

*** {**وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**}

فَيَعْنِي بِهِ أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛

لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ بَشر كَثِيرٌ،

وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أول من كفر به من بني إسرائيل مُبَاشَرَةً،

فَإِنَّ يَهُودَ الْمَدِينَةِ أَوَّلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ خُوطِبُوا بِالْقُرْآنِ،

فَكُفْرُهُمْ بِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ جِنْسِهِمْ.

-ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال

(**وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا**)

وهو ما يحصل لهم من المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها،

إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله و استحبوها، و آثروها.

(**وَإِيَّٰىَ**) **أي: لا غيري**

(**فَٱتَّقُونِ**)

-فإنكم إذا اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه، تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل،

-كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم.

ثم قال:

وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

(وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ)

(وَلَا تَلْبِسُوا۟)

أي: تخلطوا

(ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ)

فنهاهم عن شيئين:-

1- عن خلط الحق بالباطل

2- و كتمان الحق؛

لأن المقصود من أهل الكتب والعلم:-

1-تمييز الحق،

2-وإظهار الحق،

1-ليهتدي بذلك المهتدون،

2- ويرجع الضالون،

3-وتقوم الحجة على المعاندين؛

لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته:-

1- ليميز الحق من الباطل،

2-ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين،

-فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

-ومن لبَّس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك،

+ وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره،

(((فهو من دعاة جهنم)))

لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم،

فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

(وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

1*** وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ الْحَقَّ،

2***وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى:

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الضَّرَرِ الْعَظِيمِ عَلَى النَّاسِ مِنْ إِضْلَالِهِمْ عَنِ الْهُدَى الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ إِلَى أَنْ سَلَكُوا مَا تُبْدُونَهُ لَهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ الْمَشُوبِ بِنَوْعٍ مِنَ الْحَقِّ لِتُرَوِّجُوهُ عَلَيْهِمْ،

-ثم قال:

(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

أي: ظاهرا وباطنا

(وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ)

مستحقيها،

(وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ)

أي: صلوا مع المصلين

فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله،

فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة،

وبين الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى عبيده،

وبين العبادات القلبية البدنية والمالية.

وقوله:

(وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)

أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة و وجوبها،

وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع،

– والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

(أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ)

أي: بالإيمان والخير

***كقوله {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هُودٍ: 88] .

*** صحيح البخاري

3267 - عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلاَنًا فَكَلَّمْتَهُ،

قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ،

إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ،

وَلاَ أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ،

بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

" يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ،

فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ،
فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ
فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟
أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟
قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ ( )
*** وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إِنِّي لِأَكْرَهُ الْقَصَصَ لِثَلَاثِ آيَاتٍ قَوْلُهُ تَعَالَى:

1-{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ}

2-وَقَوْلُهُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصَّفِّ: 2، 3]

3-وَقَوْلُهُ إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ:

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هُودٍ: 88] .

(وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ)

أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال:

(لأسامة) بن زيد رضي الله عنهما.
(فلانا) هو عثمان ابن عفان رضي الله عنه.
(فكلمته) في إطفاء الفتنة التي تقع بين الناس
وقيل في شأن أخيه لأمه الوليد بن عتبة. (لترون) لتظنون.
(فتندلق) تخرج وتنصب بسرعة.
(أقتابه) جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء.
(برجاه) حجر الطاحون التي يديرها]

(وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

*** الميسر:وأنتم تقرءون التوراة، التي فيها صفات محمدﷺ، ووجوب الإيمان به!!**

أفلا تستعملون عقولكم استعمالا صحيحًا؟

–و أُسْمى العقل عقلا لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير،

وينعقل به عما يضره،

وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به،

وأول تارك لما ينهى عنه،

فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه،

دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك،

قد قامت عليه الحجة.

وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل،

فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: 2، 3]

–وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين،

وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين:

1–أمر غيره و نهيه،

2–وأمر نفسه و نهيها

فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر،

– فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين،

–والنقص الكامل أن يتركهما،

وأما قيامه بأحدهما دون الآخر،

فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير،

وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله،

فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ

*** فَإِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} الْآيَةَ [الْعَنْكَبُوتِ: 45] .

*****مسند أحمد مخرجا**

1023 -عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺتَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ»

*****قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ نُعِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ (قُثَم) وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ تنحَّى عَنِ الطَّرِيقِ،**

فَأَنَاخَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الْجُلُوسَ،

ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ}الطبري (852)**.**

أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه:-

1- و هو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها،

2- و الصبر عن معصية الله حتى يتركها،

3-و الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها،

فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور

- ومن يتصبر يصبره الله،

-وكذلك الصلاة التي هي:-

1- ميزان الإيمان،

2- وتنهى عن الفحشاء والمنكر،

3-يستعان بها على كل أمر من الأمور

(وَإِنَّهَا)

أي: الصلاة

(لَكَبِيرَةٌ)

أي: شاقة

(إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ)

فإنها سهلة عليهم خفيفة؛

لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده:-

يوجب له فعلها، منشرحا صدره (لترقبه للثواب✡ وخشيته من العقاب)

بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها،

وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.

والخشوع هو:

خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه،

ذلا+ و افتقارا+ و إيمانا به و بلقائه.

ولهذا قال:

(ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ) أي: يستيقنون(و هذه من الاستعمالات العربية التى قل تناولها فى هذا العصر و ليس معناها هنا يشكون)

***كقوله {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا }
[الكهف: 53]

(أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ)

فيجازيهم بأعمالهم

(وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ)

فهذا الذي خفف عليهم العبادات

وأوجب لهم التسلي في المصيبات،

ونفس عنهم الكربات،

وزجرهم عن فعل السيئات،

فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات،

وأما من لم يؤمن بلقاء ربه،

كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه.

***صحيح مسلم

(2968) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»
قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»
قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا،
قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟

فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟
فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي،
ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ،
فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟
فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي،
ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ،
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ،
فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا،
قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ:
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟
فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ،
وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ:
انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ،
وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ( )

(أي فل) معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس وقيل هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي
(أسودك) أي أجعلك سيدا على غيرك
(ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم
(تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا قال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته عندي أن معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها
(فإني أنساك كما نسيتني) أي أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي

(يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ)

***يُذَكِّرُهُمْ تَعَالَى سَالفَ نِعَمِهِ عَلَى آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ،
وَمَا كَانَ فَضَّلهم بِهِ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنْهُمْ
وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الدُّخَانِ: 32] ،
وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}
[الْمَائِدَةِ: 20] .

ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا.

(وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

*** بِمَا أُعْطُوا مِنَ الْمُلْكِ وَالرُّسُلِ وَالْكُتُبِ عَلَى عَالَمِ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛
فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا.
*** وَيَجِبُ الْحَمْلُ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ؛
لِقَوْلِهِ تَعَالَى خِطَابًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ:
{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [آلِ عِمْرَانَ: 110]
*** مسند أحمد مخرجا

(ههنا إذا) معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا
(ليعذر) من الإعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به]

20015 - عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً. أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»

–و خوفهم بيوم القيامة الذي

(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي)

فيه، أي: لا تغني

(نَفْسٌ)

ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين

(عَن نَّفْسٍ)

ولو كانت من العشيرة الأقربين

(شَيْئًا) لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه.

*** **كَمَا قَالَ: {**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**} [الْأَنْعَامِ: 164] ،**

وَقَالَ: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**} [عَبَسَ: 37]**

وَقَالَ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**} [لُقْمَانَ: 33] ،**

***** **فَهَذِهِ أَبْلَغُ الْمَقَامَاتِ:**

أَنَّ كُلًّا مِنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ لَا يُغْنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ شَيْئًا،

(وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ)

أي: النفس، شفاعة لأحد:–

1- بدون إذن الله

2-ورضاه عن المشفوع له،

3-ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة،

*** كَمَا قَالَ: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [الْمُدَّثِّرِ: 48] ،

وَكَمَا قَالَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشُّعَرَاءِ: 110، 111]

(وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)

أي: فداء

{ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: 47]

*** {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} [آلِ عِمْرَانَ: 91]

ولا يقبل منهم ذلك

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)

أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله:

(لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا)

هذا في تحصيل المنافع،

(وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)

هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع.

(ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل)

هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض:

كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة،

– فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين: لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع،

–وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار: فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته.

*** كما قَالَ: {فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ} [الطَّارِقِ: 10]

أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ فِيمَنْ كَفَرَ بِهِ فِدْيَةَ وَلَا شَفَاعَةً، وَلَا يُنْقِذُ أَحَدًا مِنْ عَذَابِهِ مُنْقِذٌ، وَلَا يُجِيرُهُ مِنْهُ أَحَدٌ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 88] .

وَقَالَ {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}

[الْفَجْرِ: 25 26] ،

وَقَالَ {مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ}

[الصَّافَّاتِ: 25، 26] ،

وَقَالَ {فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ}

الْآيَةَ [الْأَحْقَافِ: 28] .

***وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ* مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ* بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} [الصافات: 24-26]

وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾

هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل فقال:

(وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ)

أي: من فرعون وملئه وجنوده وكانوا قبل ذلك

*** وَفِرْعَوْنُ عَلَمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ، كَافِرًا مِنَ الْعَمَالِيقِ وَغَيْرِهِمْ،
*** كَمَا أَنَّ قَيْصَرَ عَلَمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ مَعَ الشَّامِ كَافِرًا،

*** وَكِسْرَى لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ،
*** وتُبَّع لِمَنْ مَلَكَ الْيَمَنَ كَافِرًا
***وَالنَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ،
***وَبَطْلَيْمُوسَ لِمَنْ مَلَكَ الْهِنْدَ
وَيُقَالُ: كَانَ اسْمُ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى عليه السلام
الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرَّيَّانِ،

(يَسُومُونَكُمْ)

أي: يولونهم و يستعملونهم،

***يديمون عذابكم

(سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)

أي: أشده بأن كانوا

(يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ)

خشية نموكم،

(وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ)

أي: فلا يقتلونهن(يتركونهن على قيد الحياة و لا يقتلونهن لا من الحياء)

فأنتم بين قتيل و مذلل بالأعمال الشاقة،

مستحيي على وجه المنة عليه و الاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة،

فمن الله عليهم بالنجاة التامة و إغراق عدوهم و هم ينظرون لتقر أعينهم.

(وَفِي ذَٰلِكُم)

أي: الإنجاء

(بَلَآءٌ)

أي: إحسان

(مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ)

فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره.

(وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ)

***الميسر:حين فَصَلْنا بسببكم البحر،**
و جعلنا فيه طرقًا يابسةً، فعبرتم

{فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ}

أَيْ: خَلَّصْنَاكُمْ مِنْهُمْ، وَ حَجَزْنَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ،

(وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ)

لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشْفَى لِصُدُورِكُمْ، وَ أَبْلَغَ فِي إِهَانَةِ عَدُوِّكُمْ

*** صحيح مسلم

(1130) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا، يَوْمَ عَاشُورَاءَ،

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟»

فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ،

وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا،

فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ( )

(وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة ليُنزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح العميمة،

*** وَاذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِي عَفْوِي عَنْكُمْ،
لَمَّا عَبَدْتُمُ الْعِجْلَ بَعْدَ ذَهَابِ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، عِنْدَ انْقِضَاءِ أَمَدِ الْمُوَاعَدَةِ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،
وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَعْرَافِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الْأَعْرَافِ: 142]
قِيلَ: إِنَّهَا ذُو الْقِعْدَةِ بِكَمَالِهِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ،
وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ خَلَاصِهِمْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَإِنْجَائِهِمْ من البحر.

(ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ)

ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده،

أي: ذهابه.

(وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ)

(فصامه رسول الله ﷺوأمر بصيامه)

قال الإمام النووي مختصر ذلك أنه ﷺكان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه أيضا بوحي أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد أخبار آحادهم]

عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة، فهو أعظم جرما وأكبر إثما.

(ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ)

ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا

فعفا الله عنكم بسبب ذلك

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

الله.

(وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)

التَّوْرَاةَ

{وَٱلْفُرْقَانَ }

وَهُوَ مَا يَفْرق بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ

{لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }

وَ كَانَ ذَلِكَ -أَيْضًا-بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ،
كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الْقَصَصِ: 43]

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ)

*** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ:

{فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ)

قَالَ: وَاحْتَبَى الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ فَجَلَسُوا،
وَقَامَ الَّذِينَ لَمْ يَعْكُفُوا عَلَى الْعِجْلِ،
فَأَخَذُوا الْخَنَاجِرَ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَصَابَتْهُمْ ظُلَّة شَدِيدَةٌ،
فَجَعَلَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَانْجَلَتِ الظلَّة عَنْهُمْ،
وَقَدْ أَجْلَوْا عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ، كُلُّ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ،
وَكُلُّ مَنْ بَقِيَ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ.
قَالَ: أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ -مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ -أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ

(ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}

*** الميسر:و هذا خير لكم عند خالقكم من الخلود الأبدي في النار**

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً)

*** الميسر:حتى نرى الله عيانًا**

–وهذا غاية الظلم والجراءة على الله وعلى رسوله،

(فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ)

إما الموت أو الغشية العظيمة،

*** الصَّاعِقَةُ: صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. و قيل نـــــــــــــار

(وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)

وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه،

*** فَصُعِقَ بَعْضُهُمْ وَبَعْضٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ بُعِثَ هَؤُلَاءِ وَصُعِقَ هَؤُلَاءِ

(ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ) .

*** الميسر:ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة؛**

(لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

لتشكروا نعمة الله عليكم،

فهذا الموت عقوبة لهم، ثم بعثهم الله لاستيفاء آجالهم.

-ثم ذكر نعمته عليكم في التيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق،

فقال: (وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ)

وَهُوَ جَمْعُ غَمَامَةٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَغُمّ السَّمَاءَ،
أَيْ: يُوَارِيهَا وَيَسْتُرُهَا. وَهُوَ السَّحَابُ الْأَبْيَضُ،
ظُلِّلوا بِهِ فِي التِّيهِ لِيَقِيَهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ.

(وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ)

و هو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب،

و منه الزنجبيل و الكمأة و الخبز وغير ذلك.(*)

*** فَالْمَنُّ الْمَشْهُورُ إِنْ أُكِلَ وَحْدَهُ كَانَ طَعَامًا وَحَلَاوَةً،
وَ إِنْ مُزِجَ مَعَ الْمَاءِ صَارَ شَرَابًا طَيِّبًا،
وَ إِنْ رُكِّبَ مَعَ غَيْرِهِ صَارَ نَوْعًا آخَرَ،
وَ لَكِنْ لَيْسَ هُوَ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ وَحْدَهُ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْبُخَارِيِّ:
عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَ مَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ".

(وَٱلسَّلۡوَىٰۖ)

---

*معجم اللغة العربية المعاصرة :خُبْز الغراب: فِطْر يخرج أقراصًا كالخبز

طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم،

فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم ويقيتهم

***** أَمْرُ إِبَاحَةٍ وَإِرْشَادٍ وَامْتِنَانٍ.**

(كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ)

أَيْ أَمَرْنَاهُمْ بِالْأَكْلِ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَنْ يَعْبُدُوا، كَمَا قَالَ:

{كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ} **[سَبَأٍ:15]**

فَخَالَفُوا وَكَفَرُوا فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، هَذَا مَعَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ:-

الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْقَاطِعَاتِ، وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ،

–أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهين،

فلم يشكروا هذه النعمة، و استمروا على قساوة القلوب و كثرة الذنوب.

(وَمَا ظَلَمُونَا)

يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا

لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين،

(وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)

فيعود ضرره عليهم

* ما هي الكمأة:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1728



هي نوع من الدرنيات والجذور التي لا ورق لها ولا ساق تخرج في الأرض بدون زرع وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد[11].

وهو نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فيخرج كما يَخرج الفُطْرُ،

وهو معروف من نبات الأرض والعرب تسمية جدري الأرض،

فسماه الشارع مَنّاً أي طعاماً بغير عمل كالمن الذي أنزل على بني إسرائيل[12].

أما التفسير العلمي الذي عرف حتى الآن لتكون درنات الكمأة في الأرض، فهو أن البرق يضع تحت تصرف الغلاف الجوي الطاقة اللازمة لتشكيل العديد من الأكاسيد والمركبات الغذائية (مركبات الأزوت)،

ويعمل الرعد على ترسيب هذه المركبات،

إما على صورة جافة بفعل الثقالة الأرضية (الجاذبية).

وإما على صورة محاليل مائية بفعل حبات المطر،

فتصل الطبقة السطحية للأرض بعد أن رفع الرعد من قدرتها على تخزين الماء والغذاء اللازمين لنمو فطر الكمأة وعائلة (جردة الكمأة)،

ومن المحتمل أن يكون الدور الرئيسي للرعد في إرسال بعض الموجات الصوتية التي من شأنها أن تمزق أغلفة أنواع فطر الكمأة الكامنة،

فتنشط بوجود الماء والتربة الرخوة

وتبدأ عملية (الفقع) إلى سطح التربة [13].

وهي توجد في الأرض من غير أن تزرع،

والعرب تسمي الكمأة أيضاً نبات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض وهي كثيرة بأرض العرب وتوجد بالشام ومصر والعراق،

وأجودها ما كانت أرضه رملية قليلة الماء

ومنها صنف قتّال يضرب لونه إلى الحمرة،

وهي باردة رطبة رديئة للمعدة بطيئة الهضم[14].

ويسميه أهل الخليج أو أهل الجزيرة العربية:

(الفقع) وهو جمع لكلمة فقعه،

وفي منطقة بلاد الشام، يسمونه "الكماه" تمييعاً للـ "الكمأة"

وهو اسمه العربي الوارد في الحديث،

ينمو تحت سطح الأرض على أعماق متفاوتة تصل ما بين 2 سم إلى 50 سم ولا تظهر له أجزاء فوق سطح الأرض على الإطلاق، فلا ورق، ولا زهر[15]، وهو نبات لا جذر له.
ولعل الأمطار المبكرة في شهري تشرين الأول والثاني
والمصحوبة بالرعد ثم أمطار آذار الربيعية الرعدية ضرورية لتأمين موسم جيد للكمأة على أن يرافق هذه الأمطار ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة في طبقات الجو العليا ينجم عنها تمدد في الغيوم يؤدي إلى احتكاك شديد ينتج عنه البرق والرعد وأمطار عاصفية،
البرق الذي هو شرارات كهربائية عنيفة ترفع درجة الحرارة حولها إلى ما يقرب من 3000 درجة مما يحول الآزوت الحر إلى حمض الآزوت،
يتحول في التربة التي يصلها مع الأمطار إلى نترات تستفيد منه الكمأة لأنها تحتاج إلى نوعية خاصة من الأسمدة الآزوتية[16].
أما محاولة زراعتها بتدخل الإنسان في ذلك،
فقد باءت جميع المحاولات حتى الآن بالفشل،
ويقوم مهندس زراعي في دير الزور (سوريا) الآن بمحاولة استزراع الكمأة ولا يزال في بداية التجربة، على الرغم من أنه يعمل فيها منذ سنوات، ويؤكد أن النتائج الأولى مبشرة[17].

أنواع الكمأة:

توجد عدة أنواع من الكمأة ولا يكاد تختلف عن بعضها كثيراً سوى اختلاف بسيط في ألوانها مثل:-

1- الزبيدي ولونه يميل إلى البياض وحجمه كبير قد يصل إلى حجم البرتقالة الكبيرة وأحيانا أكبر من ذلك،

2-والخلاسي ولونه أحمر وهو أصغر من الزبيدي ولكنه في بعض المناطق ألذ وأغلى في القيمة من الزبيدي،

3-والجبي ولونه أسود إلى حمرة وهو صغير جداً،
4- والهوبر ولونه أسود وداخله أبيض وهذا النوع يظهر قبل ظهور الكمأة الأصلية وهو يدل على أن الكمأة ستظهر قريباً،
ويعتبر هذا النوع أردأ أنواع الكمأة ونادراً ما يؤكل[18].

المحتويات الكيميائية للكمأة:

خلق الله تعالى هذا الكون بتناسق عجيب وركب مكوناته من مواد هي مسخرة بإذنه لبني آدم حيث يحتوي كل نبات على عناصر معينة وفيتامينات ومعادن هي في تناسقها وكمياتها وتجانسها تشكل حكمة بالغة وآية لأولي الألباب، بحيث تبين من تحليل الكمأة احتواؤها على:-
البروتين بنسبة 9%،
والمواد النشوية بنسبة 13%،
ودهون بنسبة 1%،
لهذا فهو ذو مردود حراري متواضع،
وتحتوي على معادن مشابهة لتلك التي يحتويها جسم الإنسان مثل :-
الفوسفور، والصوديوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم،
كما تحتوي على فيتامين ب، وهي غنية بهذا الفيتامين.
كما تحتوي على كمية من النيتروجين بجانب الكربون، والأكسجين، والهيدروجين،
وهذا ما يجعل تركيبها شبيهاً بتركيب اللحم،
وطعم المطبوخ منها مثل طعم كلى الضأن،
أضف إلى هذا رائحةَ الكمأة المحببةَ وطعمَه الأشهى،
مما يغري الكثيرين بالإقبال عليه[19].
كما أنه عندما تم تحليل الكمأة تبين أنها مصدر مهم للبروتينات من بين نباتات الصحراء،

وأنها تتكون من 77% ماء،

و 23%مواد مختلفة،:-

منها60% هيدرات الكربون،

و 7% دهون،

و4% ألياف،

و18% مواد بروتينية،

و11% تبقى على هيئة رماد بعد الحرق،

وتم التعرف على سبعة عشر حمضاً من الأحماض الأمينية في بروتينيات الكمأة[20].

كيفية العلاج بالكمأة:

اختلفت طرق ووسائل العلاج بالكمأة كما اختلفت طرق ووسائل أكله، فكل بلد له فلسفة خاصة في أكله أو العلاج به،

غير إن المشتهر عنه أنه غذاء لذيذ وشهي، هذا ما تعارف عليه الناس من القدم إلا أن البعض استطاع أن يكتشف أنه سبب لعلاج بعض الأمراض بإذن الله فابن حجر رحمه الله يقول:

"إن إدمان أكل الكمأة يورث القولنج والسكتة والفالج

وعسر البول والرطب منها أقل ضرراً من اليابس،

وإذا دفنت في الطين الرطب ثم سلقت بالماء والملح والسعتر وأكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها فلذلك كان ماؤها شفاء للعين"[21].

وقال ابن القيم نقلاً عن الغافقي:

"ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به،

ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدَّة

ويدفع عنها نزول النوازل"[22].

وقال النووي:

"الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقاً
فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه،
وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة
فكحل عينه بماء الكمأة مجرداً فشفي وعاد إليه بصر
وهو الشيخ "العدل الأمين الكمال بن عبد الدمشقي" صاحب صلاح ورواية في الحديث وكان استعماله لماء الكمأة اعتقاداً في الحديث وتبركاً به فنفعه الله به"[23].

كما نقل ابن حجر عن الخطابي قائلاً:

"إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر والعكس بالعكس" [24].

أما المراد بماء الكمأة

فقد قال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان:

أحدهما: أنه ماؤها حقيقة إلا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفاً في العين لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين:

أحدهما: أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها قال
ويصدق هذا أن بعض الأطباء قالوا أكل الكمأة يجلو البصر.

ثانيهما: أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها
ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر
فيكتحل بمائها لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة
ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع.

الثاني: أن المراد ماؤها الذي تنبت به فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربي به الأكحال، فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء،

قال ابن القيم: "وهذا أضعف الوجوه، قلت وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفاً -أي وحدها من غير إشراكها بغيرها من المواد- نظر فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلاً وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة وإن كان لغير ذلك فتستعمل مركبة.

وبهذا جزم ابن العربي فقال الصحيح أنه ينفع بصورته في حال وبإضافته في أخرى، وقد جرب ذلك فوجد صحيحاً، نعم جزم الخطابي بما قال ابن الجوزي، وقال: ولا تستعمل صرفاً فإن ذلك يؤذي العين"[25].

*وذكر الزرقاني أن المتوكل أمير المؤمنين رمد، ولم يزدد باستعمال الأدوية إلا رمداً فطلب من أحمد بن حنبل إن كان يعرف حديثاً في ذلك، فذكر له أن النبي ﷺقال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»

فأرسل المتوكل إلى طبيبه يوحنا بن ما سويه وطلب منه أن يستخرج له ماء الكمأة فأخذ الكمأة فقشرها ثم سلقها فأنضجت أدنى النضج ثم شقها وأخرج ماءها بالميل فكحل به عين المتوكل فبرأت في الدفعة الثانية فعجب ابن ماسويه وقال: اشهد أن صاحبكم كان حكيماً، يعني النبي ﷺ[26].

وفي الحقيقة أن الكمأة وغيرها من المخلوقات خلقت في الأصل سليمة من المضار، خاصة إذا ثبت أن أكلها بصورة ما لا يسبب الموت أو المرض،

فإذا ثبت أن أكلها سبّب مرضاً بعد ذلك أو موت ففي هذه الحالة لا تكون تلك الثمرة أو النبتة سبب في ذلك المرض لثبوت السلامة أولاً،

لأن العارض الجديد يكون بسبب خارجي عنها،

فإذا عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها الله تعالى،

كان ذلك العارض هو السبب، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال المواد الكيميائية، وكل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر بنيته والله أعلم.

الكمأة في عصرنا هذا:

ذكرنا أن الكمأة تستعمل 1-إما للأكل وهو الشائع

2-وإما للعلاج

وسنذكر هنا كلا الاستعمالين: حيث تستعمل الكمأة لعلاج :

1-هشاشة الأظافر وسرعة تكسرها أو تقصفها

2- وتشقق الشفتين

3-واضطراب الرؤية،

وقد أجريت العديد من الدراسات والأبحاث على مرضى مصابين بالرمد الحبيبي أو التراخوما –

وهو التهاب مزمن ومعدٍ يصيب العين ويؤدي إلى تليف القرنية،

مما قد يتسبب في فقدان البصر- فاستُخدم ماءُ الكمأة في علاج نصف المرضى، واستخدمت المضادات الحيوية في علاج النصف الآخر فتبين أن ماء الكمأة قد أدَّى إلى نقص شديد في تكون الخلايا اللمفاوية والألياف التي تنتج عن هذا الالتهاب، والتي تسبب العتامة في القرنية،

بعكس الحالات الأخرى التي استخدمت فيها المضادات الحيوية،

فهو يقلل من حدوث هذا التليف في قرنية العين

وذلك بوقف نمو الخلايا المكونة للألياف،

كما أنه في نفس الوقت يقوم بمعادلة التأثير الكيميائي لسموم التراخوما، ويمنع النمو غير الطبيعي للخلايا الطلائية للملتحمة في العين،

ويزيد من التغذية لهذه الخلايا عن طريق توسيع الشعيرات الدموية بالملتحمة، ولأن معظم مضاعفات الرمد الحبيبي تنتج عن عملية تليف قرنية العين، فإن ماء الكمأة يمنع من حدوث هذه المضاعفات بإذن الله[27].



صورة لعين يظهر فيها أثر التراخوما بشكل واضح

وفي المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ألقى الدكتور المعتز بالله المرزوقي محاضرة عن نتائج معالجته لآفات عينية مختلفة بتقطير ماء الكمأة في العين، ولقد تم استخلاص العصارة المائية منها في مختبر فيلانوف بأوديسا.

ثم تم تجفيف السائل حتى يتمكن من الاحتفاظ به لفترة طويلة

وعند الاستعمال تم حل المسحوق في ماء مقطر لتصل إلى نفس تركيز ماء الكمأة الطبيعي

"وهو ماء بني اللون له رائحة نفاذة "

ولقد عالج به حالات متقدمة من (الترخوما) فكانت النتائج إيجابية حيث تم تشخيصه عند 86 طفلاً،

تم تقسيمهم إلى مجموعتين :
1-مجموعة عولجت بالأدوية المعتادة
2- ومجموعة عولجت بعدما أضيف ماء الكمأة إلى تلك المعالجات حيث تم تقطير ماء الكمأة في العين المصابة 3 مرات يومياً ولمدة شهر كامل
وكان الفرق واضحاً جداً بين المجموعتين
-فالحالات التي عولجت بالأدوية المعتادة ظهر فيها تليف في ملتحمة الجفون
-أما التي عولجت بماء الكمأة المقطر عادت الملتحمة إلى وضعها السوي دون تليف الملتحمة[28].
كما تستعمل الكمأة كغذاء جيد حيث تبلغ قيمتها الغذائية أكثر من 20% من وزنها حيث تحتوي على كمية كبيرة من البروتين،
ويصنع من الكمأة الحساء الجيد وتزين بها موائد الأكل
ويجب أن تطبخ جيداً وأن لا تؤكل نيئة لخطورتها حيث تسبب عسر الهضم، كما يجب عدم أكلها من قبل المصابين بالحساسية[29].

وجه الإعجاز:

(سبحان الله) كلمة تدين بها الخلائق لخالقها،
فمن رحمته بخلقه ولطفه بهم أن خلق لهم ما ينفعهم
وأخبرهم بها لئلا يعجزوا أو ييأسوا،
ولكن الجهل بالله وبكتابه أدى إلى أن طال الأمد
فقست القلوب وتحجرت فاتخذته ظهرياً وهجره أهله
فكان ما كان من هذا النسيان، ويوماً بعد يوم يكتشف هذا الإنسان أن له رباً رحيماً حكيماً يسر له أموره وقدر له سبل الهداية والنفع في آن واحد.
وما موضوعنا الحالي إلا خير مثال على ذلك،

فهو برهان على أمرين:

الأول: صدق ما أخبر به الحبيب المصطفى من كون الكمأة شفاءاً للعين وهذا يدل على أن محمداً رسول من الله للعالمين لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم بالخرافات ولا هو ساحر ولا مجنون.

الثاني: البرهان الذي ثبت بهذا الخبر

وهو العلاج بالكمأة وهو خبر ثبت صدقه وتحققت مصداقيته في زمن العلم والبحث والتجربة،

وفي هذا آية ومعجزة للعالمين أنه كلام الخالق الذي أوحاه لنبيه في زمن بعيد جداً حتى يستيقن الناس أن الدين الحق الذي أراده الله لخلقه هو دين الإسلام فدعمه بهذه الأخبار والمعجزات.

فكان قوله هذا سبقاً علمياً وإعجازاً نبوياً، تحدى فيه الأطباء والباحثين، قبل أن تتطور العلوم ويكتشف الناس هذه الحقائق في العصر الذي تباهى الناس فيه بالعلم وركنوا إليه،

وليتهم جعلوا منه طريقاً إلى الإيمان بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام.

جمع وترتيب: قسطاس إبراهيم النعيمي

---

(11) من تعليق مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري 4/ 1627.

(12) فتح الباري لابن حجر1/ 180.

(13) أخذاً من موقع:http://www.zaidal.com

(14) فتح الباري - ابن حجر10/ 164.

(15) أخذا من موقع:http://www.barqalshamal.com

(16) الكمأة من المن، الدكتور محمد نزار الدقر أخذا من موقع: http://www.55a.net

(17) أخذا من موقع:http://www.zaidal.com

(18) أخذاً من موقع:http://www.barqalshamal.com

(19) المرجع السابق.

(20) الإعجاز العلمي في السنة النبوية د. زغلول النجار، أخذا من موقع: http://www.islamweb.net

(21) فتح الباري 1/ 163.

(22) زاد المعاد 4/ 326.

(23) شرح النووي على مسلم 14/ 5.

(24) فتح الباري 1/ 163.

(25) فتح الباري 10/ 165.

(26) الكمأة من المن، الدكتور محمد نزار الدقر أخذا من موقع:http://www.55a.net

(27) المرجع السابق.

(28) الكمأة لمعالجة الرمد الربيعي (Trachoma) أخذاً من موقع:http://www.flyingway.com

(29) أخذاً من موقع:http://www.barqalshamal.com

وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ
سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ
مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ وَإِذۡ
قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ
مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ
أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١

وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا
وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾

(وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ)

***يَقُولُ تَعَالَى لَائِمًا لَهُمْ عَلَى نُكُولِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ( )
وَدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، لَمَّا قَدِمُوا مِنْ بِلَادِ مِصْرَ صُحْبَةَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَأُمِرُوا بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي هِيَ مِيرَاثٌ لَهُمْ عَنْ أَبِيهِمْ إِسْرَائِيلَ،
وَقِتَالِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَمَالِيقِ الْكَفَرَةِ،
فَنَكَلُوا عَنْ قِتَالِهِمْ وَضَعُفُوا وَاسْتَحْسَرُوا،
فَرَمَاهُمُ اللَّهُ فِي التِّيهِ عُقُوبَةً لَهُمْ، كَمَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛

{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} (21)

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(23)

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [المائدة: 21 - 24]

معجم اللغة العربية المعاصرة :نكَل عن العدوّ: نكَص؛ تراجع وجَبُن

وهذا أيضا من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزا ووطنا ومسكنا،

(فَكُلُوا۟ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا)

يحصل لهم فيها الرزق الرغد،

(وَٱدۡخُلُوا۟ ٱلۡبَابَ)

وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب

(سُجَّدٗا)

أي: خاضعين ذليلين، و بالقول:

(وَقُولُوا۟ حِطَّةٞ)

أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته.

(نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ)

بسؤالكم المغفرة،

(وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

بأعمالهم، أي: جزاء عاجل وآجلا.

*** أَيْ: إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أَمَرْنَاكُمْ غَفَرْنَا لَكُمُ الْخَطِيئَاتِ وضَعَفْنَّا لَكُمُ الْحَسَنَاتِ.

***وَحَاصِلُ الْأَمْرِ:

أَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْفَتْحِ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ،

وَأَنْ يَعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُوا مِنْهَا،

وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ عِنْدَهَا وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَحْبُوبِ لِلَّهِ تَعَالَى،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [سُورَةُ النَّصْرِ]
فَسَّرَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ،

(فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)

منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا

(قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ)

فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء

وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى،
ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم،
***صحيح البخاري
4479 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
" قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} [البقرة: 58].
فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا،
وَ قَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ "( )
و لما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال:

(حطة) وفي رواية حنطة حبة في شعرة واحد الشعر
وفي رواية (شعيرة) وهو نبات عشبي حبي دون القمح في الغذاء
قالوا ذلك استهزاء بالأمر الذي قيل لهم]

(فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)

منهم

(رِجۡزٗا)

أي: عذابا

(مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ)

بسبب فسقهم و بغيهم.

***وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِفِسْقِهِمْ، وَهُوَ خُرُوجُهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {فَأَنزلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}

وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ "الرِّجْز" يَعْنِي بِهِ الْعَذَابَ.

***صحيح مسلم

(2218) عن أُسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ،

وَ إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»

و قَالَ أَبُو النَّضْرِ: «لَا يُخْرِجُكُمْ إِلَّا فِرَارٌ مِنْهُ»( )

(الطاعون) هو قروح تخرج في الجسد فتكون في المرافق أو الآباط أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن ويكون معه ورم وألم شديد وتخرج تلك القروح مع لهيب ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء

(رجز) الرجز هو العذاب]

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ)

أي: طلب لهم ماء يشربون منه.

(فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ)

إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس،

(فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ)

وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبيلة،

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ)

منهم

(مَّشْرَبَهُمْ ۖ)

أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين،

فلا يزاحم بعضهم بعضا، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين، ولهذا قال:

(كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ)

أي: الذي آتاكم من غير سعي ولا تعب،

(وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

أي: تخربوا على وجه الإفساد.

*** وَ لَا تُقَابِلُوا النِّعَمَ بِالْعِصْيَانِ فَتُسْلَبُوهَا.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ)

أي: واذكروا، إذ قلتم لموسى، على وجه التملل لنعم الله و الاحتقار لها،

(لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ)

أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعا، لكنها لا تتغير،

(فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا)

أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه،

(وَقِثَّائِهَا)

وهو الخيار

(وَفُومِهَا)

أي: ثومها،

وَعَدَسِهَا

(وَبَصَلِهَا)

معروف،

قَالَ لهم موسى

(أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ)

وهو الأطعمة المذكورة،

(بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ)

وهو المن والسلوى، فهذا غير لائق بكم،

(ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ)

فإن هذه الأطعمة التي طلبتم، أي مصر هبطتموه وجدتموها،

وأما طعامكم الذي من الله به عليكم

فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلا؟

***هَذَا الَّذِي سَأَلْتُمْ لَيْسَ بِأَمْرٍ عَزِيزٍ،
بَلْ هُوَ كَثِيرٌ فِي أَيِّ بَلَدٍ دَخَلْتُمُوهُ وَجَدْتُمُوهُ،

فَلَيْسَ يُسَاوِي مَعَ دَنَاءَتِهِ وَكَثْرَتِهِ فِي الْأَمْصَارِ أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ فِيهِ

–ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم فقال:

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ)

التي تشاهد على ظاهر أبدانهم

(وَٱلْمَسْكَنَةُ)

بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية،

بل أنفسهم أنفس مهينة، وهممهم أردأ الهمم،

***وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ وَأُلْزِمُوا بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا،**

أَيْ: لَا يَزَالُونَ مُسْتَذَلِّينَ، مَنْ وَجَدَهُمُ اسْتَذَلَّهُمْ وَأَهَانَهُمْ،

وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الصَّغَارَ،

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَذِلَّاءُ مُتَمَسْكِنُونَ .

(وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ)

أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا،

إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الحالة حالتهم.

(ذَٰلِكَ) الذي استحقوا به غضبه

(بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ)

الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ .

و قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق،

لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾

بأن ارتكبوا معاصي الله

﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾

***وَهَذِهِ عِلَّةٌ أُخْرَى فِي مُجَازَاتِهِمْ بِمَا جُوزُوا بِهِ،
أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْصُونَ وَيَعْتَدُونَ،
فَالْعِصْيَانُ فِعْلُ الْمَنَاهِي،
وَالِاعْتِدَاءُ الْمُجَاوَزَةُ فِي حَدِّ الْمَأْذُونِ فِيهِ أو المأمور به. والله أعلم.

-على عباد الله، فإن المعاصي يجر بعضها بعضا،

– فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير،

←ثم ينشأ عنها أنواع البدع و الكفر و غير ذلك،

فنسأل الله العافية من كل بلاء.

***هَذَا الَّذِي جَازَيْنَاهُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَإِحْلَالِ الْغَضَبِ بِهِمْ بِسَبَبِ اسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ،
وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ،
وَإِهَانَتِهِمْ حَمَلَةَ الشَّرْعِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ،
فَانْتَقَصُوهُمْ إِلَى أَنْ أَفْضَى بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُمْ،
فَلَا كِبْرَ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛
وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
"الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ" مسلم91

واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها:-

1- أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم،
ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به،
فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال،
فإذا كانت هذه حالة سلفهم،
مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم
فكيف الظن بالمخاطبين؟

2-ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها،

لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

3–ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها،

حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد،

وكان الحادث من بعضهم حادثا من الجميع.

لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع،

وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

4–ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها،

والراضي بالمعصية شريك للعاصي،

إلى غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ)

*** فَالْيَهُودُ أَتْبَاعُ مُوسَى، عليه السلام الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى التَّوْرَاةِ فِي زَمَانِهِمْ.
وَالْيَهُودُ مِنَ الْهَوَادَةِ وَهِيَ الْمَوَدَّةُ أَوِ التَّهَوُّدُ وَهِيَ التَّوْبَةُ؛
كَقَوْلِ مُوسَى، عليه السلام: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} [الْأَعْرَافِ: 156]
أَيْ: تُبْنَا، فَكَأَنَّهُمْ سُمُّوا بِذَلِكَ فِي الْأَصْلِ لِتَوْبَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.
***وَقِيلَ: لِنِسْبَتِهِمْ إِلَى يَهُوذَا أَكْبَرِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: لِأَنَّهُمْ يَتَهَوَّدُونَ، أَيْ:
يَتَحَرَّكُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَاةِ]
فَلَمَّا بُعِثَ عِيسَى عليه السلام وَجَبَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ اتِّبَاعُهُ وَالِانْقِيَادُ لَهُ،
فَأَصْحَابُهُ وَأَهْلُ دِينِهِ هُمُ

(وَٱلنَّصَٰرَىٰ)

وَسُمُّوا بِذَلِكَ لِتَنَاصُرِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ،
وَقَدْ يُقَالُ لَهُمْ: أَنْصَارٌ أَيْضًا، كَمَا قَالَ عِيسَى عليه السلام:
{مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [آلِ عِمْرَانَ: 52]
وَقِيلَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا سمّوا بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا أَرْضًا يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةٌ،

*** فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمًا لِلنَّبِيِّينَ، وَرَسُولًا إِلَى بَنِي آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَجَبَ عَلَيْهِمْ تصديقُه فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَالِانْكِفَافُ عَمَّا عَنْهُ زَجَرَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ [حَقًّا] .

وَسُمِّيَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُؤْمِنِينَ لِكَثْرَةِ إِيمَانِهِمْ وَشِدَّةِ إِيقَانِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِيَةِ وَالْغُيُوبِ الْآتِيَةِ.

–وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة، لأن

(وَٱلصَّٰبِـِٔينَ)

الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى،

فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين

*** الصَّابِئُونَ قَوْمٌ بَيْنَ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَيْسَ لَهُمْ دِينٌ.

أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَلَا الْمَجُوسِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ وَلَا دِينٌ مُقَرَّرٌ لَهُمْ يَتْبَعُونَه وَيَقْتَفُونَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَنْبِزُونَ مَنْ أَسْلَمَ بِالصَّابِئِيِّ، أَيْ: أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ سَائِرِ أَدْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ إِذْ ذَاكَ.

(مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا)

وصدقوا رسلهم،

(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ)

فإن لهم الأجر العظيم والأمن،

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)

***فيما يستقبلونه

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

*****علي ما يتركونه و يخلفونه**

وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال،

فعليه الخوف والحزن.

والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺوأن هذا مضمون أحوالهم،

وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء.

☼وذلك والله أعلم – أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه،

☼ولما كان أيضا ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم.

ذكر تعالى حكما عاما يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين.

☼ثم عاد تبارك وتعالى يوبخ بني إسرائيل بما فعل سلفهم:

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الْأَعْرَافِ: 171]

الطُّورُ هُوَ الْجَبَلُ،

*** الطُّورُ مَا أَنْبَتَ مِنَ الْجِبَالِ، وَمَا لَمْ يُنْبِتْ فَلَيْسَ بِطُورٍ.

أي: واذكروا

(وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ)

و هو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم،

(وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ)

برفع الطور فوقهم وقيل لهم:

(خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم) من التوراة

(بِقُوَّةٖ)

أي: بجد واجتهاد، وصبر على أوامر الله،

(وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ)

أي: ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه،

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى. فبعد هذا التأكيد البليغ

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ)

وأعرضتم، وكان ذلك موجبا لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن

***ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْمِيثَاقِ الْمُؤَكَّدِ الْعَظِيمِ تَوَلَّيْتُمْ عَنْهُ وَانْثَنَيْتُمْ وَنَقَضْتُمُوهُ

(فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ)

أَيْ: تَوْبَتُهُ عَلَيْكُمْ وَإِرْسَالُهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَيْكُمْ

{لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ }

بِنَقْضِكُمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾

فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

أي: ولقد تقرر عندكم حالة

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ)

*** يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، مَا حَلَّ مِنَ الْبَأْسِ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي عَصَتْ أَمْرَ اللَّهِ وَخَالَفُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ فِيمَا أَخَذَهُ عَلَيْهِمِ مِنْ تَعْظِيمِ السَّبْتِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، إِذْ كَانَ مَشْرُوعًا لَهُمْ،

فَتَحَيَّلُوا عَلَى اصطياد الحيتان فِي يوم السبت،

بما وضعوا لَهَا مِنَ الشُّصُوصِ وَالْحَبَائِلِ وَالْبِرَكِ قَبْلَ يَوْمِ السَّبْتِ،

فَلَمَّا جاءَتْ يَوْمَ السَّبْتِ عَلَى عَادَتِهَا فِي الْكَثْرَةِ نَشِبَتْ بِتِلْكَ الْحَبَائِلِ وَالْحِيَلِ،
فَلَمْ تَخْلُصْ مِنْهَا يَوْمَهَا ذَلِكَ،
فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَخَذُوهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ السَّبْتِ.
فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ مَسَخَهُمُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ،
وَهِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْأَنَاسِيِّ فِي الشَّكْلِ الظَّاهِرِ وَلَيْسَتْ بِإِنْسَانٍ حَقِيقَةً.
فَكَذَلِكَ أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ وَحِيَلُهُمْ لَمَّا كَانَتْ مُشَابِهَةً لِلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ
وَمُخَالِفَةً لَهُ فِي الْبَاطِنِ، كَانَ جَزَاؤُهُمْ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ.

-وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسوطة في سورة الأعراف في قوله:

{ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: 163]

***أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ هُمْ أَهْلُ "أَيْلَةَ".

فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم

(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)

حقيرين ذليلين. و جعل الله هذه العقوبة

(فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا)

***الميسر:عبرة**

أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها، ممن هو في وقتهم.

***كقوله{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات: 25]

***يَعْنِي جَعَلْنَاهَا بِمَا أَحْلَلْنَا بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ عِبْرَةً لِمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى.

كَمَا قَالَ تعَالَى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الْأَحْقَافِ: 27]

(**وَمَا خَلْفَهَا**)

أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه،
***لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ بِالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ عَنْهُمْ،**

(**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**)

ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات.
*** **الْمُرَادُ بِالْمَوْعِظَةِ هَاهُنَا الزَّاجِرُ**
فَلْيَحْذَرِ الْمُتَّقُونَ صَنِيعَهُمْ لِئَلَّا يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ

أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلا وادارأتم فيه،

أي: تدافعتم واختلفتم في قاتله،

حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد – لولا تبيين الله لكم – يحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبيين القاتل:

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ)

اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلي امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا:

(قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ)

***الميسر: أتجعلنا موضعاً للسخرية والاستخفاف**

فقال نبي الله:

(قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ)

–فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس،

–وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هو آدمي مثله،

–وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده.

فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق فقالوا:

(قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ) .

أي: ما سنها؟

(قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ)

أي: كبيرة

(وَلَا بِكۡرٌ)

أي: صغيرة

***لم ينكحها الفحل

(عَوَانٌۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ)

*** نَصفٌ بَيْنَ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ،
وَهِيَ أَقْوَى مَا يَكُونُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبَقَرِ وَأَحْسَنُ مَا تَكُونُ.

(فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ)

و اتركوا التشديد و التعنت.

(قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفۡرَآءُ فَاقِعٌ لَّوۡنُهَا)

أي: شديد

*** شَدِيدَةُ الصُّفْرَةِ، تَكَادُ مِنْ صُفْرَتِهَا تَبْيَضُّ.
***صافية اللون

(تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ)

من حسنها.

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا
شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ
نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ
كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم
مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ
مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ
﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ
أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾

(قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا)

***لِكَثْرَتِهَا، فَمَيِّزْ لَنَا هَذِهِ الْبَقَرَةَ وَصِفْهَا وجَلِّها لَنَا

فلم نهتد إلى ما تريد

(وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ)

(قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ)

أي:(ليست) مذللة بالعمل،

(تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ)

بالحراثة

(وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ)

أي: ليست بساقية،

***بَلْ هِيَ مُكَرَّمَةٌ حَسَنَةٌ صَبِيحَةٌ

(مُسَلَّمَةٞ)

من العيوب أو من العمل

(لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ)

أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم.

***لَا بَيَاضَ وَ لَا سَوَادَ. لَوْنُهَا وَاحِدٌ بَهِيمٌ

(قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ)

أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم،

و إلا فقد جاءهم بالحق أول مرة،

فلو أنهم اعترضوا أي بقرة لحصل المقصود،

ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم،

ولو لم يقولوا « إن شاء الله » لم يهتدوا أيضا إليها،

(فَذَبَحُوهَا)

أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات،

(وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)

بسبب التعنت الذي جرى منهم.

(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ)

*** اخْتَلَفْتُمْ.

***اخْتَصَمْتُمْ فِيهَا.

*** قَالَ بَعْضُهُمْ أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ.

***وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ.

(وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)

***ما تغيبون

(فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ)

فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتيل

(بِبَعْضِهَاۚ)

أي: بعضو منها، إما معين، أو أي عضو منها،

فليس في تعيينه فائدة، فضربوه ببعضها فأحياه الله،

وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله،

(كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ)

وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى،

(لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ)

فتنزجرون عن ما يضركم.

*** فَضَرَبُوهُ فَحَيِيَ. ونَبَّه تَعَالَى عَلَى قُدْرَتِهِ وَإِحْيَائِهِ الْمَوْتَى بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَمْرِ الْقَتِيلِ: جَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ الصُّنْعَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَى الْمَعَادِ، وَفَاصِلًا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْخُصُومَةِ وَالْفَسَادِ

<u>وَاللَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا خَلَقَهُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ:</u>

1-{ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ} [الْبَقَرَةِ: 56] .

2-وَهَذِهِ الْقِصَّةُ،

3- وَقِصَّةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ،

4-وَقِصَّةُ الذي مرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا،

5-وَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَالطُّيُورِ الْأَرْبَعَةِ.

وَنَبَّهَ تَعَالَى بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ صَيْرُورَتِهَا رَمِيمًا،

(ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم)

أي: اشتدت و غلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة،

(مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ)

أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات،

ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها

(فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ)

التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله:

(أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)

أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار،

و ليست « أو » بمعنى « بل » ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال

(وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ)

◄ ﴿ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾

كنتُ طالبة في المرحلة الثانوية، وكنت أذاكر لأخي وابن أختي، ومع ضغط الدراسة عليَّ؛ كنتُ دائما وبمجرد أن أكرر شرح مسألة لهما أكثر من مرة أَمَلُّ وأصرخ فيهما، فإن تكرر عدم التركيز أرمي الكتاب في وجهيهما.

كنت أبكي وأتحسر على عصبيتي معهما بمجرد مغادرتي المكان، وأحاسب نفسي وأسألها: هؤلاء أطفال! فلماذا أعاملهم بهذه العصبية؟

وبالرغم من ذلك، كنتُ بمجرد أن أعاود المذاكرة لهما، أو حتى بمجرد علمي بنزول درجاتهم أعود إلى الصراخ والعصبية معهما.

وفي يومٍ قلت لأخي الصغير وأنا غاضبة: ابتعد، فلن أدرسك، وكان وقتها في الصف الثاني الابتدائي، فوجئت به يبكي ثم لحقني إلى الغرفة الأخرى وهو يقول بصوت متقطع: آخر مرة سامحيني، فكانت معاناتي بعد ذلك الموقف تزيد يوما بعد يوم.

وفي إحدى الليالي قمت في السحر، وسألت الله أن يهديني ويصلحني ويوفقني لسبيل أستطيع ضبط نفسي به، وفتحت المصحف لأتخير من آياته للصلاة، وتوفيقًا من الله؛ إذ بي أفتح على قوله عز وجل من سورة البقرة: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾[1].

كنت أقرأ من بداية الصفحة؛ وحين وصلت إلى هذه الآية لم أتمالك نفسي، وبدأت أكرر الآية: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، ومع التكرار بدأت أفكر: صلابةُ الحجرِ تَلِيْنُ وتُفَجِّرُ أنهارًا، وأنت أين قلبُك؟!!

عدت من جديد للآية وقراءتها، كان الخطاب فيها لليهود، ووجدتني أحاسب نفسي على فظاظتي وشدتي في المعاملة، حتى استيقظت في اليوم التالي وكأني قد ولدت من جديد.

لقد تخرجت بعد ذلك واشتغلتُ بالتدريس، وكانت المرحلة الابتدائية أول عملي في التدريس لمدة أربع سنوات، وها أنا اليومَ أعملُ في التوجيه، وأستقبل المكالمات من المعلمات لأعلمهن الطريقة الصحيحة في التعامل مع هذه المرحلة، وأتذكر دائمًا حِلْمَ الله على العاصي والكافر، فكيف بالمؤمن الموحد!

وأخيرًا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[٢].

فبهذه الأمور فضلت قلوبكم. ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال:

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله،

قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل،

ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ:

« حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ، وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ:

« لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »

فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها،

وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه،

فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة،

التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها،

معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد،

ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق.

***** فَصَارَتْ قُلُوبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ طُولِ الْأَمَدِ قَاسِيَةً بَعِيدَةً عَنِ الْمَوْعِظَةِ بَعْدَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ**

فَهِيَ فِي قَسْوَتِهَا كَالْحِجَارَةِ التِي لَا عِلَاجَ لِلِينِهَا أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ،

فَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا تَتَفَجَّرُ مِنْهَا الْعُيُونُ الْجَارِيَةُ بِالْأَنْهَارِ،

وَمِنْهَا مَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَارِيًا،

وَمِنْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،

وَفِيهِ إِدْرَاكٌ لِذَلِكَ بِحَسْبِهِ، كَمَا قَالَ:

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}

[الْإِسْرَاءِ: 44] .

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}

وَ {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ} الْآيَةَ،

{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} {لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ} الْآيَةَ،

{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ} الْآيَةَ،

صحيح البخاري -2889

«هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»

*** مسند أحمد ط الرسالة

2236 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ،

فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ وَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ، حَنَّ عَلَيْهِ،

فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ، قَالَ:

" لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

صحيح مسلم

(2277) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»( )

(إني لأعرف حجرا بمكة) فيه معجزة له ﷺ

وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات

۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ)

هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب،

أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم،

*** {أَفَتَطْمَعُونَ} أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ {أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} أَيْ: يَنْقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ، هَؤُلَاءِ الْفِرْقَةُ الضَّالَّةُ مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ شَاهَدَ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا شَاهَدُوهُ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ)

(ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ)

***يتأولونه علي غير تأويله

فإنهم كانوا يحرفون كلام الله

وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة

(وإن منها لما يهبط من خشية الله)

وقوله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)]

*** قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: {يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} قَالَ:-

التَّوْرَاةُ التِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ يُحَرِّفُونَهَا:-

1- يَجْعَلُونَ الْحَلَالَ فِيهَا حَرَامًا،

2-وَالْحَرَامَ فِيهَا حَلَالًا

3- وَالْحَقَّ فِيهَا بَاطِلًا

4-وَالْبَاطِلَ فِيهَا حَقًّا؛

5- إِذَا جَاءَهُمُ الْمُحِقُّ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ كِتَابَ اللَّهِ،

6-وَإِذَا جَاءَهُمُ الْمُبْطِلُ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ ذَلِكَ الْكِتَابَ، فَهُوَ فِيهِ مُحِقٌّ،

7- وَإِنْ جَاءَهُمْ أَحَدٌ يَسْأَلُهُمْ شَيْئًا لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ، وَلَا رِشْوَةٌ، وَلَا شَيْءَ، أَمَرُوهُ بِالْحَقِّ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ:

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الْبَقَرَةِ: 44]

(مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ)

من بعد ما عقلوه وعلموه

***وفهموه

–فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله،

وما هي من عند الله،

–فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله

– فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

(وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)

*** أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ تَحْرِيفِهِ وَتَأْوِيلِهِ؟

وَهَذَا الْمَقَامُ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [الْمَائِدَةِ: 13] .

–ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال:

(وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا)

فأظهروا لهم الإيمان قولا بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم،

(وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ)

*** الميسر:و إذا خلا بعض هؤلاء المنافقين من اليهود إلى بعض**

–فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض:

(قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ)

*الميسر:**قالوا في إنكار: أتحدِّثون المؤمنين بما بيّن الله لكم في التوراة من أمر محمد**

***من العذاب

أي: أتظهرون لهم الإيمان وتخبروهم أنكم مثلهم،

(لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ)

فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟

يقولون: إنهم قد أقروا بأن ما نحن عليه حق، وما هم عليه باطل،

فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم

*** الميسر:لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم يوم القيامة؟**

*****- 1-هَؤُلَاءِ نَاسٌ مَنَ الْيَهُودِ آمَنُوا ثُمَّ نَافَقُوا وَكَانُوا يُحَدِّثُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ بِمَا عُذِّبوا بِهِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: {أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} مِنَ الْعَذَابِ، لِيَقُولُوا: نَحْنُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْكُمْ، وَأَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْكُمْ.**

***-2-قيل في (لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ)

المراد بما بينه الله لكم في صفة محمدﷺ

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

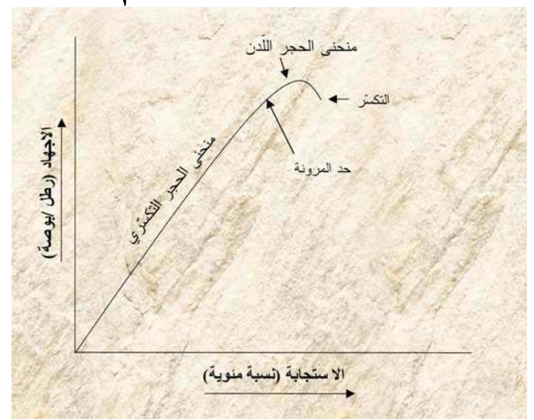
أي: أفلا يكون لكم عقل، فتتركون ما هو حجة عليكم؟

هذا يقوله بعضهم لبعض

***الميسر:أفلا تفقهون فتحذروا؟**

الحجارة ... بين الوصف القرآني والتصنيف الميكانيكي

قسوة الحجارة من منظور علم ميكانيكا الحجارة



لدراسة قسوة الحجارة في علم ميكانيكا الحجارة (Rock Mechanics) أهمية كبيرة تبرز عند الحاجة إليها في تنفيذ الإنشاءات الكبيرة مثل المصانع والجسور والسدود والمباني الكبيرة ويعبر عن هذه القسوة بمعادلات رياضية ورسومات بيانية تشمل الكثير من المتغيرات التي تم إجراء الكثير من التجارب والدراسات عليها،

ولعل أكثر ما يعبر عن قسوة الحجارة تعبيراً كميًّا هو ما يعرف في علم ميكانيكا الحجارة بالعلاقة البيانية بين الإجهاد والاستجابة (Stress - Strain Relationship) تبين هذه العلاقة مدى وكيفية استجابة الحجارة للإجهاد الذي تتعرض له حيث تتعرض الحجارة في الطبيعة إلى أنواع مختلفـة من الإجهــاد (Stress) نتيجة الضغط أو الشد التي تكون مصادرها

1-<u>إما خارجية</u>:-

مثل ثقل الحجارة التي تعلوها أو الضغط أو الشد الناتج من تحركات القشرة الأرضية

2- وإما داخلية مثل الضغط الناتج عن دخول الماء أو الزيت أو الغاز إلى المسامات الموجودة داخل الحجارة

وهذا الإجهاد الذي تتعرض له الحجارة قد يكون

قويًّا أو ضعيفًا

وقد يكون سريعًا أو بطيئًا

وقد يكون في اتجاه واحد أو في اتجاهات مختلفة

تأتي النتيجة النهائية للإجهاد باستجابة الحجارة (Strain) بحدوث تغيرات في حجمها أو هيئتها قد تنتهي بتشقق أو تكسر الحجارة،

وتتناسب استجابة الحجارة للإجهاد مع نوع الحجارة وظروف الحجارة للإجهاد.

ومن أهم الظروف الفيزيائية التي تهتم بمعرفتها عند محاولة التعرف على كيفية استجابة الحجارة للإجهاد :-

1-درجة الحرارة التي يتم أثناءها الإجهاد،

2- وكذلك مقدار الضغط الواقع على الحجر،

3- ومقدار ضغط السوائل التي يحتوي عليها الحجر.

شكل رقم (1) العلاقة البيانية بين الإجهاد و الاستجابة

*يقسم العلماء الحجارة من الناحية الميكانيكية من زاوية الإجهاد باستجابة الحجارة إلى نوعين مثاليين تتدرج الأنواع الأخرى للحجارة بينهما:

1) النوع الأول تكون فيه علاقة الإجهاد باستجابة الحجارة علاقة طردية (شكل 1) بحيث كلما زاد الإجهاد زادت استجابة الحجر بتغير حجمه وهيئته ومع زوال الإجهاد يزول التغير في حجم وهيئة الحجر.

وهذا النوع تنتهي علاقة الإجهاد باستجابة الحجر بالتشقق أو التكسر عندما تصل فيه التغيرات إلى نسبة 3 - 5% من الحجم والهيئة الأصليين، ويسمى هذا النوع بالحجر التكسري (Brittle Rock).

<u>أما النوع الثاني</u> فتكون فيه علاقة الإجهاد باستجابة الحجر ابتداء علاقة طردية كالنوع الأول إلى أن يصل إلى حد المرونة Elastic Limit (شكل 1) فتأخذ علاقة الإجهاد باستجابة الحجر نمطًا آخر يتميز بزيادة استجابة الحجر للإجهاد بحيث تظهر تغيرات كبيرة في حجم وهيئة الحجر مع أي زيادة طفيفة للإجهاد،
ويتميز كذلك بعدم زوال التغيرات في حجم وهيئة الحجر بزوال الإجهاد.
وهذا النوع لا ينتهي فيه الحجر بالتشقق أو التكسر إلا عندما تصل فيه التغيـرات إلى نسبـة 5 - 10% من الحجم والهيئة الأصليين للحجر،
ويسمى هذا النوع بالحجـر اللدن (Ductile Rock).

ويعتبر هذا التقسيم تقسيمًا عامًّا للحجارة من حيث قسوتها (Rock Stiffness)،
ولكن لا يمكن اعتماد هذا التقسيم على إطلاقه،
لأنه ليس هناك حد فاصل بين هذين القسمين
ولأن الحجر الواحد قد تتغير قسوته حسب الظروف التي يوجد فيها عند تعرضه للإجهاد.
يذكر جورج اتش ديفز أن (إحدى النتائج الأساسية لاختبار قوة الحجارة أن قياسات قوة الحجارة لا تعني شيئا البتة ما لم تكن الظروف التي حصلت فيها استجابة الحجارة معروفة،
وكذلك <u>فإن الاصطلاحات على تقسيم الحجارة إلى :-</u>

1-صخور تكسرية Brittle Rock

2-وصخور لدائنية Ductile Rock لا تكون ذات معنى كبير ما لم تكن الظروف التي تم إجهاد الحجارة فيها معروفة)

ومع التغيرات في هذه الظروف مجتمعة فإن هناك مجالا واسعا من درجات استجابة الحجارة للإجهاد الواقع عليها

ويكون بالتالي تحديد هذه الاستجابة صعبًا، إلا أنه عندما يتم التركيز على ظرف واحد من هذه الظروف

فإن عملية معرفة استجابة أي صخر للإجهاد كانت تراعي التغيير في طرف واحد فقط مثل درجة الحرارة أو ضغط السوائل داخل الحجارة،

فتأتي نتائج كل تجربة لتصف استجابة الحجارة للإجهاد مع التغير في ذلك الظرف فقط دون التركيز على ا لظروف الأخرى.

<u>النواحي العلمية الإعجازية في القرآن الكريم</u>

عندما ذكر الله تعالى في الآية السابقة قسوة قلوب بني إسرائيل شبهها بإحدى الأشياء المحسوسة لدى البشر وهي الحجارة،

ثم في إشارة لكون قلوبهم أقسى من الحجارة ذكر أن الحجارة تتفاوت في قسوتها ليعلم أن قلوبهم أقسى من أقسى الحجارة.

ثم برزت بعض النواحي الإعجازية عند الحديث عن هذه الأشياء المحسوسة لتكون ذات دلالة على السبق القرآني لهذه الظاهرة العلمية لمن يتفكر ويبحث فيها من المتقدمين والمتأخرين.

وقد أتت هذه النواحي الإعجازية مجملة غير مفصلة لتبقي مجال التفكير مفتوحًا وفرص اكتشاف الحقيقة متساوية لجميع من أنزل إليهم هذا القرآن من الأولين والآخرين.

الناحية الإعجازية الأولى:-

في هذه الآية تتمثل في أنه عند ذكر قسوة الحجارة ذكر معها أحد الظروف التي لها تأثير كبير على التغير في هذه القسوة :-

1-وهو وجود الماء

2-والمقدار النسبي لضغطه داخل الحجارة

3-ونفاذية الحجر.

يذكر ادقر دبليو سبنسر Edgar W. Spencer في كتابه (مدخل إلى تركيب الأرض) (أنه كلما زاد ضغط الماء داخل الحجارة فإنها تكون أضعف وأكثر قابلية للتكسر Brittle ويشترط سبنسر لهذا التأثير

(أن تكون الحجارة ذات نفاذية كبيرة نسبيًّا بحيث تسمح بتوزيع متماثل للضغط في الأجزاء المختلفة من الحجارة)

وهذا الشرط يعني أن يكون الحجر قابلاً

لأن ينفذ الماء خلاله أو منه بسهولة بحيث يمكن أن يمر خلال الحجر أو يتدفق منه معدلات كبيرة نسبيًّا من الماء.

فإذًا هنا ربط بين:-

1- ضغط الماء :

(((الحاصل من كميات الماء التي من الممكن أن تتدفق من الحجر))

2-وقابلية الحجر للتكسر

وهذه الحقيقة التي دُرِست وحُققت في المختبرات قد أثبتها القرآن الكريم ملخصة في قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ) ففي لفظة (يَتَفَجَّر) إشارة إلى أمرين:-

الأول هو وجود الماء تحت ضغط عالٍ داخل الحجر،

والثاني هو تعرض الحجر للتكسر وليس للتشقق وذلك بسبب هذا الضغط العالي،

حيث إن كلمة التفجر بالنسبة للتحجر تعني التفكك القوي المفاجئ،

أما (لفظة الأنهار) فتدل على غزارة المياه التي تخرج من هذا النوع من الحجر، وبالتالي إلى النفاذية الكبيرة لذلك الحجر،

وهذه الناحية الإعجازية فيها تبين العلاقة الوثيقة بين :-

1-قابلية الحجر للتكسّر

2-والضغط العالي للماء في داخل الحجر

3- وكذلك نفاذية الحجر.

الناحية الإعجازية الثانية:-

هي في الوصف الدقيق للنوع الثاني من الحجارة في قوله تعالى:

(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ)

هذا الوصف مبني على أن تفاوت الحجارة في قسوتها

إنما هو مرتبط بعوامل أخرى غير التركيب الكيميائي للحجارة

وفي هذه الحالة هناك ربط لقسوة الحجارة بالضغط القليل للماء الموجود في المسامات بين الحبيبات المكونة للحجارة.

يذكر ادقر دبليو سبنسر وصف هذا الربط بأنه تحت ظروف الضغط القليل للماء داخل الحجارة

فإن قوة الاحتكاك بين الحبيبات الصغيرة التي تتكون منها الحجارة تكون قليلة جدًّا فتبدأ الحجارة بالتشقق تدريجيا في المواضع التي يكون فيها

ارتباط الحبيبات ببعضها ضعيفا فتنفصل الحبيبات وتتباعد عن بعضها البعض دون أن تتكسر الحبيبات نفسها،
ومع هذا التشقق تحدث زيادة دائمة في حجم الحجارة مما يجعلها في هذه الحالة من النوع اللدائني Ductile Rock،
ويتدفق الماء من خلال التشققات بشكل غير عنيف
لأن ضغط الماء داخل الحجارة ليس قويا،
ويكون هذا التدفق بكميات قليلة نسبيا لكون الشقوق ليست كبيرة.
وهذا الوصف العلمي لقسوة الحجارة وعلاقتها بالمقادير النسبية لضغط الماء ومعدل تدفقه من الحجارة قد أورده الله تعالى بشكل دقيق في بضع كلمات في قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ)
فيبدأ بقوله (وإن منها) أي وإن من الحجارة نوع آخر في قسوته غير النوع الذي ذكر في الجزء الأول من الآية،
(لما يشّقق) أي لما يتصدع أو يتكون فيه شقوق، وصيغة يشقق هنا فيها دلالة على المطاوعة أي أن:-
الحجارة شققت بسبب ضغط الماء فتشقق استجابة لهذا الضغط
(فيخرج) أي يسيل ويتدفق من غير اندفاع لأن كلمة يخرج في هذا الجزء من الآية ذكرت في مقابلة (يتفجر) في الجزء السابق من الآية
والتي تدل على الاندفاع بقوة،
ثم قوله (الماء) للدلالة على أن الماء الذي يخرج من هذا النوع من الصخر إنما يكون بكميات قليلة وهذا يأتي من كون كلمة (الماء) أتت في مقابلة كلمة (الأنهار) في الجزء السابق من الآية،
والأنهار جمع نهر وهو اسم دال على هيئة معينة من الماء الكثير.

النـاحية الإعجازية الثالثة:-

وهي ناحية علمية وفيها لمحة إعجازية لغوية في نفس الوقت تتجلى هذه الناحية الإعجازية في قوله: (وإن من الحجارة)
وفي قولـــه: (وإن منها)، حيث يدل اللفظ في هذين المقطعين من الآية على التبعيض أي أن هذين النوعين من الحجارة هما على سبيل المثال لا الحصر.
ومن ذلك يمكن الاستنباط أن الحجارة قد تكون أنواعًا كثيرة من حيث قسوتها باعتبار الظروف المختلفة التي تكون فيها الحجارة عندما تتعرض للإجهاد وغيرها.

واستكمالا للتدبر في الآية نلاحظ أن الجزء المتبقي من الآية هو قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) يتحدث عن نوع آخر من الحجارة يهبط من خشية الله، وقد ذكر كثير من المفسرين أن معنى
(وإن منها لما يهبط) أي يتردى من أعلى الجبل،
كما ورد عند بعضهم أن الهبوط مجاز على الخشوع منها والتواضع الكائن فيها انقيادًا لله عز وجل.
قلت ـ والله أعلم: -المراد بالهبوط رغم أن ظاهر المعنى لا يدل على علاقته بقسوة الحجارة من الناحية الميكانيكية إلا أنها تنفعل من خشية الله بالهبوط كما تنفعل الحجارة الأخرى لما تتعرض له من ضغط الماء سواء كان الضغط قليلا أو كثيرا.
ولعل العلم يكشف يوما ما عن المعنى المراد بالهبوط في هذه الآية إن لم يكن مجازيًّا.

خاتمة:
هذه الآية التي يأتي سياقها في جملة من الآيات تتحدث عن حال بني إسرائيل وقسوتها رغم ما يذكرهم به ربهم من الآيات والنعم،

ثم ربطت الآية بين قسوة القلوب ومقدار ما يكون فيها من الإيمان ومثلت لذلك بمثل مادي يمكن أن يراه ويلاحظه البشر في أي مكان وزمان،
وذلك بتشبيه القلوب بالحجارة التي تتفاوت قسوتها حسب ما تحتويه من الماء، فالقلوب كالحجارة والإيمان هو الخير الذي يمكن أن تحتوي عليه هذه القلوب فتكون لينة بسببه فكان في هذا التشبيه والوصف الشامل والدقيق دعوة لكل من يسمع هذا الكلام من المؤمنين أن يتأمل في قلبه فيقيس درجة إيمانه بمقدار القسوة التي يجدها في قلبه،
ثم يعمل على زيادة إيمانه كلما وجد زيادة في قسوة قلبه وكان فيه أيضا دعوة لكل من لم يؤمن بأن يتبصر ويتفكر في هذه الظاهرة الكونية التي تدعو إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له،
فمن أبدعها وأبدع غيرها من الظواهر الكونية التي تحكم اتزان هذا الكون وما يحتوي عليه من المخلوقات هو المستحق للعبادة وحده لا يشرك معه أحد.
وفيه أيضا دعوة لبني آدم جميعا لربط التفكر في الظواهر المادية بالسلوك الروحي والإيماني بشكل عام.

من موقع مجلة الاعجاز العلمي:

http://www.eajaz.org/download.php?f=research_117.pdf&fc.الإعجاز في إيجاز أسس علم الجيولوجيا=pdf

وكما هو مثبت في علم الجيولوجيا

فإن الصخور جميعها مقسمة إلى ثلاثة مجموعات رئيسية

وهي:

١ .١ مجموعة الصخور النارية

:ذات الأصل البركاني والتي تكونت في باطن الأرض

وهي صخور شديدة الصلابة والقوة.

٢ . ٢ مجموعة الصخور الرسوبية

:وهي التي تكونت عن طريق الترسيب كطبقات متراكبة
فوق بعضها البعض عبر ملايين السنين.

٣ . ٣ مجموعة الصخور المتحولة

:وهي التي نشأت كنتيجة لتغير صفات أحد النوعين
السابقين وذلك إما لتعرضه لحرارة شديدة أو ضغط أوالإثنين معاً.
وكلاً من هذه المجموعات الصخرية مقسمة في ذاتها إلى أنواع أخرى عديدة
.فعلى سبيل المثال الصخور الرسوبية مقسمة إلى ثلاثة أنواع هي الأكثر
شيوعاً وانتشارا على وجه الأرض ألا وهي

1- الحجر الرملي
2- الحجر الجيري
3- وأخيرا الحجر الطيني ،
4- ويوجد نوع رابع يسمى بالمتبخرات(الصخور الملحية) (الطفلي.)

وتبعاً لما سبق تظهر بعض التسا ؤلات......

- س : 1 أي من المجموعات الصخرية السابقة هي التي يدور عنها الحديث (النارية أم الرسوبية أم المتحولة)؟ ولماذا ؟
- س : 2 ما هو نوع الصخر المشار اليه ؟
- س : 3 لماذا هذا الصخر بعينه دون غيره ؟
- وتكون الإجابة كالتالي:
- ج : 1 المجموعة الصخرية هي الرسوبية . وذلك لأنه بناءاً على النص القرءانى فالله– عز وجل – يتحدث عن صخور لها علاقة وطيدة بالماء – كما سيتضح لاحقاً .فصخور هذه المجموعة تعتبر أضعف الصخور مقاومة للمياه .وحيث أنها تتميز بكونها صخور مسامية تحتوي على كثير من المسام

والفجوات ، وأحياناً الكثير من الشقوق فإن ذلك يزيد من قدرتها على تخزين المياه بدرجات متفاوتة
****وذلك على النقيض من صخور المجموعتين النارية والمتحولة فهي صخور شديدة الصلابة مصمتة لا تحتوي مطلقاً على أية مسام أو فجوات ،**
وشديدة المقاومة لفعل الرياح و الأمطار.
ج : 2 الصخر المشار إليه هو الحجر الرملي
. وهذا الحجر يتكون من حبيبات دقيقة من الكوارتز(حبيبات الرمل)
والتي تماسكت ببعضها البعض عن طريق بعض أكاسيد الحديد
ومادة السيليكا اللذان يعملان كمواد لاصقة.
ج : 3 نرى في الجملة التي بين أيدينا أن الحجر الذى يدور حوله الحديث يجب أن يتمتع بصفات ثلاث مجتمعة ألا وهي:
١. ١ يسمح للمياه أن تتحرك بداخله بسهوله ويسر ،
كما أنها تندفع منه إلى سطح الأرض ذاتياً.
٢. ٢ يسمح بتخزين كميات هائلة من المياه في جوف الأرض بحيث يمكن استردادها
مرة أخرى.
٣. ٣ تخرج المياه منه عذبة صالحة للشرب مكونة عيوناً عذبة.
هذه الشروط السابقة تشير إليها الآية ضمنياً عن طريق كلمتين تؤكدان المعنى
العلمي وهما:
- **»يتفجر : « فهذا الفعل يدل على الخروج و الاندفاع بقوة(الشرط الأول)**
- **»الأنهار : « التي تدل على كثرة المياه وعذوبتها(الشرطين الثاني والثالث)**

.

وبالتالى فإنه بناءاً على الدراسات الجيولوجية – التي لا حصر لها – لجميع الظواهر الطبيعية المتمثلة في تكون العيون في جميع أنحاء العالم تولدت الحقيقة العلمية

التي تنص على أن الحجر الرملي هوالحجر الوحيد الذى تتوافر فيه تلك الشروط الثلاثة(وفي بعض الأحيان إذا وجدت صخور نارية مشققة أو مفتتة فإنها تتطابق في صفاتها مع الحجر الرملي ، حيث تكون حينئذ في المرحلة الأولى من تكوين الحجر الرملي.)

***وعلى سبيل المثال – لا الحصر – نستهل ببئر زمزم بمكة المكرمة والذي مازال ينضح بالمياه حتى هذه الساعة وإلى ما شاء الله فإن مياهه مصدرها خزان جوفي يتكون من طبقات من الحجر الرملي ،

والصخور النارية المفتتة (بحيث تتطابق صفاتها مع الحجر الرملى)

ولو أن تلك المياه التي خرجت منه - منذ مولد سيدنا إسماعيل وحتى الآن ووضعت في مجرى نهر لملأته.

***وفي مصر وبالتحديد في منطقة واحة سيوة الواقعة في شمال الصحراء الغربية -حيث يوجد أكبر تجمع لشركات تعبئة زجاجات المياه المعدنية - نجد أن المياه الجوفية الصاعدة في جميع الآبار آتية من خزان جوفي ضخم يتكون من طبقات هائلة من الحجر الرملى الممتلئ بالمياه حتى وقتنا هذا.

***وفي استراليا – وكما هومعلن على شبكة المعلومات الدولية - يوجد خزان جوفي ضخم يقع شرق تلك القارة الصغيرة ويمثل % 20 من مساحتها .هذا الخزان الطبيعي يتكون من طبقات هائلة من الحجر الرملي ،

وتندفع منه كميات كبيرة من المياه العذبة مكونة العديد من العيون

وفي الولايات المتحدة الأمريكية – وبناءاً على تقرير هيئة المساحة الجيولوجية بولاية وايومنج والمعلن على موقعها بشبكة المعلومات الدولية –تعتبر كل من مناطق وادي سان جوكين بولاية كاليفورنيا ، مدينة لاس

فيجاس بولاية نيفادا ، مدينة نيوأورليانز بولاية لويزيانا، ومدينة هيوستن بولاية تكساس أفضل المواقع التي تربطها علاقة جيولوجية واحدة ألا وهي أن المياه الأولية لتلك المدن والتي تعتمد عليها في مختلف مجالات الحياة موجودة بكميات كبيرة كمياه جوفية عذبة - أسفل تلك المدن – ومختزنة داخل طبقات من الحجر الرملي.

***وفي شتى بقاع الأرض ما من بئر ينضح بالمياه العذبة إلا وكان مصدر تلك المياه طبقات من الحجر الرملي

وهنا يظهر تسأول لماذا لا يكون أي من الحجر الجيري أو الحجر الطفلي هوالمقصود؟

ذلك لأن كلاً منهما يفتقد إلى الخواص و الصفات الصخرية التي يتمتع بها الحجر الرملي من حيث :-

1-حجم الحبيبات المكونة للصخر

2- التركيب الكيميائي والمعدني لتلك الحبيبات

-3وكذلك المادة اللاصقة لها.

ذلك الاختلاف الكبير في الصفات الصخرية ينشأ عنه تباين في تعامل المياه وتفاعلها مع كل صخر

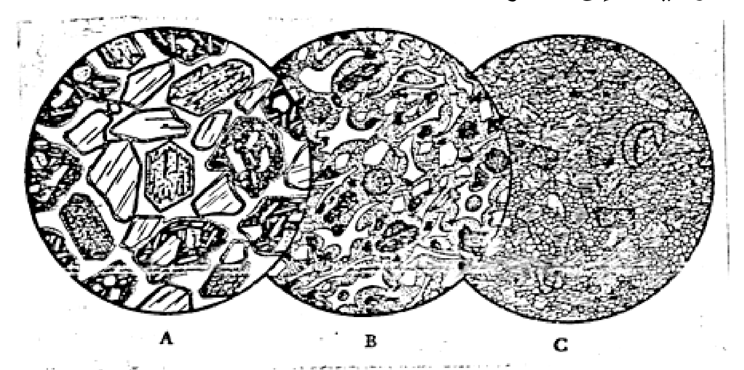
فالحجر الجيري إذا تجمعت عليه المياه بكميات كبيرة فإنها تتسرب بداخله ويمتصها الحجر ببطء شديد ودون حركة للمياه بداخله نتيجة لشدة وضيق المسام وحجم الحبيبات المتناهي في الصغر شكل 1

مما يؤدي إلى ركود المياه داخله ثم تبدأ في إذابته تدريجياً ،

ونتيجة لهذا الذوبان فإن المياه تصبح مالحة ، وهوما يتنافى مع المعنى في لفظ » الأنهار » الدال على عذوبة الماء ،

بالتالي فإن الحجر الجيري يفتقد إلى الشروط الثلاثة السابقة جميعها لذا لا يمكن أن يكون هوالمقصود في الجملة.

*****وبالنسبة إلى الحجر الطفلي فإنه بالرغم من مساميته العالية وقدرته على امتصاص المياه إلا انه لا يسمح للمياه بالمرور بين المسام والفتحات لأنه لا توجد نفاذية قنوات أو مسارات بين المسام -**
على النقيض من الحجر الرملي والذي يتمتع بنفاذية عالية جداً تسمح بمرور المياه من خلاله شكل1
هذا بالإضافة إلى أن الحجر الطفلي إذا امتلىء بكميات كبيرة من المياه فإنه سوف يتحول إلى طين لزج(الوحل)، وبالتالي فإن الحجر الطفلي يفتقد هو ايضاً إلى الشروط الثلاثة.



- •Aالحجر الرملي

:وتظهر فيه المسافات البينية المتصلة بين حبيبات الرمل والتي تسمح بتخزين المياه.

- •Bالحجر الطيني

:وتظهر فيه المسافات البينية أقل اتساعاً وغير متصلة لذلك لا يسمح بنفاذ المياه.

- •Cالحجر الجيري

:_وتظهر فيه المسافات البينية أصغر ما يمكن أن تكون بالإضافة إلى عدم اتصالها.

ومن ذلك الاختلاف بين أنواع الصخور تتجلى حكمة المولى – عز وجل – في خلقها بهذه الكيفية حيث جعل لكل واحد منها وظيفته التي خلق من أجلها

.فمثلاً الحجر الطفلى وظيفته في أن يحتفظ بالمياه داخله فقط من أجل أن يمتصها النبات(الزراعة)وليس لكي تسترجع منه كما هو الحال مع الحجر الرملي.

وبناءاً على كل ما سبق من الأدلة والحقائق العلمية الدامغة فإنه لا مجال للشك على أن الحجر المشار إليه في الجملة هو الحجر الرملى

– والله تعالى أعلى وأعلم.

الإعجاز_العلمي:

تتجلى روعة الإعجاز العلمي في هذه الجملة في أن الله – عز وجل – في وصفه لما يحدث استخدم فعل » يتفجر » بالرغم من ثراء اللغة العربية بأفعال قد تصف أو تعطى معنى مقارب لخروج المياه .

وإضافة إلى ذلك نجد أنه ما من موضع في القران العظيم يتحدث عن العيون أو الينابيع أو الأنهار إلا وقد ذكر فيه فعل » التفجر » فنجد....

- »فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا - «)60 البقرة)

- »وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا - «) 90 الإسراء)

- »أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا - «) 91 الإسراء)

- »كلتا الجنتيناءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهرا «) 33- الكهف)

- »وجعلنا لهم جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون «) 34- يس)

•»وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر «) 12- القمر)

وهنا يأتي السؤال ... ولماذا ورد هذا الفعل في تلك الجملة من الآية علماً بأنه في الجملة التي تليها ورد فعلين » يشقق » و » فيخرج ؟؟

نبدأ باللغة العربية وأصل ذلك الفعل ...ففي المعجم الوجيز نجد....

(فَجَرَ) فَجَرُ فَجْراً ، وفُجُوراً:

فيقال :فَجَرَ القناة أي شقها ، ويقال : فَجَرَ الماء أي شق له طريقاً.

(فَجَّرَ :) بالغ في الشق.

(انْفَجَرَ) الماء ونحوه :انبعث سائلاً ويقال : انْفَجَرَ فلانٌ باكياً

مما سبق يتضح لنا من معنى » يتفجر « أن الحجر يتشقق بسبب الماء الذى يشق لنفسه طريقاً في الصخر .

وبما أننا أثبتنا أن الحجر المقصود في الجملة هوالحجر الرملي فهذا يعني أن عملية » التَّفجّر » تحدث مع هذا الحجر بصفة خاصة.

ومن هنا قد تطرح أسئلة كثيرة منها:

•س : 1 لماذا يقترن هذا الفعل دائماً مع الأنهار والعيون(المياه العذبة)؟

•س : 2 هل يحدث حقيقة أن المياه تشق لنفسها طريقاً خلال الحجر الرملي إلى سطح الأرض وهي مختزنة في مسامه ؟

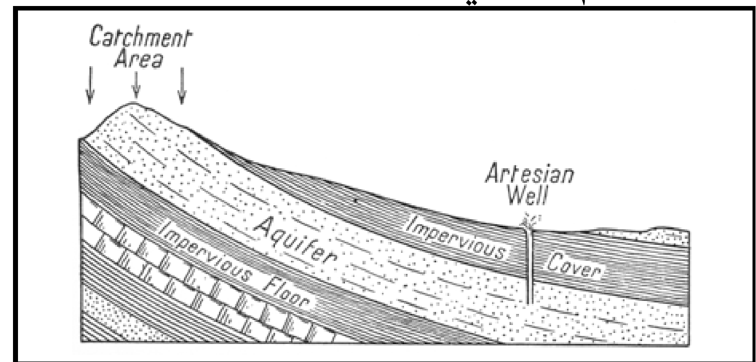
•س : 3 متى يُؤذن بذلك وكيف يتم ؟

•قبل الإجابة على تلك التساؤلات يجب علينا أن نتعرف على الوضع الجيولوجي للطبقات الصخرية تحت سطح الأرض والظروف اللازمة لتكوين خزان جوفي يسمح بتواجد كميات كبيرة من المياه بداخله.

بالنظر إلي الشكل(

)2 نجد أن الطبقات الصخرية بإختلاف أنواعها تكون متراصة- غالباً - فوق بعضها بصورة أفقية فإذا تراصت الطبقات بحيث تكون طبقة الحجر الرملي

تعلومباشرة طبقة صخرية غير مسامية (لا تمتص المياه)وليست ذات نفاذية (لا تسمح بمرور المياه
) Imperviousأي أنها مانعة للتسرب فعندئذ تكون الأرض مهيئة لاستقبال المياه وتكوين خزان جوفي
وإذا كانت طبقة الحجر الرملى محاطة من الجوانب بصخور مماثلة لتلك التي توجد بأسفل فإن الخزان في هذه الحالة يكون مثالياً.
شكل :)2 رسم توضيحي يبين الطبقات الصخرية المكونة لخزان مياه جوفي.



ومع نزول الأمطار على سطح الأرض تبدأ المياه رحلتها إلى باطن الأرض عبر الشقوق والفجوات لمسافة قد تصل إلى ألف متر إلى أن تصل إلى مستقرها النهائي في مسام الحجر الرملي بين حبيباته وتختزن بداخله لآلاف السنوات.
والآن نأتى الإجابة على الأسئلة السابقة......
عندما يأذن الله - عز وجل - فإن عملية التفجر تبدأ بوقوع قوى شد للصخور التي تحيط بالصخر الممتلىء بالماء(الحجر الرملي)
فتتحول قوى الشد تلك إلى قوى ضاغطه واقعة على الحجر الرملي.
هذا الضغط ينتقل تدريجياً للمياه المختزنة داخل مسام الحجر ومع ازدياد هذا الضغط الواقع على المياه والذى يفوق وزن الصخور التي تعلو الحجر الرملي فإن المياه لا تجد لها مفراً من تأثير هذا الضغط المستمر عليها ،
غير أن تبدأ في عمل شقوق لها داخل الحجر الرملى متجهة إلى أعلى،

حيث يقل الضغط العلوى تدريجياً إلى أن تصل إلى سطح الأرض مكونة ينبوعاً أو ينابيع من المياه العذبة
تعرف باسم الآبار الإرتوازية
.Artesian Wells وتلك الآبار هي المعروفة بأن مياهها تخرج ذاتياً إلى سطح الأرض دون عمليات سحب بواسطة الماكينات.
الجدير بالذكر هنا أنه خلال رحلة العودة إلى السطح فإن المياه تمر بعملية تصفية وتنقية وتحلية من جميع الشوائب والأملاح ،
وتحدث عملية التصفية هذه لأن التكوين الصخري للحجر الرملي
(عبارة عن حبيبات دقيقة من الكوارتز)
لا يسمح مطلقاً بتفاعل المياه معه
أوحدوث أي تغيير في طعم أو لون أو رائحة المياه بل يزيدها صفاءاً وعذوبة.
ومن هنا نرى الجانب الثاني من الإعجاز
والذي يتمثل في كلمة » الأنهار » حيث يتضح منها دلالتان الأولى :
1-الدلالة على الكم الكبير من المياه المتدفقة
. -2والثانية : الدلالة
على أن تلك المياه صالحة للاستخدام المباشر من حيث الزراعة والسقاية دون أي معالجة أو تطهير أو تحلية ،
كما هو واقع لنا كحقائق ملموسة في شتى بقاع العالم كالمناطق السابق ذكرها على سبيل المثال.
ومن فضل الله - عز وجل - أنه تم الإثبات بالتجربة - العلمية والعملية - أن السبب الرئيسي في تكوين الشقوق في داخل الحجر الرملي وتحديداً إلى أعلى - في مثل تلك الظروف هو الماء ،
كما ورد باللفظ القرآني .وكان التوصل إلى تلك الحقيقة العلمية في عام

-) 1998 (والمعلنة على شبكة المعلومات الدولية - عن طريق الباحثة »
فيسر » من خلال الدراسات والتجارب المعملية والنتائج التي توصلت إليها
والتي منحت على آثارها درجة الدكتوراه من جامعة دلفت بهولندا .
وكان موضوع الرسالة
»التشقق المائي المتمدد للمواد المسامية المشبعة بالمياه«.
حيث قامت الباحثة بالعديد من التجارب المتنوعة من حيث توقيع الضغط بطرق ومقادير مختلفة على عينات أيضاً مختلفة من الحجر الرملي المشبعة ؛ والممتلئة بالماء ، وقامت بقياسات عديدة ، ودراسة تفصيلية لدور ضغط الماء المختزن بداخل تلك العينات في تكوين الشقوق في ظروف مماثلة لتلك الكائنة تحت سطح الأرض حيث يكون الصخر مشبعاً بالماء ، ومحاطاً بضغط من جميع الجوانب إضافة إلى الضغط العلوي والسفلي.
Tشكل :)3 (الجهاز الاختباري لتوقيع الضغط على الحجر الرملي الممتلئ بالماء.
ولقد توصلت الباحثة إلى أنه في جميع الحالات - التي تم اختبارها - قد تضمنت بالفعل حدوث تشققات داخل الصخر في اتجاه وطريق محدد لأعلى ، وأن السبب في ذلك هو ضغط المياه المحيطة والمختزنة في مسام الحجر الرملي بين حبيباته ؛ والذي جاء نتيجة لانتقال الضغط من الصخور التي حول صخر الخزان إلى المياه التي بداخله.
ليس ذلك فحسب – بل إن هذه التشققات تتكون بطريقة بطيئة بحيث تسمح وتضمن اختراق فوري للماء إلى داخل تلك الشقوق .
إضافة إلى ذلك فلقد توصلت الباحثة إلى أنه ليس بالضروري أن يكون الضغط الرأسي الموقع على العينات كبيراً بل القليل منه يكفي
كعامل مساعد لتكوين الشقوق
. وهذا يعني أنه ليس بالضروري أن يكون الحجر الرملي المكون للخزان الجوفي والمشبع بالماء موجوداً على أعماق كبيرة تحت سطح الأرض،

ويأتي تساؤل آخير...

س لماذالم تتم مثل هذه التجارب على الحجر الطفلي والحجر الجيري ؟

ج : فنجيب بإيجاز : إن التجربة التي تمت تتناول تأثير وعمل المياه المختزنة بين حبيبات الحجر الرملي حين وقوع ضغط على الحجر

فوجد أن هذا الضغط ينتقل بدوره إلى المياه في داخل المسام

ومن ثم يحدث التشقق بسبب المياه وهوما لا يمكن دراسته أواختباره في الحجر الطفلي أوالحجر الجيري حيث أن الحجر الطفلي يستجيب لقوى الضغط فيعتصر مخرجاً الماء دون أي تشقق أما الحجر الجيري فلا يسمح بانتقال الضغط إلى المياه في مسامه

وهذا ما سنتاوله بالتفصيل في الجملة الثانية من الآية.

الجملة الثانية (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

ففي هذا الجزء من الآية نرى تكراراً ظاهرياً من حيث المعنى ، ويتمثل ذلك في وجود كل

من الفعل » يشقق «و » الهاء «في »منه »

للإشارة إلى أن الحديث هنا عن نوع صخري آخر ، كما ورد في الجزء الأول سابقاً.

وبناءاً على ذلك تتكرر الأسئلة

س : 1 أي من المجموعات الصخرية هي التي يدور عنها الحديث ؟ ولماذا ؟

س : 2 ما هونوع الصخر المشار اليه ؟

س : 3 لماذا هذا الصخر بعينه دون غيره ؟

وتكون الإجابة كالتالى

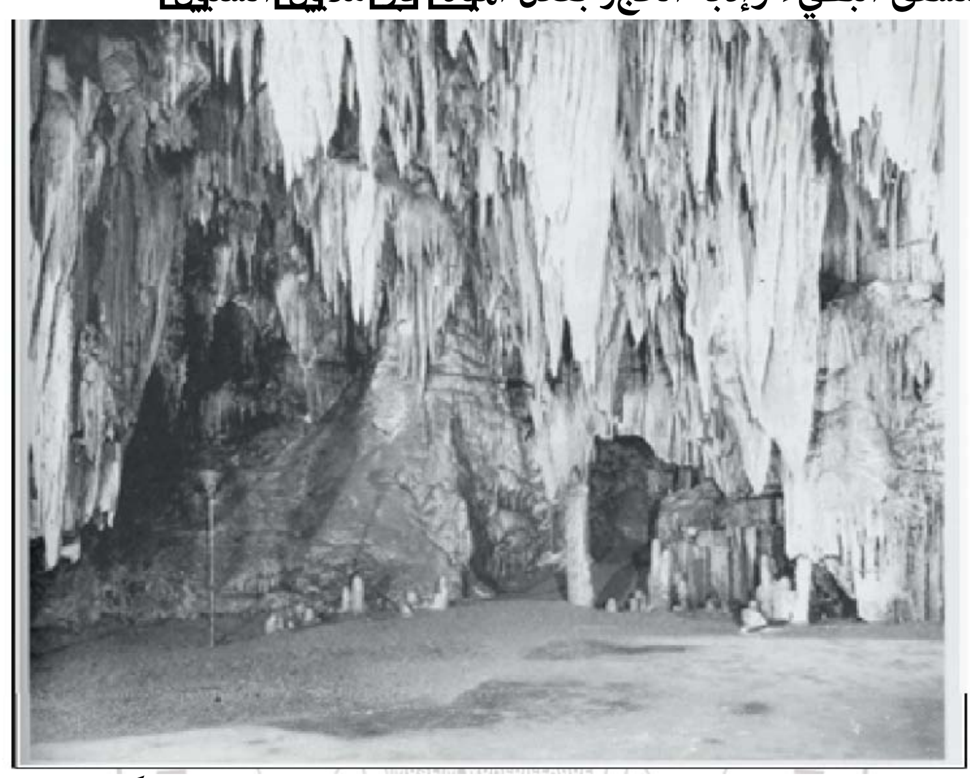
ج : 1 المجموعة الصخرية هي : مجموعة الصخور الرسوبية ولقد أشرنا آنفاً إلى السبب في تلك الإجابة.

ج : 2 الصخر المشار إليه هو :الحجر الجيري.
ج : 3 أولاً وقبل الإجابة على السؤال علينا أن نتعرف على أهم ما يميز الحجر الجيري عن الحجرين الرملي والطيني
هوأنه الأقل قدرة على امتصاص الماء وذلك لضيق المسام الشديد بين الحبيبات(شكل
)1 - هذا بالاضافة إلى أن الحجر إذا تجمع عليه الماء لفترات طويلة فإنه يعمل على إذابة المادة اللاصقة لحبيبات الصخر تدريجياً فيصبح الصخر كالرماد أو التراب الأبيض.
ومن حيث القدرة على التشقق فإنه الأكثر قابلية للتشقق عند تعرضه لأي قوى مؤثره عليه مقارنة بالحجرين الآخرين
وهذا يرجع أيضاً لطبيعة تكوينه .لذلك يعتبر هذا الحجر أكثر الصخور امتلاءاً بالشقوق في الطبيعة.
وبالنظر لكلمات الجملة بتمعن من حيث المعنى والترتيب نرى أن الله يخبرنا بأنه يوجد من أنواع الصخور ما إن تشقق – لسبب أولآخر – فإن ما به من مياه تخرج بسرعة والدليل حرف» الفاء"،
كما أن فعل» الخروج » يدل ضمنياً على أنه قد سبقه فعل » الدخول » وبالتالى فإن هذا يعني أن الماء استطاع الدخول في جوف الحجر ولم يستطع الخروج فاختزن بداخله،
أي أن الماء في انتظار التشقق حتى يخرج
...فكيف تمكن الماء من الدخول وهوبعد ذلك لا يستطيع الخروج ؟
بناءاً على الدراسات والأبحاث الجيولوجية العديدة في كثير من الجبال وجد أن هذه الظاهرة تتواجد في جبال الحجر الجيري مخلفة ورائها العديد من الكهوف والمغارات .
وتم التعرف على تلك الظاهرة من دراسة تلك الظواهر عن كثب.

فبداية وعند دخول الكهف نجد تجمعات كبيرة من المياه على أرض الكهف مكونة بركة متسعة وأحياناً قد نجد نهراً من المياه يجري في اتجاه ميل أرض الكهف حتى يخرج منه أو إلى أن يصل إلى شق عميق فينزل فيه.
فنتساءل .. كيف تكوّن هذا الكهف في أعلى الجبل وكيف دخلت اليه المياه ولم تخرج ؟؟
(شكل)4 -
وجد أنه في بادئ الأمر كان هذا الكهف مصمتاً يتكون من طبقات متراصة من الحجر الجيري ،
ومع نزول الأمطار لفترات طويلة بكميات غزيرة استطاع الماء من خلال الطبقات والشقوق التي تعلو ذلك الكهف أن يصل إلى أُولى طبقات الحجر الجيري والتي تمثل سقف ذلك الكهف
.ومع مرور آلاف السنين على تواجد الماء على ذلك السقف فانه يبدأ في الذوبان تدريجياً طبقة تلو الآخرى حتى تتآكل الطبقات مكونة تجويف الكهف.
ومن الدراسة التفصيلية لتلك الكهوف والمغارات الجبلية وجد أن أسقف هذه المغارات والكهوف تتكون في بعض الأحيان من طبقات الحجر الجيري ، وتحتوي على عدد كبير جداً من الشقوق التي كانت سبباً في تخلل الماء في وسط طبقات ذلك الحجر الجيري .
وعند دخول الكهف ومع استمرار تلك العملية نجد تساقط قطرات المياه من سقف الكهف على أرضه مكونة بركاً من المياه الراكدة
.فإذا ما تشققت أرض الكهف بفعل المياه وتكرار عملية الاذابة البطيئة والتي وصفت بكلمة» يشقق ”فسرعان ما تبدأ هذه المياه بالحركة متخللة الحجر الجيري لأسفل كما ورد بالآية.

ومن هنا يتضح لنا كيف أن الماء احتبس داخل تجاويف الحجر والتي قد تصل في حجمها إلى
الكهوف ولا يخرج الا بعد التشقق.

شكل صورة حقيقية لأحد كهوف الحجر الجيري التي تكونت عن طريق التشقق البطيء وإذبة الحجر بفعل المياه عبر ملايين السنين



هذا بالإضافة إلى أن الماء المنساب من هذا الحجر لن يكون عذباً بأي حال من الأحوال؛ وذلك لتفاعله مع الحجر فيصبح مالحاً وممتلئاً بالتراب الأبيض .

وهذا يتطابق مع كلمة »ماء « التي وردت في الجملة والتي تعنى أنه ليس من المؤكد أن هذا الماء عذب ولكنه قد يكون غير ذلك.

ربما يسأل سائل

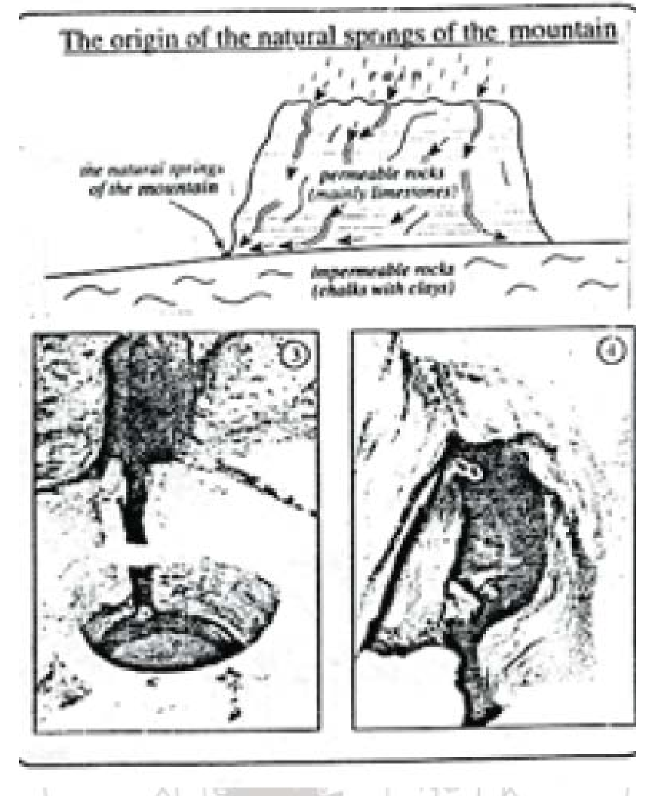
س ولكن أليس الحجر الرملي قابل للتشقق أيضاً وخروج الماء منه؟

فلماذا لا يكون هو المقصود؟

ج : بلى ولكن خروج الماء من الحجر الرملي لا يستلزم تشققه وذلك لما يتمتع به الحجر الرملي من نفاذية عالية تسمح للماء بالحركة دون الحاجة للتشقق أو إلى شقوق حيث أنه مليئ بالمسارات بين الحبيبات .

وذلك على عكس ما اشترط عليه في الآية لخروج الماء وهو تشقق الحجر.

شكل رسم توضيحي لحركة مياه الأمطار داخل جبل من الحجر الجيري بصحراء مصر الشرقية يبين نفاذ المياه من أعلى إلى أسفل من خلال الشقوق العديدة بالجبل وخروجها من أحد الشقوق ب أسفل الجبل



الإعجاز البلاغي واللفظي:

بناءاً على ما سبق فإنه يتضح لنا مدى الإعجاز البلاغي واللفظي في الآية ؛ والذي يؤكد
أيضاً الإعجاز العلمي فيها .هذا الإعجاز يتمثل في أنه لم يتم استخدام الفعل »يخرج » بما في ذلك حرف » الفاء - » الدال على سرعة الحدث – بعد الفعل » يتفجر » في الجملة الأولى.
ففي الجملة الأولى فإن الفعل » يتفجر ”يتضمن في ذاته حدثين في آنٍ واحد ، أو مُهلا حدوث
التشققات داخل الحجر ، والثاني – في نفس الحين – خروج الماء من الصخر ليس ذلك فحسب بل بقوة واندفاع.
لذا وجب عدم ذكر الفعل » يخرج » أوعدم الإتيان به لعدم الحاجة إليه ، وللبعد عن التكرار؛ حيث يجب استخدامه في الجملة الثانية من الآية .
وهذه اللطيفة من أسرار البلاغة في الشمول والإيجاز .
وحيث إن مجيء فعلين متتاليين في الجملة يعني حدثين منفصلين متعاقبين متزامنين،
ويكون الأخير مبنياً أومشروطاً على حدوث الأول
.ففي الجملة الثانية نجد الفعل » يشقق(» الشين مشددة)الدال على البطء والروية في الفعل وهو أبلغ وصف لفعل المياه مع الصخر عبر ملايين السنين
وهوبدوره يسمح للمياه
بالمرور من خلال الحجر شكل)3 (
، وبدون حدوث ذلك التشقق لن يسمح للماء بالمرور
أوالحركة .لذا وجب ذكر » فيخرج » بعد التشقق، ومن هنا يتضح لنا كيف أن البلاغة اللفظية تتفق مع البحث العلمي.

وبالمقارنة بين الجملتين في الآية يتضح لنا مدى روعة الإعجاز في دقة الألفاظ والكلمات
بل والحروف فيما يتناسب مع الحقيقة العلمية البحتة .
كما أننا نرى السبق العلمي والإيجاز
الخفي لتصنيف الصخور الرسوبية وبيان ما تتمتع به من صفات .هذا بالإضافة إلى إظهار
دور المياه المتباين في شق الصخور تارة بقوة واندفاع وتارة أخرى ببطء وانسياب.

الجملة الثالثة (: وإن منها لما يهبط من خشية الله)

هذا الجزء من الآية يتناول بإيجاز شديد فرعاً آخر من أفرع علم الجيولوجيا ، خفي بين طيات
معاني كلمات القرآن المعجزة ، ممتزجاً مع آيات الخشوع والرهبة .
هذا العلم هو المعروف باسم علم الجيولوجيا التركيبية Structural . Geologyففي البداية
أود توضيح بعض المفاهيم لأحد الظواهر الجيولوجية المسماة (بالفوالق)

تعريف الفالق:

الفالق عبارة عن شرخ في الصخور أو الجبال الموجودة على سطح الأرض وهو ثنائي الأبعاد
- فله امتداد وعمق قد يصل طول أحدهما أو كلاهما إلى عدة كيلومترات .
هذا المستوى ثنائي الأبعاد له أيضاً مقدار ميل محدد ،
1-فاما أن يكون مستوى الفالق رأسياً تماماً ،
وفي هذه الحالة يكون مقدار الميل يساوي صفر
2-أو أن يكون أفقياً وبالتالي فإن مقدار الميل يساوي 90 درجة – وهو نادر الحدوث

-3- أوأن يكون مائلاً بقيمة متفاوتة ما بين الصفر و 90 (شكل.6)

وعادة ما يصاحب هذا الفالق انفصال بين كتلتين كبيرتين من الصخر يؤدي إلى ازاحة إما رأسية أو أفقية أو الاثنين معاً
مما ينتج عنه-:
1-هبوط إحدى الكتلين لأسفل
2-وصعود الأخرى لأعلى
وهو ما يعرف باسم الهبوط الصخري أو الإزاحة الصخرية
Rock Displacement
وتعتبر عملية الإزاحة الصخرية أو الهبوط ذات أهمية كبيرة جداً في علم الجيولوجيا التركيبية،
لذلك فإنه يتم دراستها ، وتسجيل العديد من القراءات والقياسات لمعدل ذلك الهبوط وكميته واتجاهه ومقدار ميله.

<u>أسباب الفالق:</u>
يحدث الفالق الصخري نتيجة وقوع الصخر تحت قوى شد كبيرة جدا ينتج عنها تشقق الصخر ،
ومثال على ذلك لو أن شيئاً ما جُذِبَ من أطرافه فلابد أن يتمزق وكذلك هو الحال في الصخور.
<u>الإعجاز العلمي واللفظي في الآية:</u>
س نرى في الآية مجيء الفعل يهبط ولم يرد الفعل (يسقط) فلماذا ؟
ج : وذلك لأن الفعل » يهبط « يستخدم لوصف حركة جسم ما لأسفل في اتجاه معين و بمقدارو سرعة ميل محددين ،
فمثلاً يقال » هبوط الطائرة « أي أن الطائرة مقيدة

في حركتها لأسفل – عن طريق القائد
1 –باتجاه معين
2-ومقدار محدد للهبوط
3- وكذلك زاوية ميل مقاسة
***أما إذا قلنا » سقوط الطائرة«
فهذا يعني حركة عشوائية لأسفل غير معلومة
الكيفية و الاتجاه و الميل.
وبالتالي فإن الفعل » يهبط » يتناسب تماماً في المعنى مع ظاهرة الهبوط
الصخري – التي تم شرحها - من حيث :-
1-تحديد اتجاه الحركة
-2ومقدارها ،
3- وأيضا زاوية الميل ،
كما توصل إلى ذلك العلم الحديث . والله تعالى أعلى وأعلم.
***ومن الجدير بالذكر أنه لم يأت بعد الفعل » يهبط » أي أفعال أو
صفات قد تفيد التخصيص لحجر محدد – كما ورد في الجزأين الأول والثاني
–بل جاء قبله ما يفيد العموم وهو » منها«
لأن هذه الظاهرة يمكن حدوثها لجميع أنواع الصخور التي لا حصر لها ،
هذا بالإضافة إلى إمكانية حدوث ظواهر أخرى:-
كالسقوط أو الانهيار الكامل.
***جانب آخر من الاعجاز في الآية ألا وهو الترتيب في ذكر ووصف تلك
الظواهر الطبيعية الثلاثة على النحو الذى وردت به وليس بترتيب آخر
(ظاهرة التفجـــــــــر و يليها التشقـــــــــق ثم الهبــــــــوط)
و هو ما يعد وصفاً مطابقاً لما يحدث في الطبيعة بالفعل.

***ففي الولايات المتحدة الأمريكية وتحديداً في مدينة مكسيكو بولاية وايومنج قام بعض علماء الجيولوجيا العاملين بهيئة المساحة الجيولوجية التابعة للولاية بنشر بحث على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان الهبوط الكامن والمرتبط بعمليات سحب المياه الجوفية
في حو ض نهر بودر
.هذا البحث يناقش المشكلة التي تعانى منها المدينة والتي تتمثل في هبوط الطبقات الأرضية نتيجة للسحب المستمر للمياه الجوفية المختزنة في طبقات الحجر الرملى تحت المدينة .
وأن هذه المشكلة تتكرر في مناطق ومدن أخرى في أمريكا.
والمهم في ذلك البحث هو ترتيب الأحداث التي أدت إلى تلك المشكلة...
فالبداية .... انفجار للمياه الجوفية المختزنة بباطن الأرض
يليه ...... تشقق للصخور المحيطة بطبقات الخزان الجوفي
ثم ...... هبوط للكتل الصخرية المقام عليها المدينة.
ويحدث ذلك الهبوط نتيجة لكونه مترافقاً مع عمليات السحب المستمر للمياه من الخزان الجوفي للمدينة ،
ولذلك فإن طبقات الحجر الطفلى(المقامة عليها المدينة)
و التي تعلو طبقات الحجر الرملى المليئة بالماء(الخزان الجوفي)
تجف تدريجياً نتيجة لتسرب جزء من المياه التي بداخلها إلى الحجر الرملى أسفلها فيحدث
-1جفاف
2-وتشقق لطبقات الحجر الطفلي
-3واتساع للفجوات ومسام الحجر
وتصبح تلك المسام مليئة بالهواء لا بالماء .

ومن ثم ونتيجة للأحمال التي فوق الطبقات فانها تنضغط ويحدث الهبوط.
و آخرا:

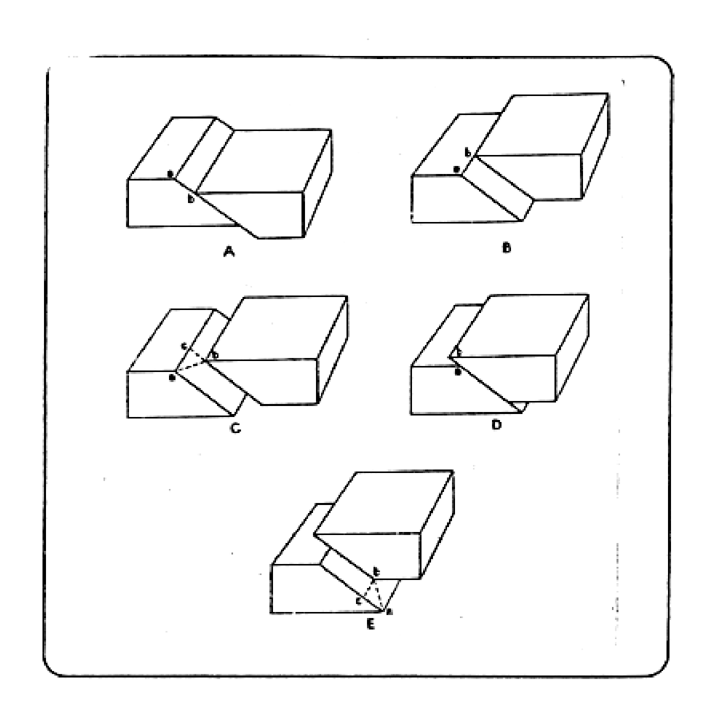
<u>الإعجاز العلمي في جملة ".... (من خشية الله)</u>

من هذه الجملة يتجلى لنا التفسير العظيم لظاهرة
الهبوط الصخري ليس ذلك فحسب بل وكلاً من:-
ظاهرتي التفجر و التشقق

* <u>فكل ما يحدث للصخور من عمليات تفجر أو تشقق أو هبوط سببه العلمي واحد:-</u>

وهو تعرضها لقوى جذب (شد) كبيرة جداً ينشأ عنها ردود أفعال متفاوتة ومختلفة - التي ذكرها الله عز وجل
- وذلك بناءاً على طبيعة و تكوين كل نوع من أنواع الصخور
- تلك القوى و الحركات الصخرية هي أثر الخوف والخشوع من الله عز وجل
فإذا تأملنا كلمة » خشية نرى أنها تعني الخوف
* والخوف هو ظاهرة نفسية معروفة لدى البشر تحدث نتيجة وقوع الإنسان تحت عامل مؤثر يثير الخوف والرعب لديه فيتولد من تلك العملية - كلما اشتد الخوف - قوى شد في جسم الإنسان تسري في عضلاته وأوصاله، وهي معروفة باسم » الشد العصبي
***وكلما زاد ذلك الخوف زادت تلك القوى بداخله لدرجة قد تؤدي إلى:-
1-انفجار بعض الشرايين
2-أو توقف عضلة القلب نتيجة الانقباض المفاجئ لها
وكما يحدث مع الإنسان فإنه يحدث مع الصخور والجبال إذ أنها تتأثر من شدة خوفها من الله - عز وجل - بقوى شد كبيرة جداً

تؤدي إلى تفلقها وتصدعها (الفوالق) والتي تؤدي بدورها إلى عملية الهبوط التي سبق شرحها.
ولقد ورد هذا المعنى بصورة واضحة في سورة الحشر إذ يقول الله عز وجل
{ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} **[الحشر: 21]**
***وفي بعض الأحيان إذا زادت كمية الفوالق بدرجة كبيرة فإنها تؤدي إلى انهيار الجبل ونرى هذا المعنى جلياً في سورة الأعراف إذ يقول الله عز وجل**
(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا**)** **143 الأعراف**
فهذه الآيات توضح لنا ، وتؤكد أسباب التصدع والتي يتبعها إما عمليات الهبوط أو الانهيار الكامل للصخور والجبال.
ويأتي السؤال الأخير ... أما آن لنا أن نخشع كخشوع الجبال والصخور ؟؟
وإيجازاً لما سبق نجد أن الآية تناولت في أجزائها الثلاثة وصفاً بديعاً للعديد من الظواهر الجيولوجية وإظهاراً للعلاقة بين المياه وأنواع الصخور الرئيسية المكونة لمجموعة الصخور الرسوبية ألا وهي :-
الحجر الرملي ، الحجر الجيري وأخيراً الحجر الطفلي.
إنه حقاً لقرآن كريم وعظيم .عظيمٌ في كل ما يحتويه وسيظل عظيماً ، وسنظل عاجزين أمامه
ولكنه سيبقى في عظمته هادياً إلى أن يشاء الله رب العالمين.
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين


A
B
C
D
E

أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا
يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ
لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ
إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ
خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ
أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾

أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا
يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

(أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ)

فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم،

*****(((من كفرهم بمحمد ﷺ وهو مكتوب عندهم في التوراة)))**

وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين

فإن هذا غلط منهم وجهل كبير،

فإن الله يعلم سرهم

(وَمَا يُعۡلِنُونَ)

و علنهم، فيُظهر لعباده ما أنتم عليه.

(وَمِنۡهُمۡ)

أي: من أهل الكتاب

(أُمِّيُّونَ)

أي: عوام، ليسوا من أهل العلم،

***** وَالْأُمِّيُّونَ جَمْعُ أُمِّيٍّ، وَهُوَ: الرَّجُلُ الذِي لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ**

(لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ)

أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط،

(وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ)

*****يكذبون**

وليس عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم،

وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم منهم.

فذكر في هذه الآيات علماءهم، وعوامهم، ومنافقيهم، ومن لم ينافق منهم،

– فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال،

– والعوام مقلدون لهم، لا بصيرة عندهم فلا مطمع لكم في الطائفتين.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ)

*** جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول**

عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا:

{فَوَيْلٌ للذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم} **[البقرة79]** ،

قَالَ: «نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ»[]

*** هَؤُلَاءِ صِنْفٌ آخَرُ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُمُ الدُّعَاةُ إِلَى الضَّلَالِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللهِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

*** كَانَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ كَتَبُوا كِتَابًا مِنْ عِنْدِهِمْ، يَبِيعُونَهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَيُحَدِّثُونَهُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِيَأْخُذُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.

*** صحيح البخاري

2685 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ،

[]: **خلق أفعال العباد للبخاري (ص92)**

وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺأَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ،
وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ
وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ،
فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا،
أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ،
وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ "( )

-توعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون:

(ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ)

وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما فعلوا ذلك مع علمهم

(لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ)

و الدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل،

فجعلوا باطلهم شركا يصطادون به ما في أيدي الناس،

فظلموهم من وجهين:

1- من جهة تلبيس دينهم عليهم،

2-ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل،

وذلك أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما،

(كتابكم) القرآن.
(أحدث الأخبار بالله) أقرب الكتب إليكم نزولا من عند الله عز وجل.
(لم يشب) لم يخلط بشيء غيره ولم يبدل ولم يغير.
(ينهاكم) يكفيكم ويغنيكم]

ولهذا توعدهم بهذين الأمرين فقال:

(فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ)

أي: من التحريف والباطل

(وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا)

من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة،

وفي ضمنها الوعيد الشديد.

قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: أَفَتَطْمَعُونَ إلى

(يَكۡسِبُونَ)

***مما يأكلون به الناس السفلة و غيرهم

–فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه،

وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة.

وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني،

1–وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه،

2–ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا

وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين،

وهذا معنى الكتاب والسنة،

وهذا معقول السلف والأئمة،

وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية،

ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة،

لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله.

وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة،

وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً)

ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر مع هذا أنهم يزكون أنفسهم،

ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه،

وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة،

أي: قليلة تُعد بالأصابع، فجمعوا بين الإساءة و الأمن.

ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله تعالى عليهم فقال:

(قُلْ) لهم يا أيها الرسول

(أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا)

أي بالإيمان به وبرسله وبطاعته،

فهذا الوعد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل.

(فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ)

(أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) ؟

فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما: –

1–إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة.

2–وإما أن يكونوا متقولين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم،

وقد عُلم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى:–

1– أن قتلوا طائفة منهم،

2–و لنكولهم(Ð) عن طاعة الله ونقضهم المواثيق،

فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون،

والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات.

☼ثم ذكر تعالى حكما عاما لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم غيره، لا أمانيهم ودعاويهم بصفة الهالكين والناجين، فقال:

نكَصوصهم عن طاعة الله-معجم اللغة العربية المعاصرة

(بَلَىٰ)

أي: ليس الأمر كما ذكرتم، فإنه قول لا حقيقة له، ولكن

(مَن كَسَبَ سَيِّئَةً)

وهو نكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله:

(وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ)

أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.

(فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه.

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: -

1–أن تكون خالصة لوجه الله،

2–متبعا بها سنة رسوله.

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

فحاصل هاتين الآيتين، أن أهل النجاة والفوز،

هم أهل الإيمان و العمل الصالح،

والهالكون أهل النار المشركون بالله، الكافرون به.

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣

وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة،

لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان،

فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله:

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا إلى آخر الآية.

*** يُذكّر تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ،

وَأَخَذَ مِيثَاقَهَمْ عَلَى ذَلِكَ،

وَأَنَّهُمْ تَوَلَّوْا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ،

وَأَعْرَضُوا قَصْدًا وَعَمْدًا،

وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ وَيَذْكُرُونَهُ،

فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَ بِهَذَا أَمَرَ جَمِيعَ خَلْقِهِ،

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبِيَاءِ: 25]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النَّحْلِ: 36]

وَهَذَا هُوَ أَعْلَى الْحُقُوقِ وَأَعْظَمُهَا، وَهُوَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى،
أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
ثُمَّ بَعْدَهُ حَقُّ الْمَخْلُوقِينَ، وَآكَدُهُمْ وَأَوْلَاهُمْ بِذَلِكَ حَقُّ الْوَالِدَيْنِ،
وَلِهَذَا يَقْرِنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ حَقِّهِ وَحَقِّ الْوَالِدَيْنِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لُقْمَانَ: 14]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} الْآيَةَ إِلَى أَنْ قَالَ: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} [الْإِسْرَاءِ: 23-26]

*** صحيح البخاري

527 - عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟
قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»،
قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟
قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ»
قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟
قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»
قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي( )

(عبد الله) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(على وقتها) في أول وقتها.

***** سنن أبي داود**

5139 - عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَبَرُّ؟ " قَالَ: أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ، فَالْأَقْرَبَ "

فقوله:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا؛

فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة، والعهود الموثقة

(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ)

هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهي عن الشرك به،

وهذا أصل الدين،

فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها،

فهذا حق الله تعالى على عباده، ثم قال:

(وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا)

أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا،

وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم،

وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة،

(بر الوالدين) الإحسان إليهما والقيام بخدمتهما وترك الإساءة إليهما]

لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.

و للإحسان ضدان:

1–الإساءة، وهي أعظم جرما،

2–و ترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول،

(وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ)

وكذا يقال في صلة الأقارب

(وَٱلْيَتَـٰمَىٰ)

***الصغار الذين لا كاسب لهم من الاباء

(وَٱلْمَسَـٰكِينِ)

*** الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ،

وتفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد، بل تكون بالحد، كما تقدم.

ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموما فقال:

(وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا)

و من القول الحسن:

1– أمرهم بالمعروف،

2–و نهيهم عن المنكر،

3–و تعليمهم العلم،

4–و بذل السلام،

5–و البشاشة

6–و غير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول،

– فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده:–

1– أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله،

غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم،

2– بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم،

مجاملا لكل أحد، صبورا على ما يناله من أذى الخلق،

((امتثالا لأمر الله و رجاء لثوابه.))

(وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ)

ثم أمرهم بإقامة الصلاة،

(وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ)

لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، .

والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد.

(**ثُمَّ**)

بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل،

عرف أن من إحسان الله على عباده أن أمرهم بها،

وتفضل بها عليهم وأخذ المواثيق عليكم

(**تَوَلَّيْتُمْ**)

على وجه الإعراض،

لأن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه،

وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع في هذه الأوامر،

فنعوذ بالله من الخذلان.

*****تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه علي عمد بعد العلم الا القليل منهم**

و قوله: (**إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ**)

هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم،

فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم.

(**وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ**)

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ

أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ

فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ

أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ

أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ

فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ

فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ

أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ

فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ

أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ

***** صحيح البخاري :-**

6011 -عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ

كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»( )

و هذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج – وهم الأنصار – كانوا قبل مبعث النبيﷺمشركين،

و كانوا يقتتلون على عادة الجاهلية،

فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة.

***** وَ كَانَتْ يَهُودُ الْمَدِينَةِ ثلاث قَبَائِلَ:-**

بَنُو قَيْنُقَاعَ. وَبَنُو النَّضِيرِ حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ. وَبَنُو قُرَيْظَةَ حُلَفَاءُ الْأَوْسِ.

فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود

(تراحمهم) رحمة بعضهم بعضا. (توادهم) تحابهم.
(تعاطفهم) تعاونهم
(الجسد) الجسم الواحد بالنسبة إلى جميع أعضائه.
(اشتكى عضوا) لمرض أصابه.
(تداعى) شاركه فيما هو فيه.
(السهر) عدم النوم بسبب الألم
(الحمى) حرارة البدن وألمه]

فيقتل اليهودي اليهودي،

ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب،

ثم إذا وضعت الحرب أوزارها،

وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا.

(تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ)

*** الميسر:ويَتَقَوّى كل فريق منكم على إخوانه بالأعداء بغيًا وعدوانًا**

والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم،

ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض،

ولا يخرج بعضهم بعضا،

وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه،

فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال:

(أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ)

وهو فداء الأسير

(وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍۚ)

وهو القتل والإخراج.

وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي،

وأن المأمورات من الإيمان، قال تعالى:

(فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)

*** الميسر :فليس جزاء مَن يفعل ذلك منكم إلا ذُلا وفضيحة في الدنيا.**

وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم

فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى.

(وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ)

أي: أعظمه

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) .

ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب،

والإيمان ببعضه فقال:

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ)

*** الجزائري: باعوا آخرتهم بدنياهم فخسروا خسراناً عظيماً بحقارة الدنيا، وعظم الآخرة،**

و الاشتراء في الآية بمعنى: الاستبدال، استبدلوا الآخرة فلم يعملوا لها بالدنيا حيث قصروا أعمالهم على تحصيلها.

-توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، فلهذا قال:

(فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ)

بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات،

(وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ)

أي: يدفع عنهم مكروه.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ

يمتن تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كليمه موسى،وآتاه التوراة،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ: 44]

(وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ)

*** أَتْبَعْنَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا}

ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة،

(وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ)

إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام

وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر،

*** حَتَّى خَتَمَ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

فَجَاءَ بِمُخَالَفَةِ التَّوْرَاةِ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ،

وَلِهَذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَهِيَ: الْمُعْجِزَاتُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى،

وَخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ،

وَإِبْرَائِهِ الْأَسْقَامَ، وَإِخْبَارِهِ بِالْغُيُوبِ،

وَتَأْيِيدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ -

مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ وحَسَدهم وَعِنَادُهُمْ لِمُخَالَفَةِ التَّوْرَاةِ فِي الْبَعْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ عِيسَى:

{وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ: 50] .

فَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تُعَامِلُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَسْوَأَ الْمُعَامَلَةِ،

فَفَرِيقًا يُكَذِّبُونَهُ. وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَهُ،

وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِأَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ

وَبِإِلْزَامِهِمْ بِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ التي قَدْ تَصَرَّفُوا فِي مُخَالَفَتِهَا،

فَلِهَذَا كَانَ يَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَيُكَذِّبُونَهُمْ، وَرُبَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ؛

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}

(وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ)

أي: قواه الله بروح القدس.

قال أكثر المفسرين: إنه جبريل عليه السلام

وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده.

ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم

(بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ)

عن الإيمان بهم،

(فَفَرِيقًا)

منهم

(كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)

فقدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة،

و فيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى.

(وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)

أي: اعتذروا عن الإيمان لما دعوتهم إليه، يا أيها الرسول،

بأن قلوبهم غلف، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول،

يعني فيكون لهم – بزعمهم – عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم،

فلهذا قال تعالى:

(بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ)

أي: أنهم مطرودون ملعونون، بسبب كفرهم،

(فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)

فقليلا المؤمن منهم، أو قليلا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير.

*** فَقَلِيلٌ إِيمَانُهُمْ. بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَ لَكِنَّهُ إِيمَانٌ لَا يَنْفَعُهُمْ،

لِأَنَّهُ مَغْمُورٌ بِمَا كَفَرُوا بِهِ مِنَ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ
يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ
غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا
مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١ ۞ وَلَقَدۡ
جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ
٩٢ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم
بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ
بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

(وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ)

أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء،

(مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ)

المشتمل على تصديق ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه

(وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)

حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب،

استنصروا بهذا النبي، وتوعدوهم بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه،

فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ

فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا،

أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده،

فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

فلعنهم الله، وغضب عليهم غضبا بعد غضب،

لكثرة كفرهم وتوالي شكهم وشركهم.

*** عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ:

لَمَّا لَقِيَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ لَنَا: مَنْ أَنْتُمْ؟
قُلْنَا: نَحْنُ الْخَزْرَجُ ، قَالَ: " أَمِنْ مَوَالِي الْيَهُودِ؟ "
قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: " أَفَلا تَجْلِسُونَ حَتَّى أُكَلِّمَكُمْ؟ "
قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَجَلَسْنَا مَعَهُ
" فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ - عز وجل - ، وَعَرَضَ عَلَيْنَا الْإِسْلَامَ ، وتلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ " ،
قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَا فِي الْإِسْلَامِ،
أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَنَا فِي بِلادِنَا، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ،
وَكُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ،
وَكَانَتِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ قَدْ عَزُّوهُمْ بِبِلادِهِمْ،
وَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ
قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ ، نَتَّبِعُهُ
<u>فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ،</u>
قَالَ: فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- أُولَئِكَ النَّفَرَ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ،
قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ الْيَهُودُ،
فلَا تَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ،
وَصَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ،
وَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا،
وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ،
وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ لَكَ،
فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ
وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ،
فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ اللَّهُ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ،

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- رَاجِعِينَ إِلَى بِلادِهِمْ قَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا( ).

(بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ)

*** بَاعُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، يَعْنِي: بِئْسَمَا اعْتَاضُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَرَضُوا بِهِ

(أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

وَعَدَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺإِلَى تَصْدِيقِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ وَنُصْرَتِهِ .

(بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)

وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ وَالْكَرَاهِيَةُ
{أَنْ يُنزلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} وَلَا حَسَدَ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا.

(فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ)

*** اسْتَوْجَبُوا، وَاسْتَحَقُّوا، وَاسْتَقَرُّوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ.
وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِالْإِنْجِيلِ وَعِيسَى،
ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ، وَبِالْقُرْآنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، .

(وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)

***لَمَّا كَانَ كُفْرُهُمْ سَبَبُهُ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ، وَمَنْشَأُ ذَلِكَ التَّكَبُّرُ،
قُوبِلُوا بِالْإِهَانَةِ وَالصَّغَارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غَافِرٍ: 60] ،

---

(1) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (9/ 350، بترقيم الشاملة آليا) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني: 218 ، دلائل النبوة للبيهقي: 698 ، انظر فقه السيرة ص146
الصحيح المسند من أسباب النزول :من سيرة ابن هشام ج1 ص211،

أَيْ: صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ رَاغِمِينَ .

–أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم،

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)

أي: وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله،

وهو القرآن استكبروا وعتوا،

و (قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا)

*** يَكْفِينَا الْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَلَا نُقِرُّ إِلَّا بِذَلِكَ،

أي: بما سواه من الكتب،

وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ

***بما يعلمونه

مع أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا،

سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم،

وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله.

وأما التفريق بين الرسل والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض،

فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه، ولهذا قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 150، 151]

ولهذا رد عليهم تبارك وتعالى هنا ردا شافيا،

وألزمهم إلزاما لا محيد لهم عنه، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين فقال:

(وَهُوَ ٱلۡحَقُّ)

*** وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ الْحَقُّ {مُصَدِّقًا}

فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الإخبارات، والأوامر والنواهي،

وهو من عند ربهم،

فالكفر به بعد ذلك كفر بالله، وكفر بالحق الذي أنزله. ثم قال:

(مُصَدِّقًالِّمَا مَعَهُمۡۗ)

*** أَيْ فِي حَالِ تَصْدِيقِهِ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [الْبَقَرَةِ: 146]

–أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمنا عليه.

فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟

هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى؟

وأيضا، فإن كون القرآن مصدقا لما معهم،

يقتضي أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب،

فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه،

صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينة ليس له غيرها،

ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته،

فيقدح فيها ويكذب بها؛ أليس هذا من الحماقة والجنون؟

فكان كفرهم بالقرآن، كفرا بما في أيديهم ونقضا له.

ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله:

(قُلۡ) لهم

(فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)

*** قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ:- آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنزل عَلَيْنَا} -:-

لِمَ تَقْتُلُونَ -إِنْ كُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مُؤْمِنِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ-أَنْبِيَاءَهُ
وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ الذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُمْ،
بَلْ أَمَرَكُمْ فِيهِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ،
وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنزلَ عَلَيْنَا} وَتَعْيِيرٌ لَهُمْ.

(وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

*** بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،
وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَالْبَيِّنَاتُ هِيَ:
الطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وَالْعَصَا، وَالْيَدُ، وفَلْق الْبَحْرِ،
وَتَظْلِيلُهُمْ بِالْغَمَامِ، وَالْمَنُّ وَالسَّلْوَى، وَالْحَجَرُ،
وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ التِي شَاهَدُوهَا
–أي: بالأدلة الواضحات المبينة للحق،

(ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ)

*** أَيْ: مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي زَمَانِ مُوسَى وَآيَاتِهِ. وَقَوْلُهُ {مِنْ بَعْدِهِ}

(مِنۢ بَعۡدِهِۦ) أي: بعد مجيئه

*** أَيْ: مِنْ بَعْدِ مَا ذَهَبَ عَنْكُمْ إِلَى الطُّورِ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ}
[الْأَعْرَافِ: 148]

(وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ) في ذلك ليس لكم عذر.

***فِي هَذَا الصَّنِيعِ الذِي صَنَعْتُمُوهُ مِنْ عِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ،
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الْأَعْرَافِ: 149] .

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا)

*** يُعَدِّدُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَلَيْهِمْ خَطَأَهُمْ وَمُخَالَفَتَهُمْ لِلْمِيثَاقِ وَعُتُوَّهُمْ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ، حَتَّى رَفَعَ الطُّورَ عَلَيْهِمْ حَتَّى قَبِلُوهُ ثُمَّ خَالَفُوهُ

أي: سماع قبول وطاعة واستجابة،

(قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) أي: صارت هذه حالتهم

(وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ)

*** أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّهُ، حَتَّى خَلُصَ ذَلِكَ إِلَى قُلُوبِهِمْ.

– بسبب كفرهم.

(قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

***بئس الشئ الذي يأمركم به هذا الايمان الذي زعمتم انكم عليه فكيف تدعون لانفسكم الايمان و قد فعلتم الافعال القبيحة من:-

1- نقضكم المواثيق

2-و كفركم بآيات الله

3- و عبادتكم العجل

أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين الحق،

وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله،

لما غاب عنكم موسى، نبي الله،

ولم تقبلوا أوامره ونواهيه إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم،

فالتزمتم بالقول، ونقضتم بالفعل،

فما هذا الإيمان الذي ادعيتم، وما هذا الدين؟.

فإن كان هذا إيمانا على زعمكم،

فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان، والكفر برسل الله، وكثرة العصيان،

وقد عهد أن الإيمان الصحيح،

1-يأمر صاحبه بكل خير،

2- وينهاه عن كل شر،

فوضح بهذا كذبهم، وتبين تناقضهم.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ
أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ
أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا
عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾

أي:

*** بَلْ قِيلَ لَهُمْ كَلَامٌ نَصَف:

إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مَنْ دُونِ النَّاسِ،

وَأَنَّكُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،

وَأَنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ عَدَاكُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،

فَبَاهِلُوا عَلَى ذَلِكَ وَادْعُوا عَلَى الْكَاذِبِينَ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ،

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمُبَاهَلَةَ تَسْتَأْصِلُ الْكَاذِبَ لَا مَحَالَةَ.

فَلَمَّا تيقَّنوا ذَلِكَ وَعَرَفُوا صِدْقَهُ :

نَكَلُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ وَكِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ مِنْ صِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَنَعْتِه،

وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَتَحَقَّقُونَهُ.

فَعَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ بَاطِلَهُمْ، وَخِزْيَهُمْ، وَضَلَالَهُمْ وعنادهم

-عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْمُبَاهَلَةُ تَمَنِّيًا؛

لِأَنَّ كُلَّ مُحِقٍّ يَوَدُّ لَوْ أَهْلَكَ اللَّهُ الْمُبْطِلَ الْمُنَاظِرَ لَهُ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ فِيهَا بَيَانُ حَقِّهِ وَظُهُورُهُ، وَكَانَتِ الْمُبَاهَلَةُ بِالْمَوْتِ؛

لِأَنَّ الْحَيَاةَ عِنْدَهُمْ عَزِيزَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ سُوءِ مَآلِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ .

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} :

(قُلْ)

لهم على وجه تصحيح دعواهم:

(إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ)

يعني الجنة

(خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ)

كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى،

وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى

(فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ)

وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله ﷺ

وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين:-

1- إما أن يؤمنوا بالله و رسوله،

2-و إما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم،

وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم،

فامتنعوا من ذلك.

-فعلم كل أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى

(وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ)

من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم،

وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس،

حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب.

(وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ)

ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال:

(وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ)

***الجزائري:التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة**

(يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ)

*** عَلَى طُولِ عُمْرٍ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَآلِهِمُ السَّيِّئِ وَعَاقِبَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ الْخَاسِرَةِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ،
فَهُمْ يَوَدُّونَ لَوْ تَأَخَّرُوا عَنْ مَقَامِ الْآخِرَةِ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُمْ.
وَمَا يَحْذَرُونَ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ،
حَتَّى وَهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ.

-وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات،

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور،

لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا.

(وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ)

*الجزائري :بمبعده من العذاب.

(أَن يُعَمَّرَ)

*الجزائري : تعميره ألف سنة.

(وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ)

تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم.

قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

*** مَنْ عَادَى جِبْرِيلَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ الذِي نَزَلَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ عَلَى قَلْبِكَ مِنَ اللَّهِ بِإِذْنِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ،

فَهُوَ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ مَلَكِي عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ السَّلَامُ

وَمَنْ عَادَى رَسُولًا فَقَدْ عَادَى جَمِيعَ الرُّسُلِ،

-كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِرَسُولٍ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ،

-وَكَمَا أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِرَسُولٍ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ الْكُفْرُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النِّسَاءِ:150، 151]

-فَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ الْمُحَقَّقِ، إِذْ آمَنُوا بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ -

وَكَذَلِكَ مَنْ عادى جبريل فإنه عدو لله:-

لِأَنَّ جِبْرِيلَ لَا يَنْزِلُ بِالْأَمْرِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ،
- وَإِنَّمَا يَنْزِلُ بِأَمْرِ رَبِّهِ كَمَا قَالَ: {وَمَا نَتَنزلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مَرْيَمَ: 64]
وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 192-194]
*** صحيح البخاري
6502 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ
***وَلِهَذَا غَضِبَ اللَّهُ لِجِبْرِيلَ عَلَى مَنْ عَادَاهُ، فَقَالَ:
{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نزلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}
أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ {وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}
أَيْ: هُدًى لِقُلُوبِهِمْ وَبُشْرَى لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ.
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فُصِّلَتْ: 44] ، وَقَالَ تَعَالَى:
{وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا} [الْإِسْرَاءِ: 82] .

*- عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالُوا:

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:جم 2483

يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنّا نَسأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاء،
فَإِنْ أَنبَأْتَنَا بِهِنّ، عَرَفْنَا أَنّكَ نَبِيّ وَاتّبَعْنَاك،
فَأَخَذَ عليهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيه، إِذْ قَالُوا:
اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: «هَاتُوا»
1-قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلامَةِ النّبِيّ،
قَالَ: «تَنَامُ عَيْنَاه، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ»
2-قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنّثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟
قَالَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلا مَاءُ الرّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ
أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرّجُلِ آنَثَتْ»
3- قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟
قَالَ: " كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النّسَا،
فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا –
قَالَ أَبِي: " قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ «- فَحَرّمَ لُحُومَهَا» ،
4-قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرّعْدُ؟
قَالَ: «مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ مُوَكّلٌ بِالسّحَابِ بِيَدِهِ - أَوْ
فِي يَدِهِ - مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللّهُ»
قَالُوا: فَمَا هَذَا الصّوْتُ الّذِي نَسْمَعُ؟
قَالَ: «صَوْتُهُ» قَالُوا: صَدَقْتَ،
إِنّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا،
5- فَإِنّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ،
فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «جِبْرِيلُ عليه السلام»
قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوّنَا،
لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الّذِي يَنْزِلُ بِالرّحْمَةِ وَالنّبَاتِ وَالْقَطْرِ،

لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ:

{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة:97] إِلَى آخِرِ الْآيَةَ

❍أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك،

أن وليك جبريل عليه السلام،

ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا،

إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، وتكبر على الله،

****** صحيح البخاري**

4480 - عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهْوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ

فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

1-فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟

2- وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟

3- وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا» قَالَ: جِبْرِيلُ؟

قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ،

فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ:

{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: 97].

«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ،

وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ،

وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ»،

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ،

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ،

وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي،
فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ».
قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا،
قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ»
فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ
فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ،
قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ( )

(فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ)

فإن جبريل ﷺ هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك،

وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك،

–و الله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسول محض.

(مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ)

–مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض،

(يخترف) يجتني من ثمارها أي يجمعه من أصوله.
(ينزع) يحذبه إليه بالشبه.
(عدوإليهود) وقيل سبب عداوتهم له لأنهم قالوا أمر أن تجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وهذا منتهى جهلهم وضلالهم لأن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون]

(وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)

–وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي، لمن آمن به،

(مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ)

فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك:–

1– كفر بالله وآياته،

2– وعداوة لله ولرسله وملائكته،

– فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله.

فيتضـــمن الكفر والعداوة:–

1– للذي أنزله وأرسله،

2– والذي أرسل به،

3–والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

يقول لنبيه ﷺ:

(وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ)

*** أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ دَلَالَاتٍ عَلَى نُبُوَّتِكَ،

وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ:-

1- مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللَّهِ مِنْ خَفَايَا عُلُومِ الْيَهُودِ،

2-وَمَكْنُونَاتِ سَرَائِرِ أَخْبَارِهِمْ،

3-وَأَخْبَارِ أَوَائِلِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

4-وَالنَّبَأِ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُهُمُ التِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا أحبارُهم وَعُلَمَاؤُهُمْ،

5-وَمَا حَرَّفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ

6-وما بَدَّلُوهُ مِنْ أَحْكَامِهِمْ، التِي كَانَتْ فِي التَّوْرَاةِ.

–تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند،

وهي في الوضوح والدلالة على الحق،

(وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ)

قد بلغت مبلغا عظيما ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر.

(أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا)

وهذا فيه التعجيب من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها.

ف « كُلَّمَا » تفيد التكرار، فكلما وجد العهد

(نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ)

*** الميسر:طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، فتراهم يُبْرِمون العهد اليوم وينقضونه غداً**

–ترتب عليه النقض،

ما السبب في ذلك؟

-السبب أن أكثرهم لا يؤمنون،

فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود،

ولو صدق إيمانهم، لكانوا مثل من قال الله فيهم:

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23]

(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

*** الميسر:بل أكثرهم لا يصدِّقون بما جاء به نبي الله ورسوله محمد ﷺ**

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق

لما معهم، و كانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم،

فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به،

(مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ)

الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه

(وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ)

وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون

صدقه، وحقيّة ما جاء به.

(كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء

حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول،

فصار كفرهم به كفرا بكتابهم من حيث لا يشعرون.

❍ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه،

وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره،

1–فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان،

2–ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه،

3–ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان،

4–ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد،

5– ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

✡كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين

وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر،

– و زعموا أن سليمانﷺكان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

(وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ)

*** الميسر :واتبع اليهود ما تُحَدِّث الشياطينُ به السحرةَ على عهد ملك سليمان بن داود.**

–وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قيله:

*** وَقَالَ ابْنُ جرير: عَنِ ابْنِ عَبَّاس، قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام
إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ، أَوْ يَأْتِيَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ،
أَعْطَى الْجَرَادَةَ -وَهِيَ امْرَأَةٌ-خَاتَمَهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَ سُلَيْمَانَ عليه السلام بِالذِي ابْتَلَاهُ بِهِ،
أَعْطَى الْجَرَادَةَ ذَاتَ يَوْمٍ خاتمه، فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ
فَقَالَ لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي. فَأَخَذَهُ فَلَبِسَهُ.

فَلَمَّا لَبِسَهُ دَانَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ.
قَالَ: فَجَاءَهَا سُلَيْمَانُ،
فَقَالَ: هَاتِي خَاتَمِي فَقَالَتْ: كَذَّبْتَ، لَسْتَ سُلَيْمَانَ.
قَالَ: فَعَرَفَ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ بَلَاءٌ ابْتُلِيَ بِهِ.
قَالَ: فَانْطَلَقَتِ الشَّيَاطِينُ فَكَتَبَتْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كُتُبًا فِيهَا سِحْرٌ وَكُفْرٌ.
ثُمَّ دَفَنُوهَا تَحْتَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ أَخْرَجُوهَا وَقَرَؤُوهَا عَلَى النَّاسِ،
وَقَالُوا: إِنَّمَا كَانَ سُلَيْمَانُ يَغْلِبُ النَّاسَ بِهَذِهِ الْكُتُبِ.
قَالَ: فَبَرِئَ النَّاسُ مِنْ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَفَّرُوهُ
حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}

*** الجزائري :**

أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوة محمدﷺ وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقى وعزائم وكانوا يحدثون بها،
ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام،
وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن،
ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً
وإنما كان ساحراً كافراً، فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله:

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} **وأثبته للشياطين فقال:**

{وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} .

(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ)

أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه،

(وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ)

بذلك.

(يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ)

من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك

(وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ)

اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض

العراق، أنزل عليهما السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر.

(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ) ينصحاه،

*** وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:

نَعَمْ، أُنْزِلَ الْمَلَكَانِ بِالسِّحْرِ، لِيُعَلِّمَا النَّاسَ الْبَلَاءَ الذي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَ بِهِ

النَّاسَ، فَأُخِذَ عَلَيْهِمَا الْمِيثَاقُ أَنْ لَا يُعَلِّمَا أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا

{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ} رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ،

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أُخِذَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُعَلِّمَا أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا

{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ} -أَيْ: بَلَاءٌ ابْتُلِينَا بِهِ- {فَلا تَكْفُرْ}

و (يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ)

أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر،

ويخبرانه عن مرتبته،

فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال،

ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام

و تعليم الملكين امتحانا مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة.

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين،

والسحر الذي يعلمه الملكان،

فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين،

وكل يصبو إلى ما يناسبه.

ثم ذكر مفاسد السحر فقال:

(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ)

مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما:

{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: 21]

وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله،

أي: بإرادة الله،

و الإذن نوعان:

1-إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية،

2- وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة:

(فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ)

وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير،

فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير،

ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة،

فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين.

*** صحيح مسلم

(2813) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ،

فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ

فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا،

قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ،

قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ "

قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»( )

وَسَبَبُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ بِالسِّحْرِ:

مَا يُخَيَّلُ إِلَى الرَّجُلِ أَوِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْآخَرِ مِنْ سُوءِ مَنْظَرٍ،

أَوْ خُلُقٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ أَوْ عَقد أَوْ بَغضه،

أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْفُرْقَةِ.

وَالْمَرْءُ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّجُلِ، وَتَأْنِيثُهُ امْرَأَةٌ، وَيُثَنَّى كُلٌّ مِنْهُمَا وَلَا يُجْمَعَانِ

(وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ)

ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية و لا دنيوية

(فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه]

كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي،

كما قال تعالى في الخمر والميسر:

{قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: 219]

-فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داع أصلا

فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها.

كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها.

(وَلَقَدْ عَلِمُوا)

أي: اليهود

(لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ)

أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة.

(مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ)

أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلا

ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

(وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

علما يثمر العمل ما فعلوه.

*** الْبَدِيلُ مَا اسْتَبْدَلُوا بِهِ مِنَ السِّحْرِ عِوَضًا عَنِ الْإِيمَانِ، وَمُتَابَعَةِ الرُّسُلِ لَوْ كَانَ لَهُمْ عِلْمٌ بِمَا وُعِظُوا بِهِ

*** قُلْتُ: أَنْفَعُ مَا يُسْتَعْمَلُ لِإِذْهَابِ السِّحْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِي إِذْهَابِ ذَلِكَ

1- وَ هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ،

وَفِي الْحَدِيثِ: فِي سنن النسائي

5432 - عن ابْنَ عَابِسٍ الْجُهَنِيِّ أَخْبَرَه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ لَهُ:

" يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلَا أَدُلُّكَ - أَوْ قَالَ:

- أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟

" قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»

2-وَ كَذَلِكَ قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ فَإِنَّهَا مُطَّرِدَةٌ لِلشَّيْطَانِ.

(وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ)

*** وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاتَّقَوُا الْمَحَارِمَ،

لَكَانَ مَثُوبَةُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا اسْتَخَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَرَضُوا بِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ} [القصص: 80] .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ)

***نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُعَانُون مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَوْرِيَةٌ لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ التَّنْقِيصِ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ-فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا:
اسْمَعْ لَنَا يَقُولُونَ: رَاعِنَا. يُورُون بِالرُّعُونَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا} [النِّسَاءِ: 46]

وَكَذَلِكَ جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَلَّموا إِنَّمَا يَقُولُونَ: السامُ عَلَيْكُمْ. وَالسَّامُ هُوَ: الْمَوْتُ.
وَلِهَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِـ "وَعَلَيْكُمْ". وَإِنَّمَا يُسْتَجَابُ لَنَا فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا.

و اليكم الحديث:-

*** صحيح البخاري

6024 - عن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺقَالَتْ:
دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ،
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ،
قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ ( )

كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين:

(رَٰعِنَا)

أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا،

وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة،

فصاروا يخاطبون الرسولﷺ بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد،

فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب،

1-ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم،

2-وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن،

3-وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش

أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال:

(وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا)

فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور،

*** الميسر:انظر إلينا وتعهّدْنا**

(وَٱسْمَعُوا۟) لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه،

فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة،

(مهلا) أي تأني واتئدي.

(الرفق) لين الجانب والأخذ بالأسهل]

لفظا —-و معنى -- و استجابة

((ففيه الأدب و الطاعة))

(وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

ثم توعد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجع

(مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ)

وأخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون

(أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ)

أي: لا قليلا ولا كثيرا

(مِّن رَّبِّكُمْ)

حسدا منهم، و بغضا لكم

(وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ)

أن يختصكم بفضله

(وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ)

ومن فضله عليكم، إنزال الكتاب على رسولكم،

ليزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة،

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة.

***الجزائري :**

<u>حصر بعضهم أصول السحر في ثلاثة هي:</u>

1- زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفس المسحور الضعيف روحاً المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} .

2- استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن؛ كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: {إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ}

3- الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيل أن الجماد يتحرك. ويشهد لهذا قوله تعالى: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} الآية.

الملكان وهما: هاروت وماروت ذكرا قصتهما علماء السلف ورواها مثل: أحمد وعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير، وخلق كثير ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺولكنها مروية عن ابن عمر، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم، ولعلهم مروية عن كعب الأحبار،

وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانعاً شرعاً ولا عقلاً من هذه القصة،

ومفادها أن الملائكة أنكروا على بني آدم ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك،

فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكلفهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كبنى آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أو لا يعصونه،

فلما نزل إلى الأرض ارتكب كبائر الذنوب،

فخير بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

فاختار عذاب الدنيا فجعلا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا آتاهما من يريد ذلك نصحاً له بأن تعلم السحر كفر، فإذا أصر وجهاه إلى شيطان فأتاه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليها إلا بعد أن يكفر أفظع أنواع الكفر.

1 اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له.
أهل السنة والجماعة: أن له حقيقة وهو أنواع عديدة،
وحكمه أن من تعاطاه إذا أضر به فأفسد عقلاً أو عضواً أو قتل
فإنه يقتل بذلك وإلا فإنه يعذر حتى يتوب منه،
ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي ﷺ سحَره لَبِيد بن الأعصم،
وأنزل الله تعالى سورة الفلق فرقاه بها جبريل فشفي،
وقال: "إن الله شفاني". و الحديث في البخاري وغيره.

۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم

مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧

أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ

ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨

وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا

حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ

حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠

وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ

قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١

بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ

وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢

۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

(مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ)

*** مِثْلُ قَوْلِهِ: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ.

وَقَوْلُهُ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا".

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ}

مَا يُنْقَلُ مِنْ حُكْمِ آيَةٍ إِلَى غَيْرِهِ فَنُبَدِّلُهُ وَنُغَيِّرُهُ،

وَذَلِكَ أَنْ يُحوَّل الحلالُ حَرَامًا وَالْحَرَامُ حَلَالًا

وَالْمُبَاحُ مَحْظُورًا، وَالْمَحْظُورُ مُبَاحًا.

وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَظْرِ وَالْإِطْلَاقِ وَالْمَنْعِ وَالْإِبَاحَةِ.

فَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ.

*** صحيح البخاري

4481 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

" أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ:

لاَ أَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ". وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} [البقرة: 106]( )

(أقرؤنا) أجودنا قراءة للقرآن

(أقضانا) أعلمنا بالقضاء.

(لندع) لنترك.

النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع،

إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه،

وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز،

وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض.

فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية

(أَوْ نُنسِهَا)

أي: ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم،

(نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ)

وأنفع لكم

(من قول أبي) شيئا من قراءته أو آرائه

وذلك أن أبيا رضي الله عنه كان يقول لم ينسخ شيء من القرآن فرد عمر رضي الله عنه قوله واحتج عليه بقوله تعالى {ما ننسخ} التي تثبت النسخ في بعض كتاب الله عز وجل والنسخ في اللغة الإزالة والنقل والرفع

ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها أو رفعها بعدم قراءتها بالكلية

والنسخ في اصطلاح الأصوليين رفع حكم خطاب سابق بخطاب لاحق

وقد يكون النسخ للحكم دون التلاوة

وقد يكون للتلاوة دون الحكم وقد يكون لهما معا.

(ننسها) نذهب حفظها من قلب النبي ﷺ. البقرة 106]

﴿أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ .

فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول

لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة،

التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته فقال:

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦

أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ .

فإذا كان مالكا لكم، متصرفا فيكم، تصرف المالك البر الرحيم في أقداره

وأوامره ونواهيه،

فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده من أنواع التقادير،

كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام.

فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾

وهو أيضا، ولي عباده، ونصيرهم،

فيتولاهم في تحصيل منافعهم،

وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم:

❍أن يشرع لهم من الأحكام، ما تقتضيه حكمته ورحمته بهم.

–ومن تأمل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ:

عرف بذلك حكمة الله ورحمته بعباده، وإيصالهم إلى مصالحهم،
من حيث لا يشعرون بلطفه.
*** قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ:
أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا دُونَ غَيْرِي،
أَحْكُمُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ، وَآمُرُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ،
وَأَنْهَى عَمَّا أَشَاءُ، وَأَنْسَخُ وَأُبَدِّلُ وَأُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِي التِي أَحْكُمُ بِهَا فِي عِبَادِي
مَا أَشَاءُ إِذَا أَشَاءُ، وَأُقِرُّ فِيهِمَا مَا أَشَاءُ.
ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ
عَنْ عَظَمَتِهِ، فَإِنَّهُ مِنْهُ تَكْذِيبٌ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نَسْخَ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ،
وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
لِمَجِيئِهِمَا بِمَا جَاءَا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِتَغَيُّرِ مَا غَيَّرَ اللَّهُ مِنْ حُكْمِ التَّوْرَاةِ.
فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا،
وَأَنَّ الْخَلْقَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَعَلَيْهِمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،
وَأَنَّ لَهُ أَمْرَهُمْ بِمَا يَشَاءُ، وَنَهْيَهُمْ عَمَّا يَشَاءُ، وَنَسْخَ مَا يَشَاءُ،
وَإِقْرَارَ مَا يَشَاءُ، وَإِنْشَاءَ مَا يَشَاءُ مِنْ إِقْرَارِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.
وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، بِذَبْحِ وَلَدِهِ، ثُمَّ نَسَخَهُ قَبْلَ الْفِعْلِ،
وَأَمَرَ جُمْهُورَ بَنَى إِسْرَائِيلَ بِقَتْلِ مَنْ عَبَدَ الْعِجْلَ مِنْهُمْ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُمُ الْقَتْلَ
كَيْلَا يَسْتَأْصِلَهُمُ الْقَتْلُ .
قُلْتُ: الذِي يَحْمِلُ الْيَهُودَ عَلَى الْبَحْثِ فِي مَسْأَلَةِ النَّسْخِ،
إِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ النَّسْخِ فِي
أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ،
مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَشَرَائِعِهِ الْمَاضِيَةِ،
كَمَا أَحَلَّ لِآدَمَ تَزْوِيجَ بَنَاتِهِ مِنْ بَنِيهِ، ثُمَّ حَرَّمَ ذَلِكَ،

وَكَمَا أَبَاحَ لِنُوحٍ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السَّفِينَةِ أَكْلَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ،
ثُمَّ نَسَخَ حِلَّ بعضها، وكان نكاح الأختين مباح لِإِسْرَائِيلَ وَبَنِيهِ،
وَقَدْ حُرِّمَ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ وَمَا بَعْدَهَا.
وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ وَيَصْدِفُونَ عَنْهُ.
وَمَا يُجَابُ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ بِأَجْوِبَةٍ لَفْظِيَّةٍ،
فَلَا تُصْرَفُ الدَّلَالَةُ فِي الْمَعْنَى، إِذْ هُوَ الْمَقْصُودُ،
وَكَمَا فِي كُتُبِهِمْ مَشْهُورًا مِنَ الْبِشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ،
فَإِنَّهُ يفيد وجوب متابعته، عليه والسلام،
وَأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا عَلَى شَرِيعَتِهِ.
وَسَوَاءٌ قِيلَ إِنَّ الشَّرَائِعَ الْمُتَقَدِّمَةَ مُغَيَّاةٌ إِلَى بِعْثَتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَلَا يُسَمَّى ذَلِكَ نَسْخًا كَقَوْلِهِ: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [الْبَقَرَةِ: 187] ،
وَقِيلَ: إِنَّهَا مُطْلَقَةٌ، وَإِنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَسَخَتْهَا،
فَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَوُجُوبُ اتِّبَاعِهِ مُعَيَّنٌ لِأَنَّهُ جَاءَ بِكِتَابٍ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ
عَهْدًا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
فَفِي هَذَا الْمَقَامِ بَيَّنَ تَعَالَى جَوَازَ النَّسْخِ، رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ،
حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} الْآيَةَ،
فَكَمَا أَنَّ لَهُ الْمُلْكَ بِلَا مُنَازِعٍ، فَكَذَلِكَ لَهُ الْحُكْمُ بِمَا يَشَاءُ،
{أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الْأَعْرَافِ: 54]
وَقُرِئَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، التِي نَزَلَ صَدْرُهَا خِطَابًا مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ،
وُقُوعُ النسخ عند اليهود فِي وقوله تَعَالَى:

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} **الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ: 93]**

كَمَا سَيَأْتِي تَفْسِيرُهَا، وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى جَوَازِ النَّسْخِ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، وَكُلُّهُمْ قَالَ بِوُقُوعِهِ.

أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ)

ينهى الله المؤمنين، أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم

(كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ).

والمراد بذلك، أسئلة التعنت و الاعتراض، كما قال تعالى:

{ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا}

[النساء: 153]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}

[المائدة: 101]

فهذه ونحوها، هي المنهي عنها.

وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى

{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]

ويقررهم عليه،

كما في قوله

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} [البقرة: 219] و

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى} [البقرة: 220]) ونحو ذلك.

ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال:

(وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) .

ثم أخبر عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا)

* الصحيح المسند من أسباب النزول

-(□)-عن عروة عن أسامة بن زيد أنه أخبره

أن رسول الله ﷺركب على حمار فقال لسعد:

ألم تسمع ما قال أبو الحباب -يريد عبد الله بن أبي-

قال كذا وكذا" فقال سعد بن عبادة-

اعف عنه واصفح فعفا عنه رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺوأصحابه يعفون عن أهل الكتاب والمشركين

فأنزل الله عز وجل

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم كما قال تعالى:-

{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [آل عمران: 72]

(حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ)

-وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم.

*** مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَكَفَرُوا بِهِ حَسَدًا وَبَغْيًا؛ إِذْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِمْ.

(فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ)

* صحيح البخاري

4566 - عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ

أبو الشيخ في كتاب الأخلاق:

رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ،
وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ،
قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ
وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ،
فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ،
وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ،
خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ،
ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَيْهِمْ،
ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ:
أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ،
إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا،
ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا،
فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ،
حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺيُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا،
ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺدَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ،
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟
- يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا "،
قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ،
فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ،

لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ،
فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ،
فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ ﷺوَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ
كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} [آل عمران: 186] الآيَةَ،
وَقَالَ اللَّهُ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} [البقرة: 109] إِلَى آخِرِ الآيَةِ،
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺيَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ
حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺبَدْرًا،
فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ،
قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ:
هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺعَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا( )

(فدكية) أي من صنع فدك وهي بلدة مشهورة على مرحلتين من المدينة. (عجاجة) غبار.
(خمر) غطى.
(رحلك) منزلك. (فاغشنا) فأتنا.
(فاستب. .) شتم كل فريق غيره ووصفه بما يعيبه.
(يتثاورون) يتقاتلون.
(البحيرة) يريد المدينة والبحيرة تصغير البحرة وهي تطلق على الأرض والبلد والبحار والقرى.
(يتوجوه) يجعلوا على رأسه تاجا ليكون ملكا عليهم.
(فيعصبوه بالعصابة) يعمموه بعمامة الملوك.
(شرق) غص.
(بذلك) بما أتى به رسول الله ﷺ.
(الآية) / آل عمران 186 /. وتتمتها

{وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور. .}.
(تصبروا) على أذاهم
(تتقوا) تلتزموا شرع الله تعالى وتحذروا معصيته بالالتفات لما يدعوكم إليه أعداء دينه.
(عزم الأمور) هي ما يجب التصميم عليه من الأمور ولا ينبغي لعاقل تركه والتزامه يدل على صواب التدبير والرشد فيه
(حسدا) يحسدونكم حسدا ويتمنون زوال نعمة الإيمان عنكم.
(آخر الآية) وهو {من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير. .} / البقرة 109 /
(بأمره) بالإذن بقتالهم.
(يتأول العفو) يفسر العفو بما أمر الله به من الصبر والاحتمال قبل الإذن بالقتال. (أذن الله فيهم) أي في قتالهم وترك العفو إجمالا بترك القتال.
(توجه) ظهر وجهه وأنه ثابت مستقر]

فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح

حتى يأتي الله بأمره.

ثم بعد ذلك، أتى الله بأمره إياهم بالجهاد،

فشفى الله أنفس المؤمنين منهم،

فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ).

ثم أمرهم الله بالاشتغال في الوقت الحاضر، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

وفعل كل القربات،

(وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ)

ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه لا يضيع عند الله،

بل يجدونه عنده وافرا موفرا قد حفظه

(إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) .

وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾

(وَقَالُوا۟ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ)

أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا،

وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى،

فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم،

(تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُوا۟ بُرۡهَٰنَكُمۡ)

وهذا مجرد أماني غير مقبولة، إلا بحجة و برهان، فأتوا بها

(إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه،

وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان

لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها،

ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى.

ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال:

(بَلَىٰ)

أي: ليس بأمانيكم ودعاويكم، ولكن

(مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ)

أي: أخلص لله أعماله، متوجها إليه بقلبه،

(وَهُوَ) مع إخلاصه

في عبادة ربه، بأن عبده بشرعه، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم.

*** مُتَّبِعٌ فِيهِ الرَّسُولَ ﷺ.

فَإِنَّ لِلْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ شَرْطَيْنِ:-

1- أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ وَحْدَهُ

2- أَنْ يَكُونَ صَوَابًا مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ.

فَمَتَى كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُتَقَبَّلْ؛

وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ،

○ فَعَمَلُ الرُّهْبَانِ وَمَنْ شَابَهَهُمْ -وَإِنْ فُرِضَ أَنَّهُمْ مُخْلِصُونَ فِيهِ لِلَّهِ- فَإِنَّهُ لَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ مُتَابِعًا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَفِيهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الْفُرْقَانِ: 23] ،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} [النُّورِ: 39] .

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ أَنَّهُ تَأَوَّلَهَا فِي الرُّهْبَانِ كَمَا سَيَأْتِي.

○ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يُخْلِصْ عَامِلُهُ الْقَصْدَ لِلَّهِ فَهُوَ أَيْضًا مَرْدُودٌ عَلَى فَاعِلِهِ وَهَذَا حَالُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُرَائِينَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا} [النِّسَاءِ: 142] ، وَقَالَ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الْمَاعُونِ: 4 -7] ،

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الْكَهْفِ: 110] .

(فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ)

وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم،

(وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

فحصل لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب.

ويفهم منها، أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين،

فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ
وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن
يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا
خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ
ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟
ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾
بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ
وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

و ذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد،

إلى أن بعضهم ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا،

(كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ)

كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى،

(فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل،

الذي أخبر به عباده، فإنه لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتثل أوامر ربه، واجتنب نواهيه، ومن عداهم، فهو هالك.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾

(وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ)

أي: لا أحد أظلم وأشد جرما، ممن منع مساجد الله،

عن ((ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات))

(وَسَعَىٰ)

أي: اجتهد وبذل وسعه

(فِي خَرَابِهَآۚ)

الحسي و المعنوي،

فالخراب الحسي:

هدمها و تخريبها، و تقذيرها،

و الخراب المعنوي:

منع الذاكرين لاسم الله فيها،

وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة،

❍فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش،

حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية،

❍والنصارى حين أخربوا بيت المقدس،

وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاقة،

(أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ)

فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدرا، إلا خائفين ذليلين،

فلما أخافوا عباد الله، أخـــــــافهم الله،

✡فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله ﷺإلا يسيرا،

حتى أذن الله له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 28].

*** {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنفال: 34]

☼وأصحاب الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم،

☼والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم عنه.

وهكذا كل من اتصف بوصفهم، فلا بد أن يناله قسطه،

وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر.

واستدل العلماء بالآية الكريمة:

على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

(لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ)

أي: فضيحة كما تقدم

(وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه،

فلا أعظم إيمانا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية،

كما قال تعالى:

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18].

بل قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى:

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور: 36]

وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة.

(وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ)

( )*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ الله ﷺيُصَلّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِه حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، قَالَ:

وَفِيهِ نَزَلَتْ {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ} [البقرة: 115]

خصهما بالذكر، لأنهما محل الآيات العظيمة،

فهما مطالع الأنوار ومغاربها، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات.

(فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ)

وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره،

☼ إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس

صحيح مسلم (700)

☼ أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها،

–فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتبه القبلة، فيتحرى الصلاة إليها،

ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذورا بصلب أو مرض ونحو ذلك،

فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذورا أو مأمورا.

وبكل حال، فما استقبل جهة من الجهات، خارجة عن ملك ربه.

*** صحيح البخاري

4535 - عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلاَةِ الخَوْفِ قَالَ:
«يَتَقَدَّمُ الإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُصَلِّي بِهِمُ الإِمَامُ رَكْعَةً،
وَتَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ العَدُوِّ لَمْ يُصَلُّوا،
فَإِذَا صَلَّى الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً، اسْتَأْخَرُوا مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا، وَلاَ يُسَلِّمُونَ،
وَيَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً،
ثُمَّ يَنْصَرِفُ الإِمَامُ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،
فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ
فَيُصَلُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الإِمَامُ،
فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،
فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَوْ رُكْبَانًا،
مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا»
قَالَ مَالِكٌ: قَالَ نَافِعٌ: لاَ أُرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ)

* أيسر التفاسير:هناك

فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى،

وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه،

(إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)

*** يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ، وَالْإِفْضَالِ وَالْجُودِ .

وهو – تعالى – واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم.

فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد و الشكر.

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

(وَقَالُواْ)

أي: اليهود والنصارى والمشركون، وكل من قال ذلك:

(ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ)

فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأساءوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم.

وهو – تعالى – صابر على ذلك منهم،

قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه.

(سُبۡحَٰنَهُۥۖ)

أي: تنزه وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله،

فسبحان من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه،

الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

و مع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك فقال:

(بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالمماليك،

*** اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَالتِي تَلِيهَا عَلَى الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ-وَكَذَا مَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ،

مِمَّنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ، فَأَكْذَبَ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا. فَقَالَ تَعَالَى: {سُبْحَانَهُ} أَيْ:

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا {بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ}

أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا افْتَرَوْا،

وَإِنَّمَا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، ومُقَدِّرهم وَمُسَخِّرُهُمْ، وَمُسَيِّرُهُمْ وَمُصَرِّفُهُمْ، كَمَا يَشَاءُ،

وَالْجَمِيعُ عَبِيدٌ لَهُ وَمِلْكٌ لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِنْهُمْ،

وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مُتَوَلِّدًا مِنْ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ، وَلَا مُشَارِكٌ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ! كَمَا قَالَ تَعَالَى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الْأَنْعَامِ: 101]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا*

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مَرْيَمَ: 88 -95]

وَقَالَ تَعَالَى:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

[سُورَةُ الْإِخْلَاصِ] .

فَقَرَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ السَّيِّدُ الْعَظِيمُ، الذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ،

وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَهُ مَخْلُوقَةٌ لَهُ مَرْبُوبَةٌ،

فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ! وَلِهَذَا قَالَ الْبُخَارِيُّ

4482 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ:

«كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ،

وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»( )

(كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ)

*****1-مُصَلِّينَ.**

2-مُقِرُّون لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ

3- الْإِخْلَاصُ.

4-مُطِيعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

5-: طَاعَةُ الْكَافِرِ فِي سُجُودِ ظِلِّهُ وَهُوَ كَارِهٌ.

(كذبني) نسب إلي ما هو خلاف الحقيقة والواقع.

(شتمني) وصفني بما لا يليق بي

(فسبحاني) أنزه نفسي.

(صاحبة) زوجة]

وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ مُجَاهِدٍ - -يَجْمَعُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا،
وَهُوَ أَنَّ الْقُنُوتَ: هُوَ الطَّاعَةُ وَالِاسْتِكَانَةُ إِلَى اللَّهِ،
وَذَلِكَ شَرْعِيٌّ وقَدري، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} **[الرَّعْدِ: 15] .**

-وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، مفتقرين إليه،

وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولدا،

والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه.

والله تعالى المالك القاهر، وأنتم المملوكون المقهورون،

وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟

هذا من أبطل الباطل وأسمجه.

والقنوت نوعان:

1-قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق،

2-وخاص: وهو قنوت العبادة.

فالنوع الأول كما في هذه الآية،

والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة: 238].

ثم قال: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

أي: خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق.

(وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)

فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه.

*** يُبَيِّنُ بِذَلِكَ تَعَالَى كَمَالُ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ،
وَأَنَّهُ إِذَا قَدَّر أَمْرًا وَأَرَادَ كَوْنَهُ،
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ. أَيْ: مَرَّةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ، أَيْ:
فَيُوجَدُ عَلَى وَفْقِ مَا أَرَادَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82]

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}
[النَّحْلِ: 40]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50] ،
وَنَبَّهَ تَعَالَى بِذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ خَلْقَ عِيسَى بِكَلِمَةِ: كُنْ،
فَكَانَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }
[آلِ عِمْرَانَ: 59] .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ)

أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل،

(أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ)

يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم:

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

[البقرة: 55، 56]

{ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا}

[النساء: 153]

وقالوا{لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا(7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}

[الفرقان: 7، 8]

وقوله: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}

[الإسراء: 90]

(قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ)

*** الميسر:ومثل هذا القول قالته الأمم من قبلُ لرسلها عناداً ومكابرة؛**

(تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ)

***** أَشْبَهَتْ قُلُوب مُشْرِكِي الْعَرَبِ قُلُوبَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي:- الْكُفْــــــــرِ وَالْعِنَـــــادِ وَالْعُتُـــــــوِّ،**

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذَّارِيَاتِ: 52، 53] .

-فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد،

ولم يكن قصدهم تبين الحق،

فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى:

(قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ)

فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب. ((*علي صدق المرسلين))**

ثم ذكر تعالى بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه ﷺ وصحة ما جاء به فقال:

(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ)

فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: في نفس إرساله،

والثاني: في سيرته وهديه ودله،

والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني، قد دخلا في قوله:

❍(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) والثالث دخل في قوله: (بِالْحَقِّ) .

وبيان الأمر الأول وهو – نفس إرساله – أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته ﷺوما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم،

إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة.

وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى،

ولم يتركهم هملا لأنه حكيم عليم، قدير رحيم،

–فمن حكمته ورحمته بعباده، أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم،

يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له،

فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله،

وأما الثاني: فمن عرف النبي ﷺمعرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة،

ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك،

قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين،

فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين،

لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم.

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به ﷺمن الشرع العظيم، والقرآن الكريم،

المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

قوله: (بَشِيرًا)

أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية،

(وَنَذِيرًا)

لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي.

(وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ)

أي: لست مسئولا عنهم، إنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

*** {وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } **[الرعد: 40]**

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا
تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا
ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ
قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

(وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ)

*** وَلَيْسَتِ الْيَهُودُ -يَا مُحَمَّدُ -وَلَا النَّصَارَى بِرَاضِيَةٍ عَنْكَ أَبَدًا،
فَدَعْ طَلَبَ مَا يُرْضِيهِمْ وَيُوَافِقُهُمْ،
وَأَقْبِلْ عَلَى طَلَبِ رِضَا اللَّهِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

يخبر تعالى رسوله، أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى، إلا باتباعه دينهم،

لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم:

(قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ) الذي أرسلت به (هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ) .

وأما ما أنتم عليه، فهو الهوى بدليل قوله

(وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) .

فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى،

والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ

فإن أمته داخلة في ذلك،

(((لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب)))

(((كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب)))

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ)

يخبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب، ومنَّ عليهم به منة مطلقة، أنهم

(يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ)

أي: يتبعونه حق اتباعه،

و التلاوة: الاتباع،

فيحلون حلاله،

و يحرمون حرامه،

و يعملون بمحكمه،

و يؤمنون بمتشابهه،

و هؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها،

وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم.

فهؤلاء، هم المؤمنون حقا، لا من قال منهم:

{نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} [البقرة: 91].

***** مَنْ أَقَامَ كِتَابَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ حَقَّ إِقَامَتِهِ، آمَنَ بِمَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ،**

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} **الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ: 66] .**

وَقَالَ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} **[الْمَائِدَةِ: 68] ،**

أَيْ: إِذَا أَقَمْتُمُوهَا حَقَّ الْإِقَامَةِ، وَآمَنْتُمْ بِهَا حَقَّ الْإِيمَانِ، وصَدَّقتم مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ بِمَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺونَعْته وَصِفَتِهِ وَالْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ وَنَصْرِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ، قَادَكُمْ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ وَاتِّبَاعِ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ} الْآيَةَ [الْأَعْرَافِ: 157]

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا} [الْإِسْرَاءِ: 107، 108]

أَيْ: إِنْ كَانَ مَا وَعَدَنَا بِهِ مِنْ شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺلَوَاقِعًا.

وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الْقِصَصِ: 52 -54] .

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آلِ عِمْرَانَ: 20]

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هُودٍ: 17] .

وَفِي الصَّحِيحِ: صحيح مسلم

(153) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ،

وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ،
إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»
و لهذا توعدهم بقوله

(وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)

(يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)

وقد تقدم تفسير الآية
*** قَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي صَدْرِ السُّورَةِ،
وَكُرِّرَتْ هَاهُنَا لِلتَّأْكِيدِ
1- وَالْحَثِّ على اتباع الرسول النبي الْأُمِّيِّ الذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كُتُبِهِمْ ونعتَه وَاسْمَهُ وَأَمْرَهُ وَأُمَّتَهُ.
يُحَذِّرُهُمْ مِنْ كِتْمَانِ هَذَا، وَكِتْمَانِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ،
2-وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ،
3-وَلَا يَحْسُدُوا بَنِي عَمِّهِم مِنَ الْعَرَبِ عَلَى مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ مِنْهُمْ.
4-وَلَا يَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ الحسدُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَكْذِيبِهِ،
وَالْحَيْدَةِ عَنْ مُوَافَقَتِهِ، ﷺ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن

مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

مثال ايجابي لتحقيق العبودية :قصة ابراهيم عليه السلام 124-141

(وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ)

*** بِشَـــرَائِعَ وَأَوَامِـــــــــرَ وَنَـــــــــوَاهٍ،

فَإِنَّ الْكَلِمَاتِ تُطْلَقُ، وَيُرَادُ بِهَا الْكَلِمَاتُ الْقَدَرِيَّةُ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ:

{وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التَّحْرِيمِ: 12] .

☼ وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الشَّرْعِيَّةُ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ }

[الْأَنْعَامِ: 115] أَيْ: كَلِمَاتُهُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَهِيَ إِمَّا خَبَرُ صِدْقٍ، وَإِمَّا طَلَبُ عَدْلٍ إِنْ كَانَ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا،

وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}

–يخبر تعالى، عن عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته،

الذي كل من طوائف أهل الكتاب تدعيه،

بل وكذلك المشركون

أن الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي،

كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده،

ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان من الصادق،

الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، ويخلص ذهبه،

وكان من أجلِّهم في هذا المقام، الخليل عليه السلام.

(فَأَتَمَّهُنَّ)

فأتم ما ابتلاه الله به، وأكمله ووفاه، فشكر الله له ذلك، ولم يزل الله شكورا

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى} [النَّجْمِ: 37]

*** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْمَنَاسِكِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالطَّهَارَةِ:

خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ وَ خَمْسٌ فِي الْجَسَدِ

فِي الـــــــــــرَّأْسِ:

1- قص الشَّارِبِ

2- وَالْمَضْمَضَةُ

3-وَالِاسْتِنْشَاقُ

4- وَالسِّوَاكُ

5- وفَرْق الرَّأْسِ.

وَفِي الْجَسَـــــــــدِ:

1- تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ،

2- وَحَلْقُ الْعَانَةِ،

3-وَالْخِتَانُ،

4-ونَتْف الْإِبِطِ،

5- وَغَسْلُ أَثَرِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ بِالْمَاءِ .

قُلْتُ: وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم(261) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ:

قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ "
قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ
زَادَ قُتَيْبَةُ، قَالَ وَكِيعٌ: " انْتِقَاصُ الْمَاءِ: يَعْنِي الِاسْتِنْجَاءَ "
ش (البراجم) جمع برجمة وهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها]
*****وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: أَيْ وَاللَّهِ،ابْتَلَاهُ بِأَمْرٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِ:**
-ابْتَلَاهُ بِالْكَوْكَبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ،
وَعَرَفَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ←
فَوَجَّهَ وجهه للذي فطر السموات وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.
-ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِالْهِجْرَةِ فَخَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ،
-ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِالنَّارِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ.
- وَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ وَالْخِتَانِ فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ.

فقال: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ)

أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية،

ويحصل لك الثناء الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد.

وهذه – لعمر الله –

– أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون،

–وأعلى مقام، شمر إليه العاملون،

– وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.

***** جَزَاءً عَلَى مَا فَعَل، كَمَا قَامَ بِالْأَوَامِرِ وتَرَكَ الزَّوَاجِرَ،**

جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ قُدْوَةً وَإِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ، ويحتذى حذوه.

(قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ)

فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته،

لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله،

ومحبته أن يكثر فيهم المرشدون،

فلله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية.

فأجابه الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام فقال:

(قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ)

*** لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا، سَأَلَ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ الأئمةُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَأُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ وَأُخْبِرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ظَالِمُونَ،
وَأَنَّهُ لَا يَنَالُهُمْ عَهْدُ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُونَ أَئِمَّةً فَلَا يُقْتَدَى بِهِمْ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أُجِيبَ إِلَى طَلِبَتِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ:

{وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 27]

فَكُلُّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ وَكُلُّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ فَفِي ذُرِّيَّتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

–أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها،

لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين،

–ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة،

والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة،

–فأين الظلم وهذا المقام؟

–ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.

ثم ذكر تعالى، نموذجا باقيا دالا على إمامة إبراهيم:

وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده، ركنا من أركان الإسلام،

حاطا للذنوب والآثام.

وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته فقال:

(وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ)

***** وَمَضْمُونُ مَا فَسَّرَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ هَذِهِ الْآيَةَ:**

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَذْكُرُ شَرَفَ الْبَيْتِ وَمَا جَعَلَهُ مَوْصُوفًا بِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا مِنْ كَوْنِهِ مَثَابَةً لِلنَّاسِ،

أَيْ: جَعَلَهُ مَحَلا تَشْتَاقُ إِلَيْهِ الْأَرْوَاحُ وَتَحِنُّ إِلَيْهِ،

وَلَا تَقْضِي مِنْهُ وَطَرًا، وَلَوْ ترددَت إِلَيْهِ كُلَّ عَامٍ،

اسْتِجَابَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِدُعَاءِ ابْرَاهِيمَ،عليه السلام

فِي قَوْلِهِ: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}

إِلَى أَنْ قَالَ: {رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إِبْرَاهِيمَ: 37 -40]

وَيَصِفُهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ جَعَلَهُ أَمْنًا، مَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ،

وَلَوْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ثُمَّ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا.

كَمَا وَصَفَهَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} [الْمَائِدَةِ: 97]

أَيْ: يُرْفَع عَنْهُمْ بِسَبَبِ تَعْظِيمِهَا السوءُ،

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:( )**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، " وَافَقْتُ رَبّي فِي ثَلاث:

1- فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّه، لَوِ اتّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّى،

فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة125]

2- وَآيَةُ الحِجَاب، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَك أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنّهُ يُكَلّمُهُنّ البَرّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ،

3- وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النّبِيّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْه،

فَقُلْتُ لَهُنّ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ " ( )

أي: مرجعا يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطرا،

(و) جعله (وَأَمْنًا)

يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار.

ولهذا كانوا في الجاهلية – على شركهم – يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه،

صحيح البخاري402

(وافقت ربي في ثلاث) أي وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت.

(آية الحجاب) وهي قوله {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك}الأحزاب 59

(البر والفاجر) التقي والفاسق.

(هذه الآية) وهي قوله تعالى {عسى ربكما إن طلقكن أن يبدله}التحريم 5]

فلما جاء الإسلام، زاده حرمة وتعظيما، وتشريفا وتكريما.

(وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ)

*** إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يُصَلُّوا عِنْدَهُ وَلَمْ يُؤَمَرُوا بِمَسْحِهِ.
وَلَقَدْ تَكَلَّفَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مَا تَكَلَّفَتْهُ الْأُمَمُ قَبْلَهَا،
وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا مَنْ رَأَى أَثَرَ عَقِبِهِ وَأَصَابِعِهِ فِيهِ
فَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ يَمْسَحُونَهُ حَتَّى اخْلَوْلَقَ وَانْمَحَى.
قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ الْمَقَامُ مُلْصَقًا بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ قَدِيمًا،
وَإِنَّمَا أَخَّرَهُ عَنْ جِدَارِ الْكَعْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَهُوَ أحدُ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، الَّذِينَ أُمِرْنا بِاتِّبَاعِهِمْ،
وَهُوَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَالَ فِيهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ».(Ð)

1–يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن،

مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف،

يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين،

2–ويحتمل أن يكون المقام مفردا مضافا،

فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها:

1–من الطواف،

2– و السعي،

3–و الوقوف بعرفة،

في سنن الترمذي ت شاكر -3662

4–و مزدلفة

5–و رمي الجمار

6– و النحر، وغير ذلك من أفعال الحج.

فيكون معنى قوله: (مُصَلًّى)

أي: معبدا، أي: اقتدوا به في شعائر الحج،

ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له.

***** الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ:-**

إِنَّمَا هُوَ الحَجَرُ الذِي كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، يقوم عليه لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ،

لَمَّا ارْتَفَعَ الْجِدَارُ أَتَاهُ إِسْمَاعِيلُ، عليه السلام، بِهِ ليقومَ فَوْقَهُ وَيُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ فَيَضَعُهَا بِيَدِهِ لِرَفْعِ الْجِدَارِ،

كلَّما كَمَّل نَاحِيَةً انْتَقَلَ إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ،

وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ، كُلَّمَا فَرَغَ مِنْ جِدَارٍ نَقَلَهُ إِلَى النَّاحِيَةِ التِي تَلِيهَا هَكَذَا، حَتَّى تَمَّ جِدَارَاتُ الْكَعْبَةِ،

كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ. وَكَانَتْ آثَارُ قَدَمَيْهِ ظَاهِرَةً فِيهِ،

وَلَمْ يَزَلْ هَذَا مَعْرُوفًا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا؛

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَته الْمَعْرُوفَة اللَّامِيَّة:

ومَوطِئُ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةٌ ... عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ

وَقَدْ أَدْرَكَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ فِيهِ أَيْضًا.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ:

أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: رَأَيْتُ الْمَقَامَ فِيهِ أَثَرُ أَصَابِعِهِ عليه السلام، وإخْمَص قَدَمَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَذْهَبَهُ مَسْحُ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ.

(وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ) أي: أوحينا إليهما،

(أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ)

*** وَتَطْهِيرُ الْمَسَاجِدِ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}

[النُّورِ: 36]

وَمِنَ السُّنَةِ مِنْ أَحَادِيث كَثِيرَةٍ، مِنَ الْأَمْرِ بِتَطْهِيرِهَا وَتَطْيِيبِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ صِيَانَتِهَا مِنَ الْأَذَى وَالنَّجَاسَاتِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا جاء في صحيح مسلم (569)

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ،

أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ

فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا وَجَدْتَ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»( )

–و أمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي،

ومن الرجس والنجاسات والأقذار، ليكون

(لِلطَّآئِفِينَ) فيه (وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ)

قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام ،

(إنما بنيت المساجد لما بنيت له)

معناه لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها]

ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقا،

(وَٱلۡعَٰكِفِينَ)

***المقيمين فيه

(وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ)

أي: المصلين،

ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى.

وأضاف الباري البيت إليه لفوائد:-

1- أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره،

لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

2- أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام،

ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

3- أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه.

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦

(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)

*** صحيح البخاري

1834 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:
«لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ،
وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا،
فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ،
وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،
وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،
فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ،
وَ لاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»
قَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ،
قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ»
*** صحيح مسلم
(1374) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ،
أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ، وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ،
فَقَالَ لَهُ: إِنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ،
فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْقُلَ عِيَالِي إِلَى بَعْضِ الرِّيفِ،
فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَا تَفْعَلْ، الْزَمِ الْمَدِينَةَ،
فَإِنَّا خَرَجْنَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ- أَظُنُّ أَنَّهُ قَالَ - حَتَّى قَدِمْنَا عُسْفَانَ،
فَأَقَامَ بِهَا لَيَالِيَ، فَقَالَ النَّاسُ: وَاللهِ مَا نَحْنُ هَا هُنَا فِي شَيْءٍ،
وَإِنَّ عِيَالَنَا لَخُلُوفٌ مَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:
«مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ؟» - مَا أَدْرِي كَيْفَ
قَالَ - «وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ –
لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ إِنْ شِئْتُمْ لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا

قَالَ - لَآمُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ، ثُمَّ لَا أَحُلُّ لَهَا عُقْدَةً حَتَّى أَقْدَمَ الْمَدِينَةَ»
وَقَالَ: «اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا،
وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ،
وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ،
وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ،
اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا،
اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا،
اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا،
اللهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ،
*** فَإِذَا عُلِمَ هَذَا فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات وَالْأَرْضَ،
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَرَّمها؛
لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ بَلَّغ عَنِ اللَّهِ حُكْمه فِيهَا وَتَحْرِيمَهُ إِيَّاهَا،
وَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ بَلَدًا حَرَامًا عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَهَا،
كَمَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكْتُوبًا عِنْدَ اللَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ،
وَإِنَّ آدَمَ لمنجدل فِي طِينَتِهِ، وَمَعَ هَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ:
{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ}
وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وقَدَره.
وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ
*** مسند أحمد ط الرسالة

17150 - عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
" إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ،
وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ،

وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ،
وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي،
وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ،
وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ "

(بَلَدًا ءَامِنًا مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ)

أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدا آمنا،
*** مِنَ الْخَوْفِ، لَا يَرْعَبُ أَهْلَهُ، وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا.
كَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آلِ عِمْرَانَ: 97]
وَقَوْلُهُ {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ}
[الْعَنْكَبُوتِ: 67] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.
وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ فِي تَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهَا.
وَفِي صَحِيحِ مُسْلِم عَنْ جَابِرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
"لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلَاحَ" .

(وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ)

ويرزق أهله من أنواع الثمرات،

(مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ)

ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدبا مع الله،

إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيدا بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن،

وكان رزق الله شاملا للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى:

(وَمَن كَفَرَ)

أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم،

۞أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة،

۞وأما الكافر،

(فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا) فيتمتع فيها قليلا

*** ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

{كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}

[الْإِسْرَاءِ: 20]

(ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ) أي: ألجئه وأخرجه مكرها

*** وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْظِرُهم ويُمْهلهُم ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ،

كَقَوْلِهِ: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ}

[الْحَجِّ: 48] ،

*** صحيح مسلم

(2804) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى،

إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»

***صحيح البخاري

4686 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}

[هود: 102]( )

(إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ) .

(ليملي) ليمهل.

(لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه.

(وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب.

(أخذ ربك) إهلاكه وعذابه.

(أخذ القرى) أخذ أهلها / هود 102 /]

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ
وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ
إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا
مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ)

*** عَنْ وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ: أَنَّهُ قَرَأَ:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا}

ثُمَّ يَبْكِي وَيقُولُ: يَا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، تَرْفَعُ قَوَائِمَ بَيْتِ الرَّحْمَنِ وَأَنْتَ مُشْفق
أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ مِنْكَ.

وَهَذَا كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا}

أَيْ: يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْقُرُبَاتِ {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}

[الْمُؤْمِنُونَ: 60] أَيْ: خَائِفَةٌ أَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ

*** صحيح البخاري

3364 - عن ابْنُ عَبَّاسٍ:

أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ،
اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ،
ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ،
حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ،
وَ لَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ،
فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ،
ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ

فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي،
الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَشَيْءٌ؟
فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا،
فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟
قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ،
فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ
البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ
فَقَالَ: رَبِّ {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ}
[إبراهيم: 37]- حَتَّى بَلَغَ - {يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37] "
وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ،
حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ
يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ،
فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ،
ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا،
فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا،
ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ،
ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ،
فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»
فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا،
فَقَالَتْ صَه - تُرِيدُ نَفْسَهَا -، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا،
فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ،
فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ،

حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا،
وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
" يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ -،
لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا " قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا،
فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ،
فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ،
وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ،
وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ،
تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ،
فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ،
مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا،
فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ،
فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ،
فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ،
فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟
فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ،
قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ»
فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ،
وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ،
فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ،
فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ،
فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ

فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ،
فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ،
قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ،
فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا،
فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا،
فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ،
قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ،
وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ،
قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ،
ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ،
فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟
وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ،
فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟
قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ».
قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ،
قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ،
فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟
قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ،
فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ،
قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ،
قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ،
قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ،

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ،
ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ،
فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ،
ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ،
قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ،
قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ،
قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا،
وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا،
قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ،
فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ،
جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ
الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ:

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [البقرة: 127]،

قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ:

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [البقرة: 127]

ش (المنطق) ما يشد به الوسط.
(لتعفي أثرها) أي لتجره على الأرض وتخفي أثرها على سارة.
(دوحة) شجرة كبيرة.
(جرابا) ما يتخذ من الجلد لتوضع فيه الزوادة.
(قفى) من التقفية وهي الإعراض والتولي يعني ولى راجعا.
(الثنية) الطريق العالي في الجبل.
(الكلمات) الدعوات أو الجمل التي أنزلها الله تعالى في كتابه على محمد ﷺ وتتمتها {عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون} / إبراهيم 37 /.

(بواد) هو مكة.
(المحرم) الذي يحرم التعرض له والتهاون به.
(أفئدة) جمع فؤاد وهو القلب والمراد الناس أصحاب القلوب.
(تهوي إليهم) تقصدهم وتسكن إليهم.
(يتلوى) يتمرغ وينقلب ظهرا لبطن ويمينا وشمالا.
(يتلبط) يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض وقيل يحرك لسانه وشفتيه كأنه يموت.
(درعها) قميصها.
(سعت) هرولت وأسرعت في خطاها.
(المجهود) الذي أصابه الجهد وهو الأمر الشاق.
(فذلك سعي الناس بينهما) أي سبب مشروعية السعي بين الصفا والمروة لإحياء تلك الذكرى في النفوس لتنشط في الالتجاء إلى الله عز وجل في كل حال.
(صه) أي قالت لنفسها اسكتي.
(غواث) من الغوث أي إن كان غوث فأغثني.
(بالملك) أي جبريل عليه السلام.
(فبحث بعقبه) البحث طلب الشيء في التراب وكأنه حفر بطرف رجله.
(تحوضه) يجعله كالحوض لئلا يذهب الماء.
(تقول بيدها) هو حكاية لفعلها.
(عائفا) هو الذي يتردد على الماء ويحوم ولا يمضي عنه
والعائف أيضا الرجل الذي يعرف مواضع الماء من الأرض.
(لعهدنا) لمعرفتنا صلتنا.
(جريا) رسولا ويطلق على الوكيل والأجير وسمي بذلك لأنه يجري مجرى مرسله أو لأنه يجري مسرع في حوائجه.
(فألفى ذلك) فوجد الجرهمي.
(الأنس) المؤانسة بالناس.
(شب الغلام) نشأ إسماعيل عليه السلام.
(أنفسهم) رغبهم فيه وفي مصاهرته.

(يطالع تركته) يتفقد حال ما تركه هناك والتركة بمعنى المتروكة والمراد بها أهله والمطالعة النظر في الأمور.
(يبتغي لنا) يطل لنا الرزق وكان عيشه من الصيد.
(هيئتهم) حالتهم.
(عتبة بابه) هي أسكفة الباب وهي هنا كناية عن المرأة.
(لا يخلو عليهما أحد) لا يعتمد أحد في طعامه على اللحم والماء فقط.
(لم يوافقاه) أي لا يوافقان مزاجه ويشتكي من بطنه ونحو ذلك
وأما في مكة فإن المداومة على أكلها لا تحدث شيئا
وهذا من بركة إبراهيم عليه السلام.
(ربنا تقبل. .) البقرة 127]

***** صحيح البخاري**
3368 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوْا الكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ»
، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟
فَقَالَ: «لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ»،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ:
لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
مَا أُرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ، تَرَكَ اسْتِلاَمَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الحِجْرَ،
إِلَّا أَنَّ البَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ "

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ( )

*** قُلْتُ: وَلَمْ تَزَلْ عَلَى بِنَاءِ قُرَيْشٍ حَتَّى أُحْرِقَتْ فِي أَوَّلِ إِمَارَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ سَنَةِ سِتِّينَ.

وَفِي آخِرِ وِلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، لَمَّا حَاصَرُوا ابْنَ الزُّبَيْرِ

فَحِينَئِذٍ نَقَضَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْأَرْضِ

وَبنَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَأَدْخَلَ فِيهَا الْحِجْرَ وَجَعَلَ لَهَا بَابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا ملصقين بِالْأَرْضِ،

كَمَا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ خَالَتِهِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ مُدَّةَ إِمَارَتِهِ حَتَّى قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ،

فَرَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوان لَهُ بِذَلِكَ،

*** صحيح مسلم

(1333) عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ:

لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ،

فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ

حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ - أَوْ يُحَرِّبَهُمْ - عَلَى أَهْلِ الشَّامِ،

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ،

أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا؟ أَوْ أُصْلِحُ مَا وَهَى مِنْهَا؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ لِي رَأْيٌ فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا،

وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا،

وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ،

ش (قال إسماعيل) هو عبد الله بن أبي أويس ابن أخت مالك بن أنس رحمه الله تعالى وأشار البخاري بهذا إلى أن إسماعيل روى هذا الحديث وبين أن ابن أبي بكر الذي فيه هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: " لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ،
فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا،
ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي،
فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا،
فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ،
حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً،
فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ،
فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمِدَةً، فَسَتَّرَ عَلَيْهَا السُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ
وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ:
إِنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ،
وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ،
لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ،
وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ»
قَالَ: «فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ»
قَالَ:" فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّى أَبْدَى أُسًّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ،
فَبَنَى عَلَيْهِ الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا،
فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ،
وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ "
فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ
وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أُسٍّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيخِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ،
أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقِرَّهُ،
وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَرُدَّهُ إِلَى بِنَائِهِ،

وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَنَقَضَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى بِنَائِهِ

[ش (يجرئهم أو يحر بهم) من الجراءة أي يشجعهم على قتالهم بإظهار قبح فعالهم هذا هو المشهور في ضبطه قال القاضي ورواه العذري يجربهم ومعناه يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته ومعنى يحر بهم أي يغيظهم بما يرونه قد فعل بالبيت من قولهم حربت الأسد إذا أغضبته قال القاضي وقد يكون معناه يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك قال ورواه آخرون يحز بهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبا له وناصرين له على مخالفيه وحزب الرجل من مال إليه وتحازب القوم تمالؤا

(قد فرق لي رأي فيها) أي كشف وبين قال الله تعالى وقرآنا فرقناه أي فصلناه وبيناه هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها وهكذا ضبطها القاضي والمحققون

(يجده) أي يجعله جديدا

(تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين وعن أبي بحر تتابعوا وهو بمعناه إلا أن أكثر ما يستعمل تتابعوا في الشر خاصة وليس هذا موضعه

(فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليا الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدا للناس فأزالها لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة

(حتى أبدى أسا) أي حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أرى الناس أساسه فنظروا إليه فبنى البناء عليه

(إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعل يقال لطختهه أي رميته بأمر قبيح يعني إنا براء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة]

*** صحيح مسلم

(1333) وَفَدَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَظُنُّ أَبَا خُبَيْبٍ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ مَا كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهَا،

قَالَ الْحَارِثُ: بَلَى أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا، قَالَ: سَمِعْتَهَا تَقُولُ مَاذَا؟
قَالَ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«إِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْبَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ، أَعَدْتُ مَا تَرَكُوا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لِأُرِيَكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ»، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ،
فَهَذَا الْحَدِيثُ كَالْمَقْطُوعِ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ،
لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنْهَا مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ
فَدَلَّ هَذَا عَلَى صَوَابِ مَا فَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ. فَلَوْ تُرِكَ لَكَانَ جَيِّدًا.
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى هَذَا الْحَالِ،
فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُغَيَّرَ عَنْ حَالِهِ،
كَمَا ذُكِرَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ -أَوْ أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ –
أَنَّهُ سَأَلَ الْإِمَامَ مَالِكًا عَنْ هَدْمِ الْكَعْبَةِ وردِّها إِلَى مَا فَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ.
فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ:-
لَا تَجْعَلْ كَعْبَةَ اللَّهِ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ، لَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِمَهَا إِلَّا هَدَمَهَا.
فَتَرَكَ ذَلِكَ الرَّشِيدُ.
نَقَلَهُ عِيَاضٌ وَالنَّوَاوِيُّ، وَلَا تَزَالُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -هَكَذَا إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ،
إِلَى أَنْ يخرِّبَها ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ،
كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صحيح البخاري
1591 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ»( )
صحيح البخاري

(ذو السويقتين) تثنية سويقة وهي تصغير ساق أي الذي له ساقان ضعيفتان والتصغير هنا للتحقير أي ضعيف هزيل لا شأن له]

1595 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»( )

–أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس،

واستمرارهما على هذا العمل العظيم،

وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء،

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ)

حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما،

حتى يحصل فيه النفع العميم.

(إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)

(رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)

ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته:–

1– خضوع القلب،

2–وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح.

***** يَعْنِيَانِ بِذَلِكَ، وَاجْعَلْنَا مُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِكَ، خَاضِعِينَ لِطَاعَتِكَ،**
لَا نُشْرِكُ مَعَكَ فِي الطَّاعَةِ أَحَدًا سِوَاكَ، وَلَا فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَكَ.
***** وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،**
كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي قَوْلِهِ:

ش (كأني به) كأني أنظر إليه.
(أفحج) من الفحج وهو تباعد ما بين الساقين ونصبه على الحالية]

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الْفُرْقَانِ: 74] .

وَهَذَا الْقَدْرُ مَرْغُوبٌ فِيهِ شَرْعًا،

فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ صُلْبِهِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛

وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}

قَالَ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}

وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ} [إِبْرَاهِيمَ: 35] .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ:

صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يدعو له"

(**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**)

*** مَذَابِحَنَا

أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ليكون أبلغ.

1- يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: -

أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام،

2-ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك

وهو الدين كله،والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ،

لأن النسك: -التعبد،

ولكن غلب على متعبدات الحج، تغليبا عرفيا، فيكون حاصل دعائهما،

يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح،

ولما كان العبد – مهما كان – لا بد أن يعتريه التقصير، ويحتاج إلى التوبة قالا

(وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) .

(رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ)

أي: في ذريتنا

(رَسُولٗا مِّنْهُمْ)

ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة.

(يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ)

لفظـــا، وحفظــــــــــا، وتحفيظــــــــــا

(وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ)

***القرآن

(وَٱلْحِكْمَةَ)

***السنة و قيل الفهم في الدين

(وَيُزَكِّيهِمْۚ)

بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردية،

التي لا تزكي النفوس معها.

(إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ)

أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء.

(الْحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك،

ابعث فيهم هذا الرسول. فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم،

الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة،

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

« أنا دعوة أبي إبراهيم » .

***** مسند أحمد ط الرسالة -22261**

سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟

قَالَ: " دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى،

وَ رَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ "

***** وَالْمُرَادُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ نَوّه بِذِكْرِهِ وَشَهَرَهُ فِي النَّاسِ، إِبْرَاهِيمُ عليه السلام**

وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ مَذْكُورًا مَشْهُورًا سَائِرًا

حَتَّى أَفْصَحَ بِاسْمِهِ خاتمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَسَبًا،

وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عليه السلام، حَيْثُ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيبًا،

وَقَالَ: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} **[الصَّفِّ: 6]**

–ولما عظم الله إبراهيم هذا التعظيم، وأخبر عن صفاته الكاملة قال تعالى:

وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

(وَمَن يَرۡغَبُ)

أي: ما يرغب

(عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ)

بعد ما عرف من فضله

(إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ)

أي: جهلهـــــا وامتهنهـــا، و رضـــي لها بالدون،

وبـــــاعها بصفقة المغبـــــــون،

كما أنه لا أرشــــد وأكمـــل، ممن رغب في ملة إبراهيم،

ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال:

(وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا)

أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صار بها من المصطفين الأخيار.

(وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

الذين لهم أعلى الدرجات.

(إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ)

امتثـــــــــالا لربه

*** أَيْ: أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالِاسْتِسْلَامِ وَالِانْقِيَادِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا.

(قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

إخلاصـــــا وتوحيـــــدا، ومحبـــــة، وإنابـــــة فكان التوحيد لله نعته.

(وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ)

ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارثت فيهم،

حتى وصلت ليعقوب فوصى بها بنيه.

فأنتم – يا بني يعقوب – قد وصاكم أبوكم بالخصوص،

فيجب عليكم كمال الانقياد، واتباع خاتم الأنبياء قال:

(يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ)

أي: اختاره وتخيره لكم، رحمة بكم، وإحسانا إليكم، فقوموا به،

واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك

(فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)

فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه،

لأن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه.

-ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب،

قال تعالى منكرا عليهم:

(أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ)

أي: حضورا

(إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ)

أي: مقدماته وأسبابه،

(إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ)

فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به:

(مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي)

؟ فأجابوه بما قرت به عينه

(قَالُواْ)

(نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ)

فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا،

***وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ عَمُّهُ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ جَعَلَ الْجِدَّ أَبًا وَحَجَبَ بِهِ الْإِخْوَةَ،

(إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا)

*** نُوَحِّدُه بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ

(وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ)

أَيْ: مُطِيعُونَ خَاضِعُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}

[آل عمران: 83]

وَالْإِسْلَامُ هُوَ مِلَّةُ الْأَنْبِيَاءِ قَاطِبَةً، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}

[الْأَنْبِيَاءِ: 25] .

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَالْأَحَادِيثُ، فَمِنْهَا :-

صحيح مسلم

(2365) عن أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:

«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»( )

(أولاد علات) قال العلماء أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى

وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان

قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة

-فجمعوا بين التوحيد والعمل.

ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد

فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية.

ثم قال تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾

أي: مضت

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾

أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله،

لا يؤخذ أحد بذنب أحد

ولا ينفع أحـــــدا إلا إيمانـــــه وتقـــــواه

فاشتغالكم بهم وادعاؤكم، أنكم على ملتهم،

والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له،

بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها،

هل تصلح للنجاة أم لا؟

*****إِنَّ السَّلَفَ الْمَاضِينَ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَالِحِينَ**

لَا يَنْفَعُكُمُ انْتِسَابُكُمْ إِلَيْهِمْ إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا خيراً يعود نفعهُ عَلَيْكُمْ،

فَإِنَّ لَهُمْ أَعْمَالَهُمُ التِي عَمِلُوهَا ولكم أعمالكم:

فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف]

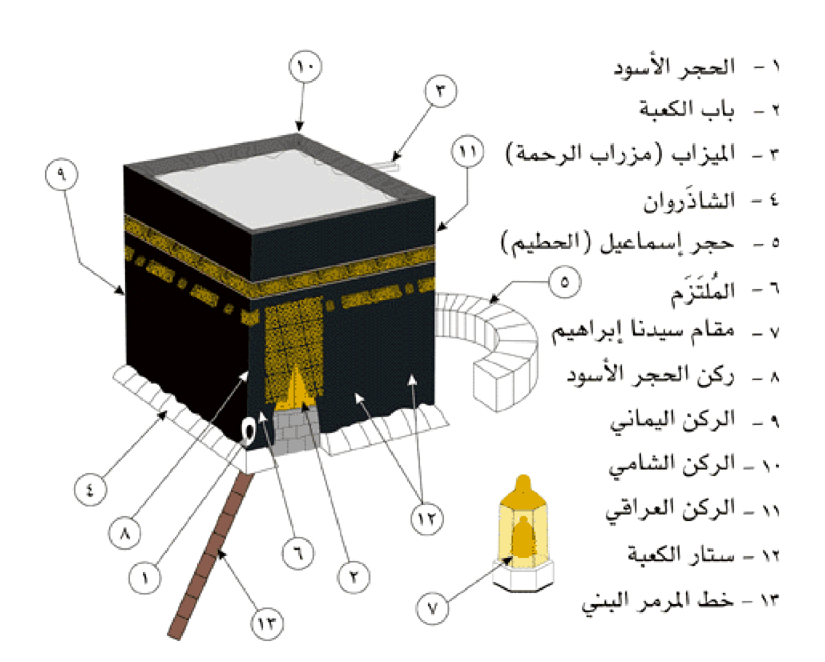
﴿وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

***وَلِهَذَا جَاءَ، فِي الْأَثَرِ:

سنن أبي داود

3643 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

« وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»



وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ
وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم
بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾
قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ
مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ
شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

(وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ)

أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم،

زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال.

قل له مجيبا جوابا شافيا:

(قُلْ بَلْ)

نتبع

(مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ)

أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، قائما بالتوحيد، تاركا للشرك والتنديد.

فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية.

(وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

هذه الآية الكريمة، قد اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به.[1]

واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام، بهذه الأصول،

وإقراره المتضمن لأعمال القلــــــوب والجــــــوارح،

وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإســــــلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها،

[1] راجع تعليق الشيخ الشوربجي علي اصول السنة للحميدي ص 50

فهي من الإيمـــــان، وأثـــــر من آثـــاره،

فحيث أطلق الإيمـــــان، دخل فيه ما ذكر،

وكذلك الإســــلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان،

☼فإذا قــــرن بينهما:–

كان الإيمـــــان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق،

والإســــلام، اسما للأعمال الظاهرة

وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة، فقوله تعالى:

(قُولُوٓاْ) أي: بألسنتــــكم، متواطئـــــة عليها قلوبكم،

وهذا هو القول التام، المترتب عليه الثواب والجزاء،

☼فكما أن النطق باللسان، بدون اعتقاد القلب، نفاق وكفر،

☼فالقول الخالي من العمل عمل القلب، عديم التأثير، قليل الفائدة،

وإن كان العبد يؤجر عليه، إذا كان خيرا ومعه أصل الإيمان،

لكن فرق بين القول المجـــــرد، والمقترن به عمل القلب.

وفي قوله:

(قُولُوا) إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة لها،

إذ هي أصل الدين وأساسه.

وفي قوله:

(ءَامَنَّا)

ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوبا إلى جميع الأمة،

إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام بحبل الله جميعا،

والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحدا، وعملهم متحدا،

وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد.

وفي قوله:

(قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ) إلخ

دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد،

بل على وجوب ذلك،

بخلاف قوله: « أنا مؤمن » ونحوه،

فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة،

لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان.

فقوله:

(آمَنَّا بِاللَّهِ)

أي: بأنه موجود، واحد أحد، متصف بكل صفة كمال،

منزه عن كل نقص وعيب، مستحـــــق لإفراده بالعبـــــادة كـــــلها،

وعـــــدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ

مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ

مُسۡلِمُونَ

(وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا) يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى:

{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: 113]

فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله،

-من صفات الباري،

-وصفات رسله،

-واليوم الآخر،

-والغيوب الماضية والمستقبلة،

-و الإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية،

- وأحكام الجزاء وغير ذلك.

(وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ)

إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء،

(وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ)

(وَٱلۡأَسۡبَاطِ)

***بَنُو يَعْقُوبَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا؛ وَلَدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ، فَسُمُّوا الْأَسْبَاطَ.

*** وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: الْأَسْبَاطُ: قَبَائِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَسْبَاطِ هَاهُنَا شُعُوبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

(وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ)

والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا، ما نص عليه في الآية،

لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار.

فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب :-

أن يؤمن بهم على وجه العمـــــوم والشمـــــول،

ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلا.

*** الميسر : وما أُعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل،**

(وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ)

***الميسر: وما أُعطي الأنبياء جميعًا من وحي ربهم**

(لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ)

أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من

يدعي أنه على دين.

فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم - وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به

من الرسل والكتب - فإنهم يكفرون بغيره، فيفرقون بين الرسل والكتب،

بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم،

-فإن الرسول الذي زعموا، أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصا

محمد ﷺ

-فإذا كذبوا محمدا، فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم.

وفي قوله:

(وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ)

دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية.

لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك،

بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه،

ليس لهم من الأمر شيء.

وفي قوله:

(مِنْ رَبِّهِمْ) إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب،

ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملا.

وإذا كان ما أوتي النبيون، إنما هو من ربهم،

ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة،

وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه،

فالرسل لا يدعون إلا إلى خير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم،

يصدق الآخر، ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض

لكونه من عند ربهم

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}

[النساء: 82]

–وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بد أن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم،

كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه.

فلما بيَّن تعالى جميع ما يؤمن به، عموما وخصوصا،

وكان القول لا يغني عن العمل قال:

(وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، وهو

(لَهُ) على العامل وهو

(مُسْلِمُونَ) .

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة – على إيجازها واختصارها – على:–

1– أنواع التوحيد الثلاثة:

1– توحيد الربوبية،

2–وتوحيد الألوهية،

3–وتوحيد الأسماء والصفات،

2–واشتملت على الإيمان بجميع الرسل،

3–وجميع الكتب،

4– وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم،

5–وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك،

6– وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين،

7– وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون،

8– ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة،

فسبحان من جعل كتابه تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

*** وَلَا يَكُونُوا كَمَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النِّسَاءِ: 150، 151] .

*** صحيح مسلم

(727) عن ابْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

" كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا:

{قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} [البقرة: 136] الْآيَةَ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ،

وَفِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا: {آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 52] "

فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

(فَإِنْ ءَامَنُوا۟)أي: فإن آمن أهل الكتاب

(بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ)

– يا معشر المؤمنين – من جميع الرسل، وجميع الكتب

الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺو القـــــرآن،

وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله

(فَقَدِ ٱهْتَدَواْ)

للصراط المستقيم، الموصل لجنات النعيم،

أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة:135]

فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه،

و « الهدى » هو العلم بالحق، والعمل به،

(وَّإِن تَوَلَّوْاْ)

***عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

وضد((الهدي))الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم،

(فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ)

وهو الشقاق الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا،

فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق،

ويلزم من المشاقة:–

1– المحادة،

2–والعداوة البليغة، التي من لوازمها، بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول،

(فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ)

لهذا وعد الله رسوله، أن يكفيـــــه إيـــــاهم،

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ)

لأنه السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات،

(ٱلْعَلِيمُ)

العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن،

فإذا كان كذلك، كفـــــاك الله شـــــرهم

وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى:–

1–قتـــــل بعضهم،

2–وســـــبى بعضهم،

3– وأجـــــلى بعضهم،

4–وشـــــردهم كل مشرد.

ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه،

فوقع طِبْقِ ما أخبر.

صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

أي: الـــــزموا صبغة الله، وهو دينـــــه،

وقـــوموا به قيـــاما تـــاما،

بجميـــع أعماله الظـــاهرة والبـــاطنة،

وجميـــع عقـــائده في جميع الأوقات،

((حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم))

فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره،

طـــوعا واختيـــارا ومحبـــة،

وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة،

فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية،

لحـــث الدين على:-

1- مكارم الأخلاق،

2- ومحاسن الأعمال،

3-ومعالي الأمور،

فلهذا قال - على سبيل التعجب المتقرر للعقول الـــزكية- :

(وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ)

أي: لا أحسن صبغة من صبغته .

وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده،

✪فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا،

أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح،

فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل،

ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب،

فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة،

والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه، ورجاؤه،

فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده،

✪فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله،

فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده.

فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما،

ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله،

وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: (وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ)

بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهـــــذين الأصلين:-

1- الإخـــــلاص

2- والمتــــابعة،

لأن « العبــــادة »:-

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة،

ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله،

والإخلاص:

أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال،

فتقديم المعمول، يؤذن بالحصر.

وقال: (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)

فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار،

ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما.

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

*** أَتُنَاظِرُونَنَا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالِانْقِيَادِ، وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ

المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية،

حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال قول خصمه،

فكل واحد منهما، يجتهد في إقامة الحجة على ذلك،

والمطلوب منها:-

أن تكون بالتي هي أحسن

1-بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق،

2- ويقيم الحجة على المعاند،

3–ويوضح الحق، ويبين الباطل،

فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت:–

1–ممـــــاراة،

2–ومخـــــاصمة لا خير فيها،

3–وأحدثت من الشر ما أحدثت،

فكان أهل الكتاب، يزعمون أنهم أولـــــى بالله من المسلمين،

وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل.

فإذا كان رب الجميع واحدا، ليس ربا لكم دوننا،

وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك.

فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛

لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة،

وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة.

وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده،

وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم،

فتعين أنهم أولى بالله من غيرهم؛

لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص،

فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،

بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول،

ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول،

ففي هذه الآية، إرشاد لطيف :-

لطــــــريق المحـــــاجة،

وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين،

والفرق بين المختلفين.

(**وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**)

***الْمُتَصَرِّفُ فِينَا وَفِيكُمْ، الْمُسْتَحِقُّ لِإِخْلَاصِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**

{**وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ**}

أَيْ: نَحْنُ بُرَآءُ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ بُرَآء مِنَّا،

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} **[يُونُسَ: 41]**

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} **[آلِ عِمْرَانَ: 20]**

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ:

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} **[الْأَنْعَامِ: 80]**

وَقَالَ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} **الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: 258] .**

(**وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**)

أَيْ: نَحْنُ بُرَآءُ مِنْكُمْ كَمَا أَنْتُمْ بُرَآءُ مِنَّا، وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ،

أَيْ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوَجُّهِ.

أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

(أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ)

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانُوا يَقْرَؤُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الذِي أَتَاهُمْ:
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلامُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا بُرَآءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، فشهِد اللَّهُ بِذَلِكَ،
وَأَقَرُّوا بِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلَّهِ، فَكَتَمُوا شَهَادَةَ الله عندهم من ذلك.

–وهذه دعوى أخرى منهم، ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين.

فرد الله عليهم بقوله:

(قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ)

***بل الله اعلم

فالله يقول:

﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾
[آل عمران:67]

وهم يقولون: بل كان يهوديا أو نصرانيا.

فإما أن يكونوا، هم الصادقين العالمين

أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة،

وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوحِ والبيان،

حتى إنه – من وضوحه – لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق،

ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد،

كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟

والنار أحر أم الماء؟

والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك.

وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك،

ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء، لم يكونوا هودا ولا نصارى،

فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم.

ولهذا قال تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ)

فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق،

فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين:–

1– كتم الحق، وعدم النطق به،

2– وإظهار الباطل، والدعوة إليه،

أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال:

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)

بل قد أحصى أعمالهم، وعدها وادخر لهم جزاءها،

فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار، مثوى للظالمين،

وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة،

عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها.

فيفيـــــــد ذلـــــك:-

1- الوعد والوعيد،

2- والترغيب والترهيب،

3-ويفيد أيضا ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام،

أن الأمر الديني والجزائي، أثر من آثارها،

وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له.

ثم قال تعالى:

(تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

تقدم تفسيرها، وكررها، لقطـــــع التعـــــلق بالمخـــــــلوقين،

وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان،

لا عمل أسلافه وآبائه،

فالنفع الحقيقي بالأعمال،

لا بالانتساب المجرد للرجال.

*** الميسر :لهم أعمالهم ولكم أعمالكم، ولا تُسْألون عن أعمالهم، وهم لا يُسْألون عن أعمالكم.**

وفي الآيـــــــــــــــــــــــة :-

1-قطع للتعلق بالمخلوقين،

2-وعدم الاغترار بالانتساب إليهم،

3-وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتباع رسله،

4-وأن من كفر برسول منهم فقد كفر بسائر الرسل.